

الـ دـ وـ دـ

مجلة الثقافة والوطنية والديمقراطية

سبتمبر ١٩٩٣

- أحمد أمين : في الثناء على الاجتهد
- نيرودا : غداً تسقط الأسوار بالنشيد
- كتاب خطرون .. على الكمبيوتر
- عقدة الذنب في المجتمع الصهيوني
- الحلم الامريكي .. شيكا بيكا



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي



أدب وفـ

مجلة الثقافة الديمقـراطـية / شهرية يـصـدرـها
حـزـبـ التـجـمـعـ الوـطـنـيـ التـقـدـمـيـ الـوحـدـيـ

رئيس مجلس الإدارة: لطفى واكـد
رئيس التحرير: فـريـدةـ النـقـاشـ
مدير التحرير: حـلـمـىـ سـالـمـ

مجلس التحرير: إبراهيم أمـيلـانـ /
كمـاـ رـمـزـىـ / مـحـمـدـ دـوـمـيـشـ

المـسـتـشـارـونـ: دـ. الطـاهـرـ مـكـىـ / دـ. أـمـيـنـهـ رـشـيدـ/
صلـاحـ عـيـنـسـىـ / دـ. مـبـدـ العـظـيمـ أـنـيـسـ /
دـ. لـطـيفـةـ الـزيـاتـ / مـلـكـ مـبـدـ العـزـيزـ
شارـكـ فـيـ هـيـئـةـ المـسـتـشـارـينـ الـراـحـلـ الكـبـيرـ:
دـ. عـبـدـ الـمحـسـنـ طـهـ بـدرـ

أدب ونقد

التصميم الأساسي للغلاف: محبي الدين اللباد
الرسم الداخلي للفنان: محمد عبلة
تصميم ورسم الديوان الصغير
للفنان: جودة خلدة

أعمال الصف والتوضيب: صفاء سعيد / صلاح عابدين

المراسلات: مجلة أدب ونقد / ٢٢ شارع عبید الخالق ثروت
القاهرة / ت ٣٩٣٩١١٤

الاشتراكات: (لمدة عام) ١٨ جنيها / البلاد العربية
١٥٠ دولار للفرد / المؤسسات / أوروبا وأمريكا
١٥٠ دولار باسم الأهالي - مجلة أدب ونقد.

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها
سواء نشرت أم لم تنشر

المحتويات

المحررة.....	أول الكتابة.....
* عشرون عاما على رحيل نيرودا: كان حبى ينضح خشبـا.....	د. الطاهر أحمد مكى ٩
الانشقاق فى السرد.....	د. محسن الموسوى ١٦
كتاب خطرون على الكمبيوتر.....	محمد الظاهر و منية سمارة ٢١
- تحقيق: اتحاد الأدباء وأدباء الاتحاد.....	عبد اللطيف وهبة ٣٦
الذات والآخر في الرواية الأفريقية.....	د. إيناس طه ٤٢
عقدة الذئب في الأدب الإسرائيلي.....	د. مصطفى عبد الغنى ٥٢
مصابح قطب.....	فيورباخ: تمجيد الفرج ٥٨

نصوص

قصص: باودوك.....	رضا البهات ٦٦
الفطاس.....	أحمد النشار ٦٨
شجرة الكافور.....	رابع بدير ٧٠
عن.....	محمد عبد السلام العمرى ٧٢
انتظار.....	أمانى خليل ٧٦
شعر: من فكرة هرولد الغرب.....	عبد الرحيم عمر ٧٨
محمد الطوبى.....	فاطمة قنديل ٨٥
مقاطع من أكتوبر ١٩٩٢.....	نعيمة السماك ٩١
الأشياء.....	أحمد عقل ٩٣
الجهل.....	كاميليا عبد الفتاح ٩٥
فلسفة الحملان.....	الديوان الصغير: ٩٧

أحمد أمين: في الثناء على الاجتهاد
تقديم: د. جلال أمين / د. نصر حامد أبو زيد

الحياة الثقافية

نواذ شريف حباته الموارية.....	فريدة النقاش ١١٤
مالكوم اكس.....	أمير العمرى ١٢٤
نساء وديعات وحراس خطرون.....	ماجدة موريس ١٢٢
الحلم الأمريكي شيئاً بيكا.....	من التلمصانى ١٢٥
أيتها المبدعون لن نحكي.....	صبرى فؤاد ١٢٨
رسالة جرش: التعدد، التعدد.....	حلى سالم ١٤٠
وثيقة: فتاوى للقتل.....	١٤٤



افتتاحية

أول الكتابة

فات على المحررة في العدد الماضي أن فرنسا، وفكرة الوطنية البسيطة تناقض فكرة بدا كما لو أنها جاءت الخالصة التي عرضها لويس عوض ببروعة عرضها في مقال الدكتور لويس عوض عن دافع عنها باقتدار هي أساس من أساس «أراجون وليل موسكو» التي أضاءت لنا إنتقامه أراجون للشيوعية لكن الدكتور لويس وضع الوطنية والشيوعية في مواجهة بعضهما البعض ثم ساوي بين الفاشية والشيوعية.. إن فكرة ناظمة الواقعية لموسكو عاصمة الثورة الشورى الفرنسي وهو يتالم أمام اتساع الهوة بين حلمه الإشتراكي وبين الصورة الاشتراكية الأولى، والفكرة التي يبدو أنها عارضة .. وللوهلة الأولى غير ذات أهمية في سياق موضوع كبير هي المساواة - لا المقارنة - بين الفاشية والشيوعية واعتبارهما معاً شرين كاملين. وقد عاتب المحرر عدد من الأصدقاء لأنها لم تلتلت لهذه الفقرة التي هي على صفيحتها عمود من أعمدة الموضوع، بالرغم من أن أراجون - وهي المقارقة التي فات الدكتور «لويس عوض» أن يتوقف أمامها وهو يساوي بين الفاشية والاحتلال الألماني لوطنه - سوف يكون البشر جمیعاً فناثین

يتبعون ذواتهم ويتحررون حيث التحرر الشامل لكل فرد هو شرط تحرر الجميع..

أما الفكرة الناظمة الأساسية للفاشية فهي تفوق جنس من الأجناس على بقية الأجناس وهو تفوق يبيح لسلالته السيطرة على العالم بحكم نقاء الدم وقد كانت الفاشية هي أحد أخط إفرازات الرأسمالية التي تحاربها الشيوعية، وأن جازت المساواة بين الفاشية ونظرية أخرى تخلقت في نهاية القرن التاسع عشر وأنشأت دولة من منتصف القرن العشرين فهي الصهيونية التي تقول بدورها بتفوق الجنس اليهودي الذي اختاره رب طبقاً للمقولات التوراتية. ولأننا لا نستطيع أن نحتكم إلى الفكر المجرد الذي يبقى دائماً مقولات معلقة هائمة في الفراغ إلى أن يجري اختبارها في الواقع فإن التجربة التاريخية تقول لنا أن البلدان الشيوعية «سابقاً» وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي كانت القوة الرئيسية التي تصدى للفاشية وهزمتها. كذلك كانت الأحزاب الشيوعية في أوروبا قادنة لحركات المقاومة ضد الاحتلال الألماني وضد الدكتاتورية الفاشية خاصة في فرنسا وأسبانيا، بل إن المقاومة على الصعيدين الفكري والعملي ضد نمو الفاشية مجدداً في أوروبا الآن - وبخاصة في المانيا وفرنسا - يقودها حلف واسع من الديمقراطيين وفي قلبهم الشيوعيون رغم المصاعب الجدية التي تواجهها أحزابهم وأفكارهم.

كانت الفاشية تعنى انجطاط الثقافة الملوسة بصرف النظر عن الأهداف

وقد توقفت طويلاً أمام هذا الموضوع لأن
وقائع الحياة في أوروبا وحيث تعود
الفاشية إلى الوجود بقوة ترشح هذين
التيار بين المتناقضين كاملاً التناقض
إلى مواجهة جديدة عاصفة في نفس
البلدان.

لم ننشأ ونحن نطلب إلى الدكتور

نصر أبو زيد كتابة تقديم للديوان
الصغير أن تكون هذه هي مادتنا
الوحيدة لتابعة موضوع «نصر» الذي
اقترب موعد نظر الدعوى المقامة ضده
من قبل بعض الشيوخ للتغريق بينه
وبين زوجته لأنهـ في نظرهم مرتدـ بل
تنشر أيضاً بيان المنظمة المصرية لحقوق
الإنسان حول قضيتهـ ونعدكم أن
نتخصص هذه المسألة من كل جوانبها
كواحدة من أخطر تضاعياً حرية الفكر
والبحث التي عرفتها بلادنا لنقدم ملفاً
موثقاً في عدد قادمـ فمعن الواضح أن
المطلوب ليس إسكات نصر وحدهـ وإنما
إرهاب كل من يجرؤ على التفكير الحر
المستقل في شؤون الدين رافقنا مرجعية
الشيخوخ الذين نصبوا أنفسهم أو صياغـ
على العقل والبحث والضميرـ

يحظى الحلم الأمريكي في عدتنا هذا
بنصيب حيث يوافينا الصديقان
«محمد الظاهر» و«منية سمارة» بنص
في إطار السلسلة التي كنا بدأناها
باقتراح منها تحت عنوان «كتاب
خطرون» عن قمع الثورة التكنولوجية
في أمريكا حيث تنتفتح آفاق بلا حدود
 أيام حرية التعبير وتبادل المعلومات عن
 طريق الكمبيوتر. تجد المباحث
 الفيدرالية الأمريكية نفسها عاجزة
 أمامها لأن بعض وربما كل جوانب هذه

نقدم لكم في «الديوان الصغير» لهذا العدد نصاً للمفكر الإسلامي أحمد أمين اختباره له ابن الدكتور جلال أمين وعلق عليه د. نصر حامد أبو زيد، وأردنا أن تكون قراءة أبو زيد لأحمد أمين وقراءتهما معاً إضافة جديدة لموضوع الاجتهداد وقد نكتفى الآن بقول أحمد أمين «أن إصلاح حال المسلمين يكون بشيئين أحدهما فصل العلم عن الدين والتلوّس في العلم إلى أقصى قدر مستطاع فليس العلم ملكاً لذهب دون مذهب، وليس الإسلام مما ينافى العلم، ففصل العلم عن الدين شيءٌ ميسورٌ ويحثّ...»

ولكننا بالقطع سوف نختلف معه، ولعله هو لو عاش لايامنا هذه كان سيراجع مكتبته حول رفضه لفصل الدين عن السياسية... فتحت شعار الاسلام دين ودولة، وفي ظل ازمة طاحنة وطنية وقومية واجتماعية أصبح هذا الشعار وبالا على الذين والدولة معا، بينما أسفرت التجارب التي أنشأت دول تحت لافتات دينية شأن «السودان وأيران» عن صور ومعارضات قبيحة ضد الحريات العامة من حرية الفكر والتعبير والمعتقد والضمير الى حرية المرأة وحرية الأقليات الدينية... وأصبحت

المرية تفلت من سيطرتها، نحن نعرف أن هذا الموضوع سوف يبدو غريباً على اهتمامات قرائنا الذين لم يعقد معظمهم علاقة حميمة شأن تلك التي يتحدث عنها الموضوع مع الكمبيوتر، ولكنهم لا بد أن يتوقفوا أمام حقيقة أن الرأسمالية هنا تجد نفسها وهي تصطدم صداماً عنيقاً مع وجودها المقدس أي الملكية الخاصة بل وتسعى للاحتفاها «فقد وقع كل مستخدم على تعهد مكتوب بعدم اظهار المواد التي لا يوافق عليها محررها و«بروبيجي» إلى العن أما الخيار الوحيد المتبقى أمام هؤلاء المستخدمين غير الراغبين فهو التخلّى عن نظام الملكية الخاصة..»

كذلك تقدم لنا الناقدة «من التلمساني» قراءتها للفيلم خيرى بشارة الجديد أمريكا شيكاباكى.. من الحلم الأمريكى وهى تلاحظ فى افلام خيرى بشارة الأخيرة التى إرتبطت بالبساطة عاطفياً وتبنت أحالمهم بالصعود التردد بين تكسير كل شيء وبين القدرة على معاودة البحث عن هوية، «بصمة جميلة يوقعها خيرى بشارة على فيلمه لكنها تظل ناقصة وهذا يحيرنا..»

ولعلها فى عدد قادم أن تسعى للإجابة على سؤال التنصّص هذا ودواجهة الفكرية والجمالية سواء فى دعى الفنان نفسه أو فى تعلقنا - نحن جميعاً - ب بصورة خاصة بهذا الحلم الذى نعرف عملياً أنه وهو.. أنها سطوة الثقافة السائدة وهيمتها.. ربما ويكتب لنا أمير العمرى عن فيلم القنابل وأنقنة رجال الشرطة وعمارات

مالكوم إكس» المناضل الأسود ضد التفرقة العنصرية والاستقلال معاً حيث هو الآن رمز التحدى للسلطة وفخر للشباب الأبيض والأسود واللاتيني التقديم..»

في هذا العدد أيضاً نقدم مخرجاً مسرحياً يكتب شهابته وتجربته عن الإبداع هو «مبرى فواز» نريد لها أن تكون مفتاحاً للمبدعين ليقدموا شهادتهم، فكم نتمنى أن تكون عوناً للجدد منهم في كل الميادين ليكتشفوا ما قد يخفى عليهم هم أنفسهم من قدرات..

ومثل كل يوم

الأشياء تأخذ وقتها المعتم
يتلخص النهار سويعاته
ينتقل الليل

الأشياء تأخذ أكثر من وقتها المعتم..
ما أن أنهيت قراءة قصيدة الشاعرة البحرينية نعيمة السمّاك إلا وجاءنا خبر الانفجارات المهايلة في قلب القاهرة والتي استهدفت وزير الداخلية.. أين ياترى يمكن أن نضع الشعر في مثل حياتنا تلك، وهل يمكن أن نحلم أن الأشياء سوف تأخذ وقتها المعتم.. أن التطور الديمقراطي المسلم الذي تحمل به لوطننا سوف يأخذ وقته المعتم.. أم أنها الأشباح السوداء لتمزق محتمل وحرب أهلية تلوح لتأخذ الأشياء أكثر من وقتها المعتم؟.. فمن يدرى ما الذي تخبيه لنا موجة العنف الجنون.. وهل سيتحقق حلمنا طويلاً ملفوفاً بدخان القنابل وأنقنة رجال الشرطة وعمارات



نَتَمَنِي أَنْ نَكُونَ قَادِرِينَ دَائِمًا عَلَى
الْوَفَاءِ بِهِ، فَمِنْ حَقِّ هَذَا الْجَيلِ مِنَ
الْمَناضِلِينَ وَالْكُتُبِ أَنْ يَشْعُرَ بِالْعِرْفَانِ
مَهْمَا كَانَ إِخْلَافُنَا مَعَهُ أُوتَقِيِّيْمَنَا
لِإِنْجَازِهِ..

المحررة

شِيْرُوخُ التَّنْفُظُ وَالتَّكْفِيرُ...
لَمْ تَنْسِ فِي عَدِّنَا هَذَا أَنْ تَقُولَ
لِلْكَاتِبِ وَالْمَناضِلِ التَّقْدِيمِيِّ دَهْرِ شَرِيفِ
حَتَّاهُ كُلُّ سَنَةٍ وَأَنْتَ طَيِّبٌ فِي عَيْدِ
مِيلَادِ السَّبْعِينِ هَذَا الشَّهْرِ، وَنَحْنُ
نَعْرِضُ لِذَكْرَاتِ الَّتِي صَدَرَتْ مُؤْخِراً
بِاسْمِ «النَّوَافِذُ الْمَفْتُورَةُ» وَنَقْدِمُ
بِبِلِيُوجْرَافِيَا لِإِنْتَاجِهِ الْأَدِيبِيِّ.. وَهُوَ تَقْلِيدٌ

عشرون عاما على رحيل بابلو نيرودا:

كان حبى ينضح خشبا

د. الطاهر أحمد مكى

مراجعة العداء واللاحقة، ولم يدهشنى حينئذ أنتى حاولت أن اتخذ من الإخوة الإنسانية يلسمها أمالع به جراح كثيرين، وكما تركت هناك، فى وطنى، أشجار الاناناس ظلها على الأرض فقد تركت كلماتى على أبواب كثيرين مجهولين، نزلاء سجنون، وملائجين، وهاربين، ووحيدين.

وقد التقطت هذا الدرس فى فناء بيته وحيدا فى طفولتى، ربما كان مجرد لعبه بين طفلين لا يعمران، ويرغبان فى أن يتقاسموا عطاء الحياة، ولكن هذا التبادل الصغير القائم ظل - ربما - مخزونا - فى قلبي ، راسبا لايفنى ، مشعلا

«رجل محظوظا

أنا

أن يكون لك أخوة، وأن تعرف معنى الأخوة شىء رائع فى الحياة، وأن تحب الآخرين، وتعرف أن هناك من يحبونك فذلك هو النار التى تصهر عبقرىتك، وتتنفس عنك روابس الفسق والضفينة ، والحدق وزن تشعر بالشوق إلى من لا تعرف، ومن تجهل ، إلى أولئك الذين يعيشون فى أحلامنا ووحدتنا، وساعات خطرنا وضعطنا بذلك شعور أعظم وأجمل لأنه يفذى كياننا، ويتسع لكل الآخرين».

«التضامن الإنساني» كان أول ما أعطتني الحياة، وراقتنى عبر رحلتى الطويلة، وأعتمدت عليه فى

قصائدٍ

هذه الكلمات التي تحدث بها
بابلوبنيرودا في ديوانه «طفولة وشعر».
تمثل مفتاح حياته، ولست بصدد كتابة
تاريشه، ولا تحليل شعره، وإنما بصدد
القاء بعض الأضواء على الجوانب
الإنسانية فيه، ففيها تقدير وإذاعه
ونضاله.

كثيرة كانت فكاهاته تأخذ شكلاً عملياً،
فирقمن منتقراً، ومتخفياً وشتهرت
حياته الاجتماعية بهذه الحالات.
ومن يتصف أشعار نيرودا سوف
يلحظون جهد أنه يحب الأكل الجيد،
وشربة السمك من بيته بخاصة، وهو
الطبق المفضل عند الشيليين ويشتري
كل متطلباته بنفسه، ويشرف على
إعداداته، ثم يدمو أصدقائه إلى تناول
ال الطعام معه، وفي حالات كثيرة كان
عدهم كبيراً، ويقول إنه ورث عادة دعوة
الأصدقاء إلى الأكل معه من أبيه، الذي
كان يضيق بالأكل وحده، فإذا لم يكن
عنده أصدقاء خرج إلى الشارع دعا أي
شخص يلقاء.

وهو يشرب الشاي كثيراً، ولا يحب
القهوة، ويمكن أن يحتسي قدراً كبيراً من
الخمر دون أن يحدث له آية أضرار، وهو
لا يشعر ببهجة الحياة إلا إذ كان في رفقة
أصدقائه، ينام مطمئناً، ولا يعرف
القلق أبداً، ويستيقظ في الساعة الثامنة
مباحاً على الدوام.

وكان يحب بجنون الأشياء
الغريبة، فأغرم بالأسواق وال محلات
التي تتبع الأشياء القديمة، ويمكن أن
يغضي اليوم كله يفتشف بينها عن
طرفة غريبة و معرفت داره،
مجموعات متنوعة : من «البابيب»
حتى الأسداف، وكان يجد فيها من
الجممال ما لا يزايه الآخرون، وعادة
يصحب بعض أصدقائه في جولاته
هذه، وكانتوا في البدء يضيقون بها،
ومالبئوا أن اعتادوها، وشاركته هذه
الهواية، وكان منزل نيرودا يضم
مجموعات متنوعة، غريبة لا تخطر
على بال.

كان في طفولته وصباه تحيفاً شاحباً،
عيذناه السودادان تبدوان كنقطتين في
وجهه، ورغم أن مظهره يوحى بأنه
مرض وضعيف، إلا أن مواقفه كانت
توحي بالصرامة والعزم اللذين عرف
بهما في بقية حياته، في أوقات الشدة،
مختفي أو راء عباءة عريضة، وقبعة
كبيرة، غير أن هذه الحقيقة وهذا المظهر
الرومانسي ضاع مع الزمن، فلم يعد
تحيفاً، ولا يبدو عليه طابع المرض أو
الضعف، وإنما امتلاه، وكان امتلاكه قابلاً
للزيادة دائماً، وعاث الصلح برأسه، فلم
يتترك له غير شعر الجانين، واحتفاء
الشعر في رأسه جعل عينيه تبدوان
أكثر اتساعاً تحت أهدابه الكثيفة.

طويل، وضخم، بطيء الحركة، تعود أن
يمشى كثيراً على امتداد الشاطئ
الصخري في الجزيرة التي سوف يتتخذ
منها مقراً فيما بعد، وفيها يذهب إليه
الناس، أو يلقوه في الطريق ليتحدثوا
إليه، فيصفى إليهم مهتماً، ومع ذلك،
ورغم حب الوحدة، لم يكن ينتظر حتى
يأتى إليه المعجبون، وإنما كان يحب أن
يحيط نفسه بأصدقاء عديدين، شيوخاً
وشباناً، ضعفاء وأقوياء، أفندياء وفقراء،
ومن كل العالم، يحب أن يلتقي بهم،
ويتحدث معهم، وأن يأكلوا ويشربوا
ويتبادلوا آخر النكات، وفي أحاسين

بهم؛ إنكم لا تختلفون بي، وإنما
يختصّ الإنسان في هذا الوطن،
يُصاهره بحر بلا ضياف، وثُلوج
يلانهاية..

وهو على الرغم من عالميته فكراً يحب
وطنه بلا حدود، ولاري أهميته في أنه
جاء إلى الحياة، وإنما لأن ولد في شيلي،
فالرجال لاتاريخ لهم، ولكن الأوطان
سابقة، تار، بخها ممتدة.

ولد رجل
بين كثيرين ولدوا،
عاش بين رجال كثيرين،
عاشوا.
ليس لذلك تاريخ،
 وإنما هناك أرض،
في وسط شبل،
حيث الكروم ترسل شعورها
للفضاء.

ولد ريكاردو، وهذا أسمه الأصلي،
في برازيل، شيليز، ١٩٤٤ يوليه،
ويحدثنا الشاعر عن أسلافه:
«جدوبي وصلوا حقول برازيل، وغر سرا
الكروم، أراضيهم ضيقـة، وأبناؤهم
كثيرون، ومع الزمن فـيـان هذه الأسرة
نـمت مع الألـاد الذين ولدوا داخل البيت
وخارجه، ودانـما تـنـجـنـجـنـبـيـذاـمـرـكـزاـ
ومـعـتقـاـ، وافتـقـرـواـشـيـثـافـشـيـتاـ، تـركـواـ
الـأـرـضـ وـهـاجـرـواـ، ثـمـ عـادـواـلـيـمـوـتـواـفـيـ
أـرضـ شـيلـ، المـغـرـبةـ».

كانت الأم مدرسة، وتوفيت بعد شهر واحد من مولود نيرودا، صريحة مرض السبل، ولم يعرفها الطفل إلا من خلال صورة كانت معلقة، في المنزل، ويصفها بانها «سيدة تحيفة، متأملة ترتدي ملابس سوداء». ولما ذكر عنها الاهداء

وبالقدر نفسه كان يسهل عليه أن يغير اهتمامه لأنشئاء عديدة في الوقت ذاته، وتذكر مرجريتا أجرير، وعملت كاتبة لفترة من الزمن، أنه كثيرة ما كان يقوم بأنشئاء متعددة في وقت واحد، فهو يملأ عليها رسالة، أو خطبة، أو محاضرة، في الوقت الذي يوجد فيه الجنائي الذي يعني بالحقيقة كيف يخطط للإذلال، أو يقوم بسرقة على الهاتف، أو ليعطي أمراً، ثم يعود فيعمل عليها من جديد دون أن تكون في حاجة لكن تقرأ له الفقرة السابقة، ويحدث الشيء نفسه في الاجتماعات، سياسية أو اجتماعية أو أدبية، ويستطيع أن ينتقل بالحقيقة من لغة إلى أخرى، الفرنسية أو الانجليزية أو الإيطالية، أو البرتغالية، أو الإسبانية لغة، سهلة، دون جهد.

يتحفظ مع الغرباء عنه، ومع أصدقائه
مخلص بقوته يحب أن يراهم سعداء
ومتزوجين، لا يكاد يرى أحدهم يعيش
وحيداً أوعزياً حتى يبدأ في البحث له
عن زوجة، أو صديقة، أو رفيقة،
واستطاع أن يزوج كثيرين منهم،
زيجات فشل كثير منها ونجح بعضها،
يقول في إحدى قصائده:
«أنا أبغض شاعر يزوج، لدى
فتيات لكل الرجال».
كريمية على نحو لايصدق، ويشعر
بخيبة أمل مريرة، عندما يزني الآخرين
على التقىض، يحب رفقاءه، ويغفر لهم
أخطاءهم، ولكنه لا ينسى خداعهم أبداً،
وعندما يخدع فإنه غضبه لا يجهل قدره،
ويتنسب كل فضل إلى بيده، وعندما
احتفلوا به في عبد ميلاده الخمسين صاح

الصورة.

ملانا أمتنا له، وغمرته بحنان موضعه، فقد

أمه:

زوج أبي

حلوة كنسمة الشمس الدافئة،

في المناطق العاصفة..

ناعمة تحرق كى تضى»

ليرى الجميع الطريق،

أمى ياحلوا!

أبدا لن أقول:

زوجة أبي!

وماتت زوج أبيه بعد أسابيع قليلة
من موت أبيه، وجمع بينهما الموت كما
جمعت بينهما الحياة.

جرت طفولة نيرودا فى «تموكو»
قرية على الحدود كانت يومها أكبر من
قرية وأصغر من مدينة يتراوح سكانها
بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف شخص،
وتضم الان أكثر من مائة ألف، مدينة
مزدهرة، فيها فنادق فخيمة، ومدارس
جديدة وشوارع فسيحة مزدحمة
بالحالات التجارية، ومع ذلك لم يختلف
فيها القديم كلياً، البيوت العتيقة من
الخشب، محطة السكة الحديد، مطاعم
السمك، السوق، الكنيسة، ولا تزال أسرة
نيرودا تملك البيت نفسه الذى أقضى
فيه طفولته، ولو أن الزمن أتى على
الطابق الثانى منه وبالتمامى على
الغرفة التى كان يسكنها نيرودا،

ومع أن هذه الدار تبدو الان متواضعة
ولكنها فى تلك الأعوام كانت بيئاً
كبيراً بقاعاتها الظلية، المطبع فيها
ضيق ومتند، والفناء مملوء بالأشجار
والمياه الجارية وعرائش العنبر،
والأشباب المتسلقة، وشجرة غرسها

وكان الأب عامل فى السكة الحديد،
وحدث نيرودا قليلاً عن طفولته والده
فقال: كانت الحياة قاسية على صغار
المزارعين في وسط شيلان، وكان جدى
يملك أرضاً قليلة، وأنجب أولاداً كثيرين،
فترك والدى أرض أبيه، وعمل في سدود
ميناء تلكرتون، ثم انتهى به الحال عاماً
فى سكة حديد تيموكو».

وكان الوالد فيما يبدوا وقوراً،
ومتسطاً، ومارس تأثيراً قوياً في ابنه
الشقيق، وأراده أن يكون قوياً وصلباً
ومنتقشاً، ولم يستطع أن يفهمه عندما
أراد أن يكون شاعراً، ولم يفهم ابنه
الطرى العود، الرومانسى الحال أبداً،
ولم يرض عن اتجاهه، ولم يفتح ابنه
قلبه لأبيه، أبداً، خلال الأعوام، ومبر
الزمن كتب عنه:

سائققطار بحار على الأرض،
وفي الموانئ الصغيرة، بلا بحار
يمضيقطار مطلقاً عنانه،
مكملاً رحلته،
وعندما يلقى مواسيه مستريحاً
يجتمع الأصدقاء،
يدخلون، وتتنفتح أبواب طفولتى،
وترتजع المائدة،
من قبضة عامل سكة حديد.
وتلتلاقى في كنوس الأخيرة،
ويعلم شعاع مين العالم،
ووالدى الغلبان القاسى
كان هناك محور الحياة
والصداقة والرجلولة، والكأس ملائكة،
يمكن القول أن نيرودا وقد ماتت أمه،
وصعب عليه التلاقي مع أبيه، أمضى
طفولة مغامرة، ولكن زوج أبيه كانت

نيرودا حين كان طفلاً.

كان نيرودا يزور بانه لم يعش في
بيت مبني من الطوب وإنما مصنوع من
الخشب المقطوع حديثاً من الغابات، يقول:
«كان حبي يتضاع خشباً وأصبح الخشب
صورة مكرورة، في أشعاره، وأحس بان
الخشب خالد، أنه رمز المستقبل، على
النقىض من المطر الذي كان مخرباً
وعابثاً».

خشب البيت

يعقب بأربع الغابة
غابة خالصة

ومن تلك اللحظة فإن حبي
ينتضاع خشباً
ومآلمسه يصبح غابة».

أمدت الغبة نيرودا بالصمت وجوهر
الأشياء، وفيها مظل خالداً، ويزر الغابة
جزءاً منه وأنه جزء منها:
أى مما أعرف
ومما تعرفت عليه
من بين كل الأشياء
 فإن الخشب أفضل صديق لي،
أعرفك، أحبك، رأيتك تولد أيها
الخشب، ولهذا،
إذا لستك ترد على،
تظهر لي عينيك واليافك،

ورغم أن نيرودا له أسرة كبيرة،
وبيت ومدرسة وأصدقاء، كان في تلك
الأيام وحيداً، وحدها تعود في جانب منها
إلى أنه يختلف عن الآخرين، وبالتأكيد
كانت له هوايات تافهة كبقية الأطفال
ولكن رفقة قليلة ثقافية أو ماطفية، حتى
فيما بعد في وهو في العشرين من
عمره، وبين كتب أشعاره الأولى لم
يفهم أحد، خلال تلك الأيام نما الشاعر.

«يرتدى ملابس سوداء، حزين
بقوة، حزين لأعلى أحد، وإنما للألم
العامي».

هذا الصبي الحيى المفتون بالطبيعة،
والجائع إلى الجمال، يجده بين فراشات
الارض وأصداف البحار ونوادر
الطيور، أقام صلة قوية مع عمال القطار
الذى كان يقوده والده، ومعهم أحسن بانه
قريب من كل البيسطاء فى شيلى كما كان
يدعوهم، وفي هذا البلد القريب من
الحدود، كان يوجد أسبان وإيرلنديون،
وبولونيون وهنون حمر ألقابهم
متواضعة وغامضة، وتفرج منها رائحة
الخشب والماء، وقد اختلفت التعاليم
الطبقية بين الجميع أمام الفقر والظلم
وقسوة الحياة.

بدأت الحياة الأدبية لنيرودا مبكراً
 جداً، وهو في اخر طفولته وأوائل صباه،
في الثامنة أو التاسعة من عمره، بالكاد
قد تعلم الكتابة، وعانياً مرتة شعوراً
غيريناً، وأحس بضرورة أن يدلّق على
الورق، ويظن نيرودا أن قصيدة الأولى
ولدت هكذا.

«...أحسست مرتبة شعور متواتر،
رسمت بعض الكلمات الموقفة، ولكنها
غريبة عنى، تختلف عن اللغة اليومية،
ورتبتها في ورقة نظيفة، وأسير رغبة
عارمة، ومشاعر أجهلها حتى هذه
الساعة، مزيج من الحزن والتعاسة، كانت
قصيدة مهدأة إلى أمن التي عرفتها، أي
إلى زوجة أبي، وظلّها الناجم حمى
طفولتي، وعندما كملت حملتها إلى
والدي، كان وزوجة في المطبخ، في حديث
هامس، ومددت لها المورقة، وفيها هذه
السطور ولازال مسيطرها مع زيارة



الإلهام الأولى، وأخذها والدى بلا ممتلكة،
وبلغ عنها قرأتها، وردها إلى قائلة:
ـ من أين نسختها؟

ثم تابع الحديث مع زوجه، عن
م الموضوعات مهمة وبعيدة هكذا فيما يبدو
لى ولدت القصيدة الأولى، وهكذا أيضاً
تلقى أول خبطة من النقد الأدبى.

ومع ذلك واصل نيرودا كتابة الشعر
بتوقيع مستعار وبعيداً عن والده،
وشقق ب حياته الأدبية، ويصف نفسه
بأنه في تلك الفترة من عمره وقد تجاوز
سن الطفولة أصبح صامتاً وحزيناً،
فوضواها ومتناضلاً في الوقت نفسه، وأخذ
يشارك في المهرجانات الشعرية التي
تقام في المدرسة أو المدينة، وفي
السادسة عشرة من عمره أصبح
سكرتيراً مساعداً لجمعيّة الطلاب،
وكانت قرعاً من اتحاد طلاب شيلي،
وكان هذا حدثاً مهماً في حياته، فلأول
مرة سوف يصبح صاحب وجдан سياسي،
ومن ذلك الوقت أصبح مراسلاً وموزعاً
لصحيفة «الوضوح» CLARIDAD التي
يصدرها اتحاد طلاب شيلي، وكذلك كل
نشراته.

وفضلاً عن هذين الصديقين بدأ
مدارس اللغة الفرنسية في الليسية
يعيره كتب الرامبو وبودليير، وكان
نيرودا ينسخ تصانيمهم في دفاتره،
ولازماً أخته لورا تحتفظ بها حتى الان
في تيموكو، أمضي نيرودا طفولته
وجانباً من صباه، نشاً، وأصبح رجلاً،
وعرف في طفولته فترات سعادة دون
آذني شبك، وعرف معها الوحدة أيضاً،
ومع ذلك فإن أهل المدينة الطيبين،
وأمكنتها وأحداثها، غرسوا في هذا
الطفل بذوراً كونيت فكره، ومن ثم
الرجل «الطلبل الصفير، النحيف
الحال، شاعر حبي، من أقوى متواضع
من الجنوب».

ولكن ما أسرع ما أصبح مكافحاً
سياسياً، ومناضلاً اشتراكياً، وشعراً ذا
سمعة عالمية.
ولذلك قصة تروي، وحديث يحكى،
وموعدنا بها أعداد قادمة!!

وفي تلك الأعوام وصل إلى تيموكو
رجلان كان لهما تأثير بالغ في حياة
نيرودا هما خوسيه سانتو جونثال،
قدم من سنتيAGO العاصمة، لكي يختفى
في هذه القرية النائية، هارباً من



«حكاية وهم» لأحمد المديني:

الانشقاق في السرد

د. محسن جاسم الموسوي

فالنص يبتدئ وينتهي أسلوباً وقضية بـ(الاختفاف)، الذي تلجمَ إليه الدكتاتوريات، وبينما يتحرك صوت المؤلف بين الحضور والغياب بي الظهور والتلاشي، تظهر الأفكار الأساسية أو التوبيخ التي تحرك نحوها السرد:

* فالدكتاتوريات هي التي تمحو وتخفي وتتصفي (من ٨)

* وهي صاحبة الدعاوى الفارغة بالمشاريع العظيمة (١٢)

* وهي أيضاً صاحبة (المقارب الجماعية) (١٧).

* وهي صاحبة أجهزة القمع لاستنطاق كل شيء حتى الاحلام (ص. ٤٠).

حكاية وهم لأحمد المديني (دار الأدب ١٩٩٢) من الحكايات شديدة الوظيفية وعلى الرغم من أنها زادت في العنوان بين الحكاية والرواية فهي ليست منها تماماً: إذ أن حكاية وهم تكاد تكون لعبة أخرى لـ (تحريك الذاكرة المطموسة، ص ٢٣) الساقطة في النسيان لدى القراء العرب «وهي جراء وعيها الكلي بذاتها تعدد (رواية نص) أو (رواية مغايرة) تعتمد استراتيجيات انشقاق على المألف والمقبول لتعيد الانتباه إلى نعطف من أنماط السلوك الاستبدادي البائسر في (الدولة) الحديثة، أي تصفية الخصوم وادعاء اختفائهم:

العمومي والراوى وشاتم البحر، كانت هذه التمظهرات، إسلوبية والكلامية تقدّد دائمًا إلى تعطيل لحظة الانكشاف أو غلقها، ودفع الراوى إلى اليأس، ولنفترض انتهى لم أجد أى حل فسأذهب في النهاية عند المؤلف وأقول له بأننى لاطاقة لي بهذا الإضهاط النهاية مشكلتك- ص ١٢٤:

لكن المشكلة ليست مشكلة المؤلف وحده، فالرواية برغباتهم مرة وبتعزفهم للضغط والتتمويه مرة أخرى- يؤكدون صوت المؤلف في ثنائية التصرير والتلبيع، المجاهدة والاعتراف، لكنهم يتباينون في مادة السرد لا في أسلوبه إذ أنهم يجاؤن أيضًا إلى المتابعة وال ked والاستقصاء واستعمال مكونات السرود، أما تقويضهم للملامع والمكونات التقليدية للشخصوص المعنيين المشمولين بالسرد فلا يعود أن يكون طمساً يعتمد المؤلف في النص؛ لكن هذا الطمس يتفق مع الطمس الذي تعتمده واقعاً سلطة الاستبداد. فالطمس يعني نتيجة من نتائج التصفية. كما أنه غاية من غايات السلطة المستبدة والقمعية التي ترى وجودها بزوال الآخر. فالورقة البيضاء التي يلوح بها الراوى هي اعلان بالطمس الكلى الذى تجلجأ إليه السلطة، ليس إزاء الخصوم فحسب وإنما إزاء الراوى نفسه، فهو بمثابة الرغبة التي لا تردو التي تفصح عن اصرار السلطة القمعية على افراج الذهن من آية قضية، أذ (يعمل في مصالحتنا رواة دقبنون كلنا واحداً منهم قبل خروجه) إعلامنا بتنتقالتك اللاحقة- ص ١٣٠)، فاقتحام المساحة المحرمة محظوظ، والسلطة القمعية تريد الأذعان والرطوش

* وهي الماهرة في الكائنات السرية الغامضة) التي تجوب الشوارع ليلاً ولابراها أحد- ص ٢٤

* وهي التي تلغى وجود الآخرين (ص ١٨).

* وهي المختصة بتصفية من يشتمن (البحر).

أى من يشتم سنتها وأقطابها (ص ٦٤).

* وهي المختصة باستئجار الرواة من المزيفين والساقطين (ص ١٢).

وبينما يصبح موضوع موضوع (الاختفاء) مادتها الأساس تستعين حكاية وهم على لسانية حرف نوايا الكاتب بعدد في استراتيجيات الانشقاق مرة وبتعددية لسانية مرة أخرى داخل أصوات الرواة، (الأربعة أو الخمسة) الذين يستندون إلى غيرهم من الموروث والحكاية الحديثة؛ إذ يمكن أن يكون الراغب الأصبهاني أو الجاحظ أو أحمد الدينى في الجنائز أصواتاً مدخلة في أصوات أخرى تتبع توسيع الأفق الكلامي للنص وحرف نواياه المباشرة في آن واحد. إذ يقود التوسيع إلى (التضليل- ص ١٦)، لكنه يمكن أن ينبع أيضًا إلى أن الروى يتناقض قيمة ودقة بمرور الزمن، وهو ماتعول عليه دائمًا سلطات القدر مصاحبة المصلحة في تصفية الخصوم والمنشقين وغير المرغوب فيهم في علية اليوم والملحقين:

وبينما تفصح السرود عن عدد من وجوه الاختفاء والتلفيقات المترتبة بها والظاهرة عن الخطاب الرسمي بأمتداداته وتمظهراته المتباعدة بخصوص (الاستاذ) والمعطى والموظف



آراء الآخرين فيه، فهو إلى (الخلط والمغالاة) — ص ٩، وهو خال من القصد: (أنه من الصعب معرفة القتل فقد تجر معرفته الهلاك أو الفتنة^٩) وهو مستجيب لأقوال الراشدين الداعين إلى الركون والاعتزاز فـ (العقل حقاً هو من يقعد في بيته ويراجح مكانه) — ص ٩ وهو معروف بـ (شدة السهو) فقد (بات الخلط عندي قاعدة لاستقرار للحياة بدونها) — ص ٨، وهو كأى (مواطن عاقل) متلزم بقواعد اللغة وأسراها لا يطرف له جفن خشية التأويل، وبذلك (لا يطوله ظلم) — ص ١٠).

لكن هذا التسفيه الذاتي يحمل في داخله مقوضاته، فكل نصيحة بالركون والاعتزاز مصدر وسبب، وكل اشارة إلى التقييد بما هو معلوم في الكلام ملة فالدكتاتوريات دمرت القبائل والناس (من ٨)، وليس هناك من سبب آخر لهذا الاعتقاد الا اذا افترضنا عودات الى (الاسطورة)، كما أن التثبت في المعلومات مستحيل، لأن شهوده في عدد

والرضا و(أعلم أننا أيضاً نحب النهاية السعيدة ١٣٠ من ٢ من لأصل في الدائرة الحمراء قائلاً (دفعني حبوري الى اطلاق سفير منكم ليترك مجالاً للشك في أنس واحد من الكائنات السعيدة الآلية)).
أما المغيرة والاختلاف فهما يؤديان الى (الانتباش) و(الفتنة) والسقوط (في شرك الاعتقاد) — ص ١٥).

أى أن صوت الساردي المؤلف يحقق سخريته البليطة في ثانية الحوار مرة ومقابلة حالي الانسان والرخص ونتائجهما مرة أخرى: فـ (الاعتقاد) ماهوـ الا نتيجة للاختلاف مع السلطة، تماماً كما أن (الحضور) نتيجة للخواص الذهني والرضا الساذج وشلل الارادة (انا مجرد شخص يعبر الشارع خارى الرأس) — ص ١٥)، و هو ما ينسجم مع نصيحة الادارة العليا (ص ١٣٠) إن الاحياء الموتى هم من تريدهم هذه الادارة ولتجنب الوقوع في شرك (الخطف)^{١٠} ومن ثم (الاعتقاد) يبتدئ الساردي بتسييف خطابه من خلال اتحام

وتوقف لتحرك، لأنها تتلوى في النتيجة تسفية كل ماهو يقيس ظاهري مسطوع أو ملقو، كما أنها تريد وخف الذاكرة (بما أن ذاكرتكم مطمسة يحتلها التسيان فقد تراخي انتباهم—ص(33).

لكن المكونات المذكورة تبقى قاصرة عن تحريك السرد ودفعه، لكونها مكونات خطاب أولًا قبل أن تكون أساسية في دفع متاليات الفعل، وبدون فعل أو مفاجأة يتكمش السرد أو يفقد وظائفه؛ لكن قصه المدیني تدفع إلى القراءة رغم ذلك، ولابد من معالج آخر جاء بها السارد—المتكلم قدرت على الإثارة ولفت النتباه.

إذ مهما ادعى السارد اختلافه مع النقاد ونظريه التلقى (ص(135) إلا أنه وضع ذلك نصب عينيه، فما وجد (الدافع) الروى، و(اللعبة) و(التبيشير)، أى أنه جاء بمولادات (الإثارة) و(التوقع) و(الحدث)؛ فالاختفاء هو القضية، كما أن أجواء (الحكاية) تجعل الروى متوقعاً ومرغوباً، فكلما اختفت الأجواء وكثر المحدود وشاع الإرهاب ظهر الخطاب المكبوح، وكانت أصوات الرواية والسايد (في المسك) مكبوبة بشكل أو بأخر، مباشر أو غير مباشر:

أما (الاختفاء) فقد شغله، كما يمكن أن يشغل الآخرين، دافعاً إياهم إلى سرد الواقعية المرئية ثم المسومة، ثم المنقول، وبعدها الملفقة والمدسوسة؛ لكن السارد—المتكلم المؤلف يريد إعادة البدء بنصية من الصفير، قبل أن تفقد الكلمات

الموتى والقتلى والمحزونين والمظلومين (ص(9).

وهو لا يتحرى الأسرار خشية أن يقوده التحرى إلى الهلاك أو إلى اتهامه بـ(الفتنة—ص(9)، وهو ماجز عن العلاقات؛ الكلام والتهاافت في (الهبات... محرم أو على الأقل خاضع لشروط محددة—ص(10)، والكلام يتبعى أن يكون معلوماً لأن له (حدوداً معلومة—ص(10)، والجموع لم تعد طبيعية لأن ماكينة الإرهاب والدعائية جعلت منها تعانى من (اهراء أموجاج) و(شحوب نصاعة انكماش انفراج)—ص(11).

وبينما يقيم الخطاب تعارضاته الداخلية وتقابلاته ينفرج ضمناً من سفيه آخر، أكثر سعة، يشمل العالم الذي يعنيه السرد ويشكله، فلربما حل (يسن) بالبشر، أو لربما عاد الناس لـحياة مندثرة، وإن نشرات الأخبار كانت تسرف في إعلان منجزات الدكتاتورية (منذ عهد عاد وشود والى أن ينفع في الصور—ص(12). أى أن السرد يبني توليدات دلالية وأخرى لسانية بديلة للوظائف تتلاكم عند مجاهرات السارد المتكلم كلما تقصد التسفية الذاتى لحرف نواياه وابعاد الشبهة عنه، فهو يقول (أنا لا هم لي سوى التبيشير بالقلق وتوجه اشتعمال الفتن، ليخلق بنفسه كاملاً أمام منتقديه، ساحباً البساط من تحت أقدامهم (لن يبالغ أحد إذا سماني الفتنة—ص(33):

لكن التسفية والتشكيك والوشوب والتراجع والسخرية والمشاكسة كلها معالم لسانية لاستراتيجية الانشقاق، فهي تميت لنونه وتتراجع لـتحفز،

وتتير (رواية النص) الأسئلة التقليدية رغم ذلك، فهل لها شخصية؟ أم هل أن شخصياتها مطموسة قصدًا؟ وشأن الروايات الواقعية بذاتها يظهر السارد بمثابة الشخصية الفاعلة ، وتؤكد كثرة اشاراته الى نفسه طبيعته مهما كانت استراتيجيات الغياب والحضور، والتراجع والهجوم، التي يلجأ إليها: فهو منشق على سلطة القهر، محرض عليها، عارف بأسرارها وأساليبها، مطلع على نواياها، ساخر من اعلاناتها، متوقع لاكتافها، وهو بعد ذلك يمسك بغيرات الحوادث والتفاصيل التي تفضح خطابها وماكنتها. أما الشخصيات الباقية ، ابتداءً من محرك شجون الاستاذ المخطوف، فلا تتشكل صورها لا من خلال السارد ورواته الذين تتداخل أصواتهم بصوته.

وبقى (رواية النص) ذات قضية ، تزدوج فيها الفكرة بالتبير الكتابي ، كما أنها ليست وليدة نفسها، لأنها تستمد قوتها من غيرها، سواء كانت هذه نظريات التلقى أو الكتابة أو الروايات والنصوص الأخرى، فالتناهى فيها لا يقيم نفسه على (الجنازة) للكاتب نفسه ويحيل عليها فحسب، كما أنه لا يستمد طاقته من الأصبهانى وأبى عثمان، وإنما للتأنس على تجربة عربية سابقة في زوايا النظرية، أبرزها ميرamar لحقوق، وعلى آخريات فى الأصوات وتعديدي القراءة للنص داخل النص، من بينها شطح المدينة لجمال الغيطانى وأوتار الغضب لمحسن الموسوى ولعبة النسيان لمحمد برادة.

عذريتها، ساعيًا إلى تفكك اللغة، والبدء في الورقة البيضاء أو الصمت. وبين مساعاه، ورغبة السلطان ثمة نطابق ولكن لغاية مختلفة. فبينما يريد السلطان (الصمت) لدوام ملكه ، يبتدىء به السارد- الكاتب لاستعادة الحياة إلى كلماته: ويلاجا السارد بعد دخوله إلى الخرق، فثمة دافع للكتابة (إن عنادي يظل يلح على—ص ٩)، لكنه يعي لاستراتيجية كاملة، فهو قائمة على المناورة والخداع، فلا حكاية (بدون خداع)، كما أن العلاقة مع المتلقى أساسها (انعدام الثقة) وليس الاحتمال (ص 28): أما المادة فمعنية بـ (التبشير بالقلق) وتوهم اشتئاع الفتـن—ص (33)، بما يولد (اللعنة) النص، وهي منتوج ماتعدد السلطة (خيال مريض)—ص 33. الروى أن الأصوات المدخلة في خطاب السرد تأتى في خطاب السلطة، أو في مكونات ألسنة الرأى العام.

و شأن (رواية النص)، فإن حكاية لهم ليست معنية بالشخصوص أو بالحكاية، فهي تقوض مواصفات الشخصية تصريحًا (ص ٧٥، ٧٤)، كما أنها تلف ضورات التوصيف الأخرى في أماكن وتواريخ. وهي ليست معنية بالبداية والنهاية. فالروى يمكن أن يبتدىء في آية نقطة (أنا لا أفهم أبداً معنى أن تكون لكل حكاية بداية في آية نقطة إذ ما الذي يعني أن تبدأ من وسطها وفي خاتمتها—ص ٢٨): لكن السارد اضطر إلى اعتماد الأصوات وزوايا النظرية في أن واحد ضمنها لاستمرارية السرد التي احتضنها كلام متصل في الزمن الحاضر.

كتاب خطرون على الكمبيوتر:

قمع الثورة التكنولوجية في أمريكا

ترجمة وإعداد:

محمد الظاهر ومنية سمارة

هذه الحرية تماما كما استخدم من أجل قمعها.

ففي الوقت الحاضر، يقوم المنفيون البنميون والصينيون بالتحايل على القيود المفروضة على مسحافة ووسائل اعلام اقطارهم من طريق ارسال القصص التي يمنعها الرقيب الى تلك الاقطارات عن طريق «الفاكس»، كمان الصحافة والمنشورات الاعلامية التي كانت محظورة في الاتحاد السوفيتي «سابقا» قد ظهرت إلى العلن عن طريق النشر المكتبي والكمبيوترات الشخصية، وفي نفس الوقت تمزج بعض العاملين النشطين في مجال الكمبيوتر في الولايات المتحدة في السجون وظائف الحرية المدنية اليوم، تدخل مرحلة الوسط التكنولوجي المتغير».

هذا هو ما كتبته «اثيل دي سولا بول» عام ١٩٨٣ في مجلة «التكنولوجيات والحرية». وأضافت: «بما أن الكلام قد أصبح الآن يت遁ق بشكل متزايد من خلال وسائل الإعلام التكنولوجية هذه، فإن حق المواطنين في حرية الكلام دون قيود، والذي استمر طوال القرون الخمسة الماضية، قد أصبح الآن عرضة للخطر».

ومنذ ذلك الوقت ظهرت واختفت اجيال عديدة من الكمبيوتر، الآن تحذير «بول» جاء ليقول بأن مجتمع الالكترونيات قد استخدم من أجل خدمة

لتجاوز اتهم وانتهاكم بحرمة هذه الأجهزة، في الوقت الذي كان فيه مكتب التحقيقات الفيدرالي «FBI» يقوم وبلا خجل بالتنصل من النشرات الإلكترونية، كما أمر شركة «DUN & BRADSTREET» بالكشف عن قاعدة بياناتاتها الرئيسية لرد التهمة الموجهة إليها، وهي وصول هذه البيانات إلى الاتحادات العمالية.

وفي محاولة من أجل فهم الثورة التي حصلت في مجال الحديث والكتابة وتفاعل كل منها مع الأخرى، أصبح يطلق على الكمبيوتر اسم «المكتبات» و«دور النشر» و«ساحات الهايدباريك» و«الراديوات المتكلمة» و«صالونات القرن العادى والعشرين». لكن الكمبيوترات تختلف كلياً من إسلافها، في إعطاء دعم الادعاءات بأننا لم نعمل شيئاً سوى إعادة تعريف وتوضيح المعلومة، والبحث والخاصية الثقافية، والحديث، والمجتمع، وحتى المعرفة ذاتها.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار معيار هذا التحول، فإن القوسي الدائرة حول طبيعة القوانين الحالية، وقوانين الحماية للحديث الإلكتروني لن تعود مدعامة للدشة والذهول. فالتغيرات التكنولوجية تحدث بسرعة كبيرة، وكما أشارت «بول» وكثيرون غيرها فإن سياسة الاتصال والتنظيم تأتي بعدها. لأن ما هو الدور الذي ستعلم به الحكومات في تنظيم وسائل الاعلام التكنولوجية؟ هل يامكانها تقييد محتويات وانتشار المجتمع الإلكتروني، أم أنها ستجمع المعلومات من هذا المجتمع الالكترونيات، مثل RESPONSIBILITY.

دون أي تحذير؟ ومنى يتتجاوز حقوق السرية والحاجة للأمن حق المعرفة والوصول إلى مصادر المعلومات؟ وهل ستعالج جرائم الكومبيوتر من خلال القيود الحالية أم أنها بحاجة إلى قوانين جديدة واستجابات جديدة لتحدي الكومبيوتر؟ ومن هو الإنسان المخول بالوصول إلى المعلومات التي تقدّسها الحكومة داخل هذه التكنولوجيا، وبأي شكل، وبأى ثمن؟ لكن السؤال الأكثر جوهريّة وأهمية هو: هل هناك ضمانت حرية التعبير؟ وإذا كان الأمر كذلك، كيف؟

لقد عادت الولايات المتحدة إلى القانون القديم الخاص بالصحافة ووسائل الإعلام، لكن الذين يقومون على صياغة الدستور، لا يمكن لهم أن يتذمروا بالإمكانات المستقبلية لهذه الأجهزة الالكترونية خاصة الكمبيوتر الشخصي والفاكسات، واجهزة تنقل الصوت والمعجزات الأخرى التي يمكن أن تحدث في هذا العالم الذي نعيش فيه. إن النقاش حول الكمبيوتر وحرية الكلام، أصبح يتزايد ويحتمد مع تكريس الحدث الالكتروني لوجوده في هذا العالم: فالحكومة والمؤسسات الخاصة لا تتصرف دائماً بشكل منسجم، خاصة فيما يتعلق بالأفكار التقليدية الخاصة بحرية التعبير. ونتيجة لذلك طالب السناتور «بوب باكروود» والخبير القانوني «لورنس ترايب» وعدد آخر من الشخصيات بأخذ تعديلات على الدستور من أجل أن يشمل وثيقة الحقوق لوسائل الاعلام الالكترونية، في حين بدأ عدد من المنظمات العاملة في مجال

الخاصة، ويمكن القول أن هذه القيود ستكون أكثر صرامة من القيود الأخرى المثلية المروضة على الحرية في العالم غير الإلكتروني.

ساحة (الاخ الأكبر)
الخاصة

إن الكومبيوترات الشخصية بالاشتراك مع خطوط الهاتف واجهزه التوصيل التي يطلقعليها اسم "MODENS" تساعد مستخدميه على تبادل المعلومات، ومن مناطق بعيدة جداً، وفي أي وقت، فبرامج الكومبيوتر التي يطلق عليها "BBSS" "BULLETIN BOARD SYSTEMS" قد تم تطويرها منذ مدة طويلة، لتحدث ثورة في مجال الكومبيوتر الشخصي، لتسمح لعداد كبيرة من مستخدميه بالاتصال مع الكومبيوتر الرئيسي الخاص، بـ "BBS" لارسال أو قراءة الرسائل من خلال نشرة اللوحة الالكترونية. كما أن البرامج الأخرى الاكثر تعقيد لتسمح للعديد من مستخدميه لأن يدونوا في أي وقت يشاءون معلوماتهم على الكومبيوتر الرئيسي، وأن يشاركوا في المؤتمرات، وأن يتبادلوا مع البريد الالكتروني، ويقيموا بشبكة الكترونية للمؤتمرات، وهذه الانظمة التي تسمح بالاتصالات بين مستخدمي الكومبيوتر عن طريق خطوط الهاتف، تعرف باسم «أنظمة الاتصالات المباشرة».

وهذه المعلومات التي ترسل عن طريق «انظمة الاتصالات المباشرة»

FOR «COMPUTER PROFESSIONAL ELECTRONIC» فى «بالوالتسو» بولاية كاليفورنيا «社会组织» ELECTRONIC «FRONTIER FOUNDATION» فى كامبريدج بولاية «ماساتشوستس» TRANSACTIONAL RECORDS و «ACCESS CLEARINGHOUSE» فى سيراكوز بولاية «نيويورك» بالبحث لاكتشاف الحدود القانونية والأخلاقية لهذه التكنولوجيا التى يطلق عليها بعضهم الفضاء الافتراضى «CYBERSPACE» «وأدب ونقد» تحاول من خلال هذا الملف الوصول إلى خلفيات النقاش المستمر حول هذه المنطقة الحرمة والمحظلة.

الدفاع عن
الحدود الجديدة

*بِقَلْمَنْ: كَلِيفُورْدْ فِيْغَالْوَهُ

الحق في حرية الكلام، وحرية الصحافة، تدخل الآن مرحلة جديدة من التحدى، فالتوسيع الكبير الذي حدث على الكومبيوتر كوسيلة للاتصالات في الولايات المتحدة، بدأ ينبع بحدود حملة شديدة من الرقابة، ومن عمليات الاستيلاء الانتقامية على بعض الأجهزة، وهذا يلقى ظلالاً من الشك والخوف على كل من الحكومة، ومصالح الشركات

ما من نظامه، وحين يواجه المشغل يمثل هذا الوضع يكون مخيرا بين امرين لا ثالث لهما، أما الكشف عن اسرار مستخدمي النظام او اجبارهم على التخلى عن استخدام نظام الاتصال المباشر.

وقد تأسست مؤسسة "FOUNDATION ELECTRONIC FRONTIER TIER" من أجل مواجهة انتهاكات حقوق الحفاظ على سرية المعلومات، وحرية الكلام و حرية الصحافة، وحرية الاجتماعات في عالم الالكترونيات. إن وجود انظمة الاتصالات المباشرة، أدى بالتدريجي إلى زيادة مجتمعات الاتصالات المباشرة، وأن المجتمعات الواقعية الجديدة التي تتشكل، تشكل حضوراً مادياً بسيطاً، كما أن الاتصال بين اعضائها، ما يزال يقوم على نفس نظم العلاقات والاتفاقيات، ونفس التوقعات من السرية وحرية الكلام التي كانت قائمة في المجتمعات الواقعية التقليدية. ولكن كلما زاد عدد الناس الذين يستخدمون الانظمة الالكترونية، كلما زادت وسائل جمع المعلومات، وزادت الاتصالات الاجتماعية والعملية. وزادت المشاركة في حلقات النقاش، وزادت التساؤلات حول ما هو مسموح به، وما هو غير مسموح بالحديث عنه من خلال هذه الوسائل.

كما أن المجتمعات الالكترونية لا تهتم أبداً حرية الكلام. فمالكون "PRODIGY" وهى من كبرى شركات انظمة الكمبيوتر، حيث يزيد عدد المشتركين فيها على ١٠٠٠٠ عضو، والتي صنعت هذا السوق الجماهيري لشركتى "IBM" و "SEARS"، يطالبون

معلومات الكترونية، ولهذا فإن تخزينها على الاقرارات المفاتيحية، يجعلها عرضة للقراءة، والتحوير، والنسخ، والطبع، والنشر والشطب عن طريق مستخدمي النظام، ومع ذلك فإن ابعاد هذه المعلومات عن متناول أيديهم أمر في غاية السهولة. إن سلطة المالك أو مشغل النظام في استخدام نظام الاتصال المباشر خلق العالم الذي كان يخشى الرواى الكبير «جورج أورويل» من وجوده، فها هو «الاخ الاكبر» يبرز الى حيز الوجود، ومن طريق الاخ الاكبر هذا يمكن فرض الرقابة والتلاعب والتحايل على الناس بسهولة مطلقة. وهذا الكلام يمكن أن يقلق مستخدمي نظام الاتصال المباشر، لكن مشغلى النظام الذين يحترمون حقوق المتعاملين معهم تساورهم أيضاً شكوكهم الخامدة.

فقد شهد عام ١٩٩٠ «ولادة قانون يفرض الاستيلاء بالقوة على معدات كومبيوتر خاصة بشركة "BBS" وأغلق بعض فروعها الصغيرة، وذلك لجرد الشك بأنه قد استطاعت من طريق التحايل تخزين بعض المعلومات الخاصة في أجهزتها. ويبدو أن رد الفعل الرسمي العنيف هذا، مبني على الجهل والخوف من قوة وكفاءة الكمبيوتر. أن مشغل النظام، أو المالك الذي يحترم حقوق الحفاظ على سرية مستخدمي النظام، سيكون عرضة لمصادر اجهزته ومعداته وأغلاق مصلحته، وذلك لجرد امتلاك شخص ما، غير معروف له، بان هناك معلومات غير شرعية موجودة في مكان

الاكترونية الخاصة يجري اعدادها للغات التى لا ترغب فى جعل نقاشاتها علنية. كما أن "THE WELL" تضع كل المسئولية بالنسبة لكلمات التى يتم بنها على عاتق نظامها وعلى عاتق المؤلف، وتزيل فقط الاشياء العلنية التى تحتوى على الموارد التى تتعارض مع القانون بشكل مسارع، أو الموارد ذات الجانب التشهيري. أن سنتين من النقاشات العلنية حول حرية الكلام فى "THE WELL" قد اثمرت افكارا غنية فيما يتعلق بمستقبل عالم الاتصالات الالكترونية دون رقابة.

تصميم أنظمة الحرية

كما أن سياسة النظم يجب أن تدافع وبشكل علني عن حرية الكلام، وتدعم في نفس الوقت إلى وقف الهجمات على هذه الحرية، وأن تقدم الدعم لكل المشاركين

بحقوق المؤلف، ويعاملون مستخدمو
انظمتها كاهاداف اعلانية ويسمحون
فقط باشتراك الناس الذين يرى هؤلاء
المالكين، باتهم جذابون - أو غير كريهين -
على الأقل، والذين لا يمكن أن يشكلوا
خطورة على أهدافهم التسويقية، أو
مصالحهم، ولأن مستخدمي النظام لا
يعرفون ما الذي تعنيه هذه الكلمات أو
هذه الموضوعات، فانهم يصبحون غير
مقبولين من قبل مالكي هذه الشركة. أما
الحررورون الذين هم يتأمس الحاجة الى هذه
الامتيازات فإنهم يوقعون على تعهد
قطعي بفرض الرقابة على كل القضايا
التي يمكن أن تكون سبباً للاشارة
التساؤلات: مما يجعل النقاش حول حقوق
المستهتررين واستخدام ماليوزى الى
الاهانة، أو التقد، عرضة للرقابة من قبل
"PRODIGY" كذلك وقع كل مستخدم على
تعهد مكتوب، بعدم اظهار المواد التي لا
يتوافق عليها محربو "PRODIGY" إلى
العلن. أما الخيار الوحيد المتبقى أمام
هؤلاء المستخدمين غير الراضين، فهو
التخلّي عن نظام الملكة الخاصة.

إن نظم المشاركة الحقيقة، ذات القيمة الكبيرة، بالنسبة لمستخدميها، حيث تسمح لهم بإقامة قواعد ومعايير للتطور من خلال تفاعل المجموعات، عن طريق الأفراد المشاركون في النظام. وهذا هو ما يتم تطبيقه في مؤسسة "WHOLE EARTH ELECTRONIC LINK" المعروفة باسم "THE WELL" في سوز إلبيتوبولية كاليفورنيا. وحين تواجه هذه المعايير والقواعد تحديات ما، يتم إجراء نقاش علىي ومتخوض من أجل إيجاد الحلول للقضية. أن مجالات الاجتماعات الخاصة، محالات تبادل المعلومات

خوف وأشمئاز في سان فرانسيسكو.

بقلم: جون بيرى باولو

في أواخر نيسان-أبريل-١٩٩٠، ثم استدعاء «العميل الخاص» ريتشارد باكسنتر إلى مكتب التحقيقات الفدرالي «على وجه السرعة من أجل التحاور معه في قضية على درجة كبيرة من الأهمية، وقد تبادر إلى ذهنه أن قد قام بارسال إشارة خطأة لذلك المكتب، ولذلك حمل نفسه في عيد العمال، واتجه مباشرةً إلى بيتسبرغ بولاية «يويمنينغ» وهي مدينة صغيرة تستهر بتربية الماشي، وتبعد مسافة ١٠٠ ميل عن مكتب في «روك سبرينغ»، وهو المكتب الذي يقوم فيه بإجراء التحقيقات مع لصوص الماشي وبعض الجرائم الأخرى، وقد حمل معه كومة من الوثائق من مكتب سان فرانسيسكو، وتلك قلقة كبير بخصوص محتويات هذه الوثائق.

لقد تراس المكتب إلى تلك المنطقة من أجل معرفة ما إذا كان عضواً في «عصبة نوبروميثوس» "NUPROMETHEUS" أو كما يشار إليه مارارا «عصبة نيوبروسثيس» "NEW PROSTHESIS" LEAGUE، وحسب ما قاله زملاؤه في سان فرانسيسكو، فقد كان هذا عبارة عن جمع لمعلومات إرهابية تمت سرقتها، وتم توزيعها بشكل كبير، وقد تم ادخال هذه المعلومات إلى كومبيوترات «أبل ماكتوش» وقد وضعت هذه المعلومات في شيفرة المصدر، ومن المصدر بامكان

فيها، ويترتب على مديرى هذه النظم التمهل قبل اصدار قارات طرد الاعضاء من هذا المجتمع فالمسؤولية التي وضعت على عاتق النظام يجب أن تبقى مسؤولة المؤلف، أما مضايق أحد المستخدمين لستخدام آخر يجب إلا يسمع بها سواء كانت هذه المضايق علنية أم سرية.

إن خلق وابتكار مواد الأغراض الخاصة عن طريق برامج الكومبيوتر سوف تتبع أمكانية تسخير التكنولوجيا حل المشاكل الاجتماعية، أما الناس الذين يجدون انكاراً أو ملاحمات لا يمكن احتمالها، فبإمكانهم استخدام الفلت لتتجنب ذلك الشيء الذي لا يفضلون رؤيته ونفس الفلاتر بالإمكان استخدامها الجماع كل الأسهams من الشخص الذي يطرح افكاراً قيمة، كما يتوجب على الأفراد أن يضعوا بأنفسهم الحدود الخاصة للرقابة دون تجاوز قيم المجتمع ككل.

باختصار، فإن نفس المظاهر التي يجدونها يمكن أن تسمع بانتهاك السلطة لهذا المجال عن طريق السلطة القانونية أو مالكي النظام، يمكن أن تستخدم لبناء النظم التي تسمع بأكبر وأوسع اختلاف ممكن في وجهات النظر والنقاشات، وقد جدت الامكانيات التكنولوجية من أجل خلق مجتمعات الكترونية، تكون الناس - بشكل سهل أو جيد - من خلق عوالم معلوماتهم الخاصة

دراير».

ومن خلال مجريات الحديث الذى دار فى هذه المقابلة استطاعت أن تدرك أننى أصبحت شاهدا على حالة تكنولوجية يفرض عليها القانون الامريكى بالقوة، لقد كان «باكستر» وحده تقريرا باهى هذه القضية المحيزة والمرتبطة المتعلقة بالشريعية والتكنولوجيا، وما يمكن أن يطلق عليه مجازا جرائم المعلومات، وأن عدم انتظام الحكمى لهذه القضية التكنولوجية لا يشكل سوى قمة الجبل الجليدى الذى لا يظهر منه سوى هذه القمة.

وقد اكتشفت من خلال النقاش الحال معه عدم فهمه للفارات التى قام البوليس السرى بشنها قبل فترة وجيزة على بعض الشبّال باللغتين بالكمبيوتر، والذين التقى بهم خلال الاجتماع الذى نظمته مجلة «هاربر»، والذى عقد تحت عنوان الكومبيوتر والحرية، فقد كانت معظم هذه الفارات موجهة ضد شباب صغار لم يبلغوا الحلم بعد، وقد صنعت هذه الفارات لتكون مناسبة مع هذا السن، وتحت غطاء أن هؤلاء الصغار يعملون فى منظمات ارهابية، ويطلقون على أنفسهم اسم «جودة الموت»، «LEGION OF DOOM»، لكن الحقيقة أن هؤلاء الصغار لم يكونوا يشكلون أى اذى، أو حتى أى مصدر أزعاج.

اضافة الى ذلك فقد صودرت معداتهم بشكل كامل، حيث تمت ازالة كل المعدات والأدوات الالكترونية من الكمبيوترات، وتم فصل الهواتف، اضافة الى الاستيلاء على كل اقراص التخزين واقتران الصالات والألعاب والاشرطة، فقد دخل هؤلاء العضلاء

المرء أن يصنع فيشه "ROM" التي تشتمل على المعلومة التي يستخدمها الكومبيوتر من أجل تشغيل نظامه، ومجرد الحصول على ما يأكلى من هذه المعلومات يجعل الشركات الأمريكية الكبرى عرضة للزوّال بفعل هذه العاصفة.

لقد طلب أن يتحدث معى حول هذه القضية لأنّه كان قد عرف اننى كنت عضوا في منظمة أخرى سرية « مشابهة أو متعاطفة مع (نوبروميثيوس) تدعى «هاكرز كونفرنس» HACKER'S CON-FERENCE».

لقد كانت مهمة العميل «باكستر» معقدة للغاية، وهذا يعود إلى غربته فى مجال تكنولوجيا الكومبيوتر، فلم يكن يعرف عن ذلك إلا القليل، أما مكتب سان فرانسيسكو، والوكالة الامنية الخاصة بشركة «ابل»، فلم تقدم له سوى القليل من المعلومات.

فقبل عام من هذا التاريخ، قام شخص اطلق على نفسه اسم «نوبروميثيوس» بتوزيع تصاصات من شيفرة المصدر الخاصة بـ "MAC OS". لكن الشيفرة التي تم استرجوابها حولها كانت جزءا من مشروع أولى "QUICK DRAW" ولا فائدة ترجى منها فى صنع فيشه "ROM" وبما أنّه كان هناك اجتماع «هاكرز كونفرنس»، فان هذا الاجتماع لم يكن سوى اجتماع سنوى للعاملين فى نظام «الديجيتال» وقىلى للعميل «باكستر»، ايضاً أنـ الـ "AUTODESK" ناشرـ الـ "AUTO CAD" ماهـوا الا شخصية كبيرة فى النظام الدفاعي لـ «حرب النجوم» وهذا يعنـى أنه موظـف ادارـى كبير. وهذا الموظـف لن يكونـ سوى «جون

ومحام آخر هو «اريک ليربرمان» عن كل ما عرفته عن الفارات الحالية التي تشنها الحكومة على «القضاء السيراني»، وقد كان أقل تفاؤلاً مني، وحين بدأنا الخوض في الأمر، وجدنا الكثير من اشارات الإنذار التي تحذرنا من الشروع في هذا الأمر.

السريون إلى هذه الاماكن، كما يدخل
قطاع الطرق، الذين يصادرون كل ما تقع
عليه عيوبهم، دون أن يصدروا أى أمر
بالقاء القبض عليهم، فهناك العديد من
أصدقائى من اعضاء «جوقة الموت»
مازالوا امنذ أكثر من عام ينتظرون
اعادة الاجهزة المصادرية إليهم، أو تلقى
الاوامر بالقاء القبض عليهم.

الدستور: يجب
إسترداد الوثائق

لقد كانت هناك مثلاً، غارة على "STEVE JACKSON GAMES" وجاكسون هذا الذي جاء من تكساس، هو ناشر عدد من العاب الكومبيوتر ففي الاول من اذار-مارس ١٩٩٠، قام بعض العملاء التابعين للبولييس السرى الامريكى بزيارة مكاتبته، وقاموا بكسر العديد من خزانات ملفاته المفلقة، وأخذوا معهم ثلاثة أجهزة كومبيوتر، وطابعتى ليدز والعديد من «الهايد ديسك» إضافة إلى عدد كبير من صناديق الاوراق، والعديد من الأقراص البتنة.

وقد أصابت الدهشة جاكسون هذا،
وحين سال العلامة لماذا قاما بالانقضاض
عليه بهذه الطريقة، اخبروه أنه كان على
شك أن ينشر كتاباً عن جرائم
الكومبيوتر، وساعدوا كون محرره عضواً
سابقاً في «جوقة الموت»، لم يكن هناك
ما يدفعه إلى القيام بهذه الغارة على
الكومبيوترات وحتى لو كانت هذه
التهمة صحيحة، فإن الدستور يسمح لنا
بطباعة كتب تتحدث عن صنع الأسلحة
النووية، ويعارض أى عملية قمع لآى
مطبوع وـمع ذلك، فقد قام رجال

المزيد من الجهل

لقد ساعدتني هذه التجربة
الممبل (باقسترا) على الإدراك أن
الغارات التي يشنها البوليس السرى
فى المنطقة مبنية على الجهل وليس على
الحقد، إنهم لا يعرفون ما الذى يبحثون
عنه، لذلك يقولون بأخذ كل شيء حتى
أنهم يقرمون أحياناً بمصاردة المكانس،
فهم لا يستطيعون التمييز بين أدوات
الكتنس وبين الأدوات التى يتحتم عليهم
أخذها، فقد بدا لي أننى أشاهد بداية
نوبة جنون وفوضى حكومية، تكون فيها
حرية أي فرد عرضة للخطر.



يلقب بـ «أورفيلي» و «آدم غرانانت» آخر يدعى «اليسارى»، أما الكومبيوتر الذى قاموا بسرقة هذا الملف منه فهو كومبيوتر غير محمى، وبإمكان المرأة ان يدون عليه ما يشاء دون التعرف على كلمة السر الخامسة به، ولم تكن هناك أية معلومة على الوثيقة التى لم تكن متاحة للجمهور لدى شركة "BEII CORE".

و مع ذلك فقد قرر الموظفون الامتنيون فى "BEII SOUTH" اقنانع البوليسى السرى انها أحدى المواد التى بامكان نظام تليفون الطوارئ الذى يملكه أى مواطن من امتلاكها، وقد قدروا قيمة هذه الوثيقة بـ ٧٩٤٩٩٠٠ دولار.

و مع مرور الوقت اكتشفت "EFF" بأن هؤلاء اللصوص قد قاموا بالتحايل على الكومبيوتر، عن طريق الخداع المائنى، أو شيفرة الاتصال أو النقل من ولاية الى أخرى، فيما يتعلق بالمتلكات المسروقة، فقد قاموا بارسال هذه الوثيقة الكترونيا الى شاشات نشرات الكومبيوترين فى ولاية «لينوى». وقد كان هؤلاء الصبية مجرد طلاب ليس بامكانهم تحمل التهم الموجهة ضدهم، إضافة الى أن محاميهم القانونيين والقاضى الذى يبت فى القضية لم يكونوا يعرفون شيئاً عن الكومبيوتر، وقد حكم عليهم بدفع تعويض قدره ٢٣٢ الف دولار، وهو قيمة الوثائق التى سرقوها، وقد حكم على كل من «غرانت وداردن» بالسجن لمدة اربعة عشر شهراً فى الإصلاحية، وحكم ويخت بالسجن لمدة اثنى عشر شهر اكحا حكم عليهم بعدم استعمال أى كومبيوتر، قبل مرور و عامين على اطلاق سراحهم.

البوليس السرى باخذ كل ما يتعلق بموضوع الكتاب، بالرغم من كون معظم النناصر الالكترونية لهذا الكتاب، ماتزال فى بداية مرحلة التطوير.

ونتيجة للفحب الشديد الذى امتلاك به نفس «جاكسون» قام بادارة تجميع اجزاء الكتاب مرة أخرى، ومن الذاكرة، لكن التأخير فى اصداره كلف مؤسسة جاكسون ١٢٥ الف دولار، واجبره على الاستفناه عن نصف طاقم العمل الذى كان يعمل معه، أما معداته فلم يتم إعادةتها له الا بعد مدة شهور، بعد أن قام مكتب التحقيقات الفيدرالى بالاصلاح على كل جزئياتها، مما جعل العديد من هذه المعدات والاجهزة تصاب بعطب يتغدر اصلاحه.

ولم تعرف الا منذ فترة وجيزة، أن البوليس السرى كان يبحث عن وثيقة أصبحت مشهورة الان فى دوائر الامن الخاصة بالكومبيوتر وهذه الوثيقة تدعى «الملف ي ١١١ FILE»، وهو معبارة عن ملف من سبع صفحات يحاول أن يوضح الخطوط البريضة لاجراء اطلاق ادارية ومسؤوليات التسويق والخدمات واحراز "BEII SOUTH'S" التقدم وبرمجة نظام ٩١١ وهو رقم الطوارئ لتليفون الشركة الإقليمى.

وقد ثبتت سرقةه من شركة "BEII SOUTH" للكومبيوتر فى كانون الاول - ديسمبر ١٩٨٨ عن طريق ثلاثة من الصبية الذين يتعاملون فى هذا المجال فى اتلانتا وهم «روبرت ريفز» الذى يدعى «النبي» و «آدم غرانانت» الذى كان

أما الشخص الآخر الذى احترق بنار هذه القضية، مجرد وجود صلة له بالملف فهو «كريغ نيدروف» والذى (E119) يُعرف أيضًا «نایت لايتتنج» "KNIGHT" "LIGHTNING" وكان قد وجد هذه الوثيقة على شاشة نشرة «الينوى» حين قام ريفز بديثها عليها ومثله مثل ستيف جاكسون، كان نيدروف ناشراً لمجلة ل القراء الشباب الذين يمتكون UNIX أو شبكة الكومبيوتر الموسعة التي تعمد على النظام الهاتفى والكمپيوترى وقد ظن نيدروف أن قراءه سيجدون متعة عند قراءة هذه الوثيقة ولذلك قام بنشرها، وببناء على قانون حفظ الملكية فقد أتمه بنقل ممتلكات مسروقة من ولاية إلى أخرى، حيث من المحتمل أن يحكم عليه بالسجن لمدة ٣٠ عاماً، مع تعويض قدره ١٢٢ الف دولار، وقد تم الاستيلاء على أجهزته وأحصائياته وملفاتاته وقائمة المشتركين معه، ويبدو أن هذه القائمة كانت السبب في المصاعب التي أخذت تواجه «ستيف جاكسون».

وفي الثامن من أيار ١٩٩٠، قام البوليس السرى بعملية كبيرة أطلق عليها اسم «من ديفيل» SUN DEV- "IL" اشتغلت على اصدار ٢٧ أمر بالتفتيش في ١٤ مدينة أمريكية، تشمل «بلانو»، «تكساس»، و«نيويورك»، وفي مؤتمر صحفي أعقب حملات المداهمة هذه تبجيح البوليس السرى أنه قد قام بمصادرة ٤ جهاز كومبيوتر، و ٢٣ ألف قرص، و ١٠ شاشات للثيارات الكومبيوتيرية على الأقل، إضافة إلى الأدوات الالكترونية التي لم يحرروا أوراقاً باستلامها، أو المواد الموجودة داخلها، وقد قال البوليس السرى في مجال تبريره لهذا العمل:

- «لقد كانت جريمة انتهاك لا يمكن تصورها، لعملية ذات معانٍ ضئلية هامة، فيما يتعلق بصحافة رفاهية جميع الأفراد والشركات، والوكالات الحكومية الأمريكية التي تعتمد على الكمبيوتر والتلفونات للاتصال».

وهذا يعني أن القبائن قد دخل إلى مجال «الفضاء السيراني».

**القانون والفضاء
السيبراني
محاكمة؟ أم جهل؟ أم
اجهاض؟**

للمحدث التلفووني عن بعد، لكنه أيضاً مخزن لكل معلومات نظام الديجيتال والمعلومات الالكترونية التي يمكن نقلها، وهو بهذا مركز للتجارة والصناعة والتعاملات الانسانية التي تتم على نطاق

واسع. فإذا كنت تمتلك المزيد من المال فما عليك إلا أن تستثمر أموالك في ميدان الفضاء السيبراني، إن حياتنا المادية والثقافية وحتى المادية، تعتمد بشكل متزايد على حفائق مانزال غير قادرین على اداوكها، كما اننا نتعهد بالمهام الأساسية لحياتنا المعاصرة على مؤسسات لا تستطيع تسميتها، ونستعمل أدوات لم نسمع عنها أبداً، ولا نستطيع تشغيلها حتى لو أصبحت ملك أيدينا، وبالرغم من أنه أصبح على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لحياتنا المعاصرة، إلا أن الفضاء السيبراني يظل منطقة حدودية يحول فيها عدد قليل من التكنولوجيين البدائيين والعاملين الذين يبدون تسامحة تجاه أجهزة التوصيل الكومبيوتيرية، وبروتوكولات الاتصالات المتعارضة والتعابير الثقافية والقانونية والافتقار العام للخبراء والتعابير المجازية ذلك أن، والتعابير القديمة للملكية والتعبير، والهوية، والنقل، والسياق، تعتمد كما هو الحال على المظهر المادي، وهي غير قابلة للتطبيق في عالم لا وجود فيه للسيادة في هذا العالم المحدد المعامل.

وهنا نتساءل: ماذا تعني، مثلاً، بحرية الكلام؟ وماذا يعني نقل المعلومات، وإذا قام انسان مابا يبداع منظومة من الكلمات، فهل يعني هذا أنه

إن الاعمال التي قام بها البولييس السرى لم تكن من الاعمال الشائنة المزعولة، وإنما هي مقدمات لازمات اجتماعية متكاملة. فقد دخلت الولايات المتحدة مصر المعلومات دون أن يكون هناك أى قانون أو تعابير للحماية الازمة، أو لنقل المعلومات.

إن «الفضاء السيبراني» يشتراك مع الغرب الأميركي، في القرن التاسع عشر في الكثير من الخصائص والمعيّزات، فهو واسع، غير محدود الخريطة، غامض قاتوني وشاذياً، مختصر العبارات، لا تستطيع فهمه إلا إذا كنت من يتقنون الاختزال، ومن الصعب الإحاطة بهذا العالم الجديد أو الامساك بشئ منه، فهو يتالف من تصوّر الكترونية وبيكروبية، وحقول مفناطيسية، ولبذبات خفيفة، وغيرها من الخصائص الالكترونية، وقد كنت اطلق على "DATASPHERE" في السابق اسم "NUEROMANCER" إلى أن تيسر لي أن اطلع على "CYERSPACE".

عليه اسم "CYERSPACE".

والفضاء السيبراني، معروف لدى العديد من الناس كـ «مركز»

على نسبة قليلة من الناس. هل يمكن أن يكون التاريخ الشخصي ملكاً لشخص آخر بالضرورة؟ هناك من يؤمن بهذا الاعتقاد مثل "TRW" لكن ما هي مواصفات هذا الحقل الجديد؟ وهل حقوق ومسؤوليات الأفراد والمؤسسات على علاقة حميمية مع بعضها البعض؟ وما هو الميثاق الاجتماعي الذي يربط بين المؤسسات والأفراد؟ وكيف يمكن كتابة هذا الميثاق، ومن الذي سيقوم بكتابته؟ وأخيراً، هل يستطيع أي إنسان أن يدعى أنه يمتلك المعرفة ذاتها؟ يبدو أن هذا هو السؤال الجوهرى.

ان الاجابات عن مثل هذه الأسئلة، مثل تطوير الثقافة التي قاما بها بمصادرتها، يمكن أن تظهر بعد بضع سنتين من خلال عدد كبير من التفاعلات الاجتماعية والقانونية والمالية، وهذا الحد الراسخ والثابت الذي يمكن وضعه، سوف يكون أكثر صعوبة من المعتاد، وذلك لدخول العديد من العناصر الإضافية إليه، ذلك أن العديد من الناس يشعرون بالغوف من الكومبيوتر، كما أن التطورات التكنولوجية تسير باسرع مما يتوقعها أي إنسان، فالاتصالات والمعلومات التكنولوجية مستمرة في التغير والتطور، بسرعة تفوق سرعة تطور المجتمع بعدة مرات. أن الظاهرة التكنولوجية للقضاء السبراتي، سوف تستمر في تطوير الاطر الثقافية والقانونية والسياسية التي تتشاءك استجابة طبيعية لها. ولهذا فإن ترسير وتثبيت الاطر مرة واحدة لا يكفي، بل يجب توطيدها

لن يكون بامكاننا أن نقتبسها الكترونياً، دون أن نتهم بأننا قد قمنا بنقل بضاعة مسروقة؟ وهل التغيير عن طريق الكومبيوتر يتمتع بنفس الحماية الدستورية التي تتمتع بها المطبوعات الصحفية؟

إذا ما وضعنا هذه التساؤلات موضع البحث والدراسة، واخذنا بالاعتبار ما حدث له "PHRACK"، نجد أن الجواب بالنفي.

كيف توفر الحماية؟

ترى ما هو تعريف «المكان» في عالم ليست له أبعاد حقيقة، وما هي طبيعة الملكية، في مثل هذا العالم؟ وهل المر الذي لا شرقية للعقل من خلال إطار النظام العام له "BELL SOUTH" يمكن أن يكون أكثر أهمية من مر الشاحنة الذي يخترق أرضي؟ هذا هو بالضبط مما يعتقد محامي الادعاء الأمريكي في أتلانتا.

ان كيف يستطيع المرء أن يحمي الملكية، ويحقق الكسب منها، هذه الملكية التي ليس لها أي شكل مادي ملموس، ويمكن إعادة انتاجها بسهولة وبلا حدود؟ إذا سرق حصانك، فلن يكون بامكانك أبداً أن تركبه، لكن إذا سرقت منظومة الكومبيوتر الخاص بك، فانك ستستمر باستخدامها حتى لو قمت بنسخها ملارين المرات، بل يمكن أن تكون عملية القرصنة التي قمت بها، ذات فائدة كبيرة لك، حيث ستقوم بترويج منظومتك الكومبيوترية، وتساهم في زيادة مبيعاتها، بينما لم أقم بعملية السطو هذه، فربما بقي توزيعها مقتصرًا

الجماهيري العام.

وحيث حدثنا منذ البداية مهمة "EFF":
فقد أرأتنا أن مهمتنا تنصب على تأكيد الدستور الأمريكي على وسائل الإعلام حسب نظام الديجيتال، هذا يبقى الامتلاك الرئيسي، وبما أن المعلومة لاتعطي أهمية كبيرة للحدود الوطنية، فإن الفضاء السبراني يشكل التخطي للحدود القومية، ومن هنا تنصب جهودنا على إيجاد قانون "BILL OF RIGHTS" العالمي للمعلومات، ليسير جنباً إلى جنب مع الجهد الأمريكي في هذا المجال، وبما أن الناس قد أخذوا بيدون اهتماماً كبيراً في هذا المجال، وبإمكانية نقل العمل الكومبيوترى من الإطار الشخصى إلى إطار التعاون بين الأفراد، فستكون هناك جهود مشتركة من قبل ملابين الأشخاص في كل أنحاء العالم، وبهذا نأمل أن تكون قد خلقنا العالم الذي يمكن أن يتطور.

وتريسيخها مرة بعد أخرى.

هناك الكثير من المصعبات التي يمكن أن تواجه مسألة الملكية الثقافية، هذه الملكية التي تتضمن شيئاً ملوساً أكثر من النظم المبهمة، التي تتطلبها المصطلحات والتعبيرات، حين تحاول معاملتها على أساس أنها واقعية كحالةحقيقة، فإن ذلك يخلق العديد من المشاكل.

جهود للتمكك

لكن يبدو أن هذا هو ما يحدث، فقوانين التشرد الحالية، تتركز على التعبير لا على المحتوى، مكن في الفترة الأخيرة، كانت هناك جهود قانونية ناجحة لمعاملة المعلومة نفسها كملكية خاصة، وبما أن المعلومة هي المصدر الأساسي المستقبل فإن الجهد المؤسسي لإمتلاكها سوف يتزايد.

ومع ذلك فإن أحدى عواقب مثل هذه الجهود، أنها ستتشكل بتراكم اماتيكياً للحرية الفردية، ذلك أن تقيد مثل هذه الشمولية المطلقة يمكن أن يكون مبرراً لقبول الرقابة على وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، ويبعد أن الفكرة الزائدة على حماية الممتلكات الثقافية يمكن أن تمثل خطراً كبيراً على حرية التعبير حسب نظام الديجيتال.

إن القوانين الراسخة والثابتة للنشر، وقانون الحصول على براءة الاختراع، يمكن الا تكون مناسبة أبداً مع مطالب عصر المعلومات، لكن سيكون هناك دائماً من يحاول أن يحمي وبالقوة كل ماهوغير منسجم مع القبول

مؤسسة الحد الإلكترونى

نتيجة للتتجاوزات الكبيرة التي حصلت في ميدان الكومبيوتر، ونتيجة لسياسات البوليس السرى، الذى قام بالعديد من المداهمات على مراكز الكومبيوتر والتعاملين به، من أجل منع تسرب المعلومات، التي تخشى السلطات الأمريكية من تسربها، ونتيجة لفهم الجماهيري الخاطئ لهذا المجال الجديد الذى أصبح يهيمن على الساحة الثقافية والاقتصادية والعلمية والسياسية

في مجال صنع السياسة بشأن قضایا حریة المعلومات، والمساعدة في ترسیخ الاسس التي تسهل من هضم المجتمع لهذه التکنولوجیات الجديدة.

* زیادة وعی الناس في مجال الحریات المدنیة، والقضایا المتعلقة بهاذا الشخص، والتى نشأت نتيجة للتطور الكبیر في مجال الاتصالات التکنولوجیة، ومن أجل تطوير القانون الامريکی الخاص بالاعلام والصحافة.

* أما اهم التضایا التي سوف تضطلع بها هذه المؤسسة، فنهی التصدی للحملة الشرسة التي تقوم بها الحكومة الامريکية، من اجل تشزیم هذه الوسیلة الجماهیریة الفعال، خاصة بعد أن اکتشف الدور الكبير الذي يمكن أن تقوم به، في توعیة الناس، وتزویدهم بكل المعلومات المطلوبة حول مختلف القضایا، خاصة بعد أن تزايدت هذه العملات، وبدأت المحاولات الحكومية الجادة لاكتساب هذه العملات صبغة قانونیة. إن العدید من مؤسسى هذه المؤسسة، هم من الأفراد الذين وقع عليهم الظلم، و تعرضوا للمداهمات والمضایقات، وهم يعرّفون جيداً أن الهدف من وراءها، قمع هذه الوسیلة التکنولوجیة بایة وسیلة، وأن تسترت حملات القمع هذه بالثوب الاجتماعي، أو الحفاظ على حقوق الملكیة، أو سریة المعلومات، أو الامن القومي، أو ملاحة الإرهاب.

* كلیفورنیفالو: مدير مؤسسة "THE WELL" في سوزالتو بكالیفورنیا.
** جون بیری بارلو: كاتب في شؤون الكومبيوتر، سیصدر له كتاب يعنون «كل مانصر خطأ» من دارفايکنبع بنسفین بیریطانيا، وهو أيضا شاعر غنائی، وأحد الاعضاء المؤسسين لـ "EFF".

الامريکیة، ونتیجة للقصور القوانین الامريکیة عن اللحاق بالتطور الكبير الذى حدث في هذا المجال، كان لا بد من إنشاء موسسة للدفاع عن هذا المجال والعاملین فيه.

وقد انشئت - "ELECTRONIC FRONTIER FOUNDATION" مؤسسة الحد الالکترونی، في العاشر من تموز - يولیو - ۱۹۹۰ على يد «میتش کابور» مصمم نظام «لوتس ۱.۲.۳» الذي يعتبر من أكثر الانظمة الكومبيوتربیة مبيعاً، و«جون بیری بارلو» الكاتب والشاعر الغنائی، «اما تمویل هذه المؤسسة فیأتي عن طريق «کابور» و«ستيف ووزنیاک» أحد مؤسسى «ابل کومپیوتر».

وقد انشئت هذه المؤسسة للتعامل مع القضایا الاجتماعیة والقانونیة التي يمكن أن تنشأ بعد التزايد الكبير في استخدام الكومبيوتر كوسیلة للاتصال وتوزیع المعلومات، خاصة بعد أن وجد هؤلاء الأفراد أن قانون حریة المعلومات الامريکی، قد فشل في مجاراة مطالب التکنولوجیا الحديثة، خاصة اذا أخذنا بالاعتبار «قانون حریة المعلومات الذي اقره الكونغرس الامريکی عام ۱۹۶۶ "FOIA"»، والتعديل الذي أجري عليه عام ۱۹۷۴، والجهل المطبق السائد في الدوائر الامنية-القانونیة-السياسیة الامريکیة بشأن هذه الوسیلة.

وقد جاءت هذه المؤسسة للقيام بالاعباء التالية:

* دعم النشاطات التعليمیة التي تزيد من الفهم الجماهیری، للفرص والتحديات التي تفرضها التطورات في مجال الكومبيوتر والاتصالات.
* العمل على تطوير وعی العاملین

مشروع تعديل لائحة اتحاد الكتاب :

اتحاد الأدباء وأدباء الاتحاد

إعداد : عبد اللطيف وهبة

الشعب المصرى - الكتاب والأدباء .. بل وجعلهم أسرى اللوائح والقوانين .. وفرض المزيد من السيطرة والوصاية عليهم .. وهو ما يخالف أبسط القواعد الطبيعية التي كفلت للإنسان حرية الإبداع والابتكار في كافة مجالات المعرفة.

ملاييسات وظرووف تقديم مشروع التعديلات هي خير دليل على ذلك . قدمه صلاح الطاروطى عضو المجلس فى سرية تامة لم يعلم عنها الأعضاء أو حتى أعضاء مجلس الادارة شيئاً . كما لم يعقد الاتحاد أى إجتماع لمناقشة بنود التعديلات المقترحة قبل عرضها على لجنة الشكاوى والمقترنات بالجامعة حتى بعد تعديلها لأبداء رأى أصحابه

غرار مسلسل قانون النقابات المهنية - الذى صدر خلال فترة وجيزة وبعيداً عن أعين النقابات - والذى أحدث ضجه مستمرة حتى الآن .. من المنتظر أن يوافق مجلس الشعب - على جريمة أخرى في حق الإبداع والمبدعين هي مشروع قانون على

رغم أن قانون النقابات المهنية كان يهدف إلى تكريم وتحجيم الحركات الثورية لاستمرار عملاء الحزب الحاكم على رأس هذه النقابات .. فإن الأمر مختلف في اتحاد الكتاب ، فالرئيس أمر حتمى ومفروض على أعضائه .. ولكن التعديلات تهدف إلى تكريم أفواه فئة أخرى - مهمتها بناء عقل



الكاتب سعد الدين وهبه - عضو مجلس الإدارة عندما ذكر أن مشروع التعديل تم منذ سنتين وأقرته الجمعية العمومية وتم كذلك عرضه على السيناتوريست يوسف جوهر . وليس لنا ذنب في تأخير عرضه على المجلس حتى الآن .

نثني الأموال وبالعكس

بعيداً عن تبادل الاتهامات وسياسة «إبعادنى عن هذا الموضوع» - فبان مشروع القانون يتضمن تعديلاً لنصوص قانون إتحاد الكتاب رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٥ على النحو التالي :

فيها . وهذا أضعف الإيمان .

إذن لقد حاد مجلس الشعب عن دوره عندما سمح بعقد محاكمات غيابية وإصدار أحكام غيابية ، بعيداً عن أعين أصحابها أو حتى سماع دفاعهم . وصل السيناتوريست عندما ذهبنا إلى الاتحاد لأخذ رأى بعض من مجلس الإدارة ولكن لم نجد أحداً على الإطلاق باستثناء السكرتارية وكانت المفاجأة عندما حاولنا معرفة رأى يوسف جوهر - عضو مجلس الإدارة - إذ نفى تماماً علمه بالتعديل . كما قال الأديب عبد العال حمامصى انه لم يطلع عليه كذلك . وهذا عكس ما قاله لنا

تعديل المادة (١) من الفصل الأول والخاصة بإنشاء الاتحاد وأهدافه حيث تصور الإنضمام على الأباء فقط بعد أن كانت اللائحة القديمة لا تتضمن ما يمنع من قبول من يكون له انتاج ملحوظ في مجالات الآداب.

* تعديل المادتين (١١،٧) من الفصل الثاني والخامس بشروط المضوية والقيد في الجداول حيث تم استبعاد أعضاء المجلس الأعلى لرعاية التراث والأداب والعلوم الاجتماعية وكذلك مندوب وزارة الثقافة من تشكيل لجنة التنظيمات .

وفي الفصل الثاني تعديل المواد (٢٠، ٢٢، ١٩) والخاصة بإدارة الاتحاد حيث اشتربطت لضمان عقد الجمعية العمومية لا يقل عدد الأعضاء عن ١٠ % أو مائة عضو وقصر حق الطعن على ٥ عضوا بدلاً من مائة.

وفي الفصل الخامس تعديل المواد الخامسة بواجبات الأعضاء وتأديبهم حيث إستبعدت التعديلات تمثيل وزارة الثقافة في لجنة التحقيق وهيئه التأديب ، وكذلك إلغاء شرط موافقة وزير الثقافة على تنفيذ القرارات الازمة لتنفيذ القانون وجعلها من إختصاصات الاتحاد .

* إضافة الفقرة (من) إلى نص المادة رقم (٣) والتي تقتضي بأن يكون الترشيح لجوائز الدولة التقديرية للإنتاج الفكرى من إختصاص إتحاد الكتاب .

* الأخطر - في مشروع قانون إتحاد الكتاب - الفاء المادة (٤٤)

من القانون والتي تنص على أنه لا يجوز للاتحاد أن يقبل أية أموال من شخص أو جهة أجنبية أو يرسل أموالا لأشخاص أو منظمات في الخارج إلا باذن من وزير الثقافة وبموجب التعديل أصبح من حق الاتحاد أن يقبل أي مبالغ من جهات وأشخاص أجنبية ، وكذلك أن يرسل أموالا لأشخاص ومنظمات بالخارج .

وهذا ما يعني إقرار عمالة الاتحاد للمنظمات الأجنبية !

الكتاب والأدباء - أعضاء الاتحاد من جانبيهم إنتقدوا مشروع القانون وإعتبروه تدخلا سافرا في حقوقهم . وسواء كانت التعديلات في صالحهم، أو حتى ضد مصالحهم فإنهم يرفضونها جذريا . ولكن يجب أن تكون صادرة من الكتاب أنفسهم . وكان الأولى عرض مشروع القانون عليهم والدعوة لعقد جمعية عمومية لمناقشة الأعضاء فيما يتضمنه من بنود إلا أن ذلك لم يحدث على الإطلاق وهذا نفي جديد لما قاله سعد الدين وهبه .

وأرجع الأعضاء - تقديم المشروع في الخفاء - إلى أسلوب إدارة الاتحاد الذي هجره الأعضاء ولم يطيقوا العيش فيه ،

حتى أصبح جثة هامدة .

يعبر عن الكتاب ، ويدار طبقاً للآراء السياسية كرقيب على المريات ، وليس توسيع رقعتها التي من المفترض أن يوفرها لاعصاته وأخر مثل على ذلك أن اتحاد الكتاب المغاربة أصدر بياناً عقب إغتيال الكاتب الجزائري الطاهر جودت آدان في الاعتداء العدوانى عليه . في حين لم يصدر الاتحاد المصرى أى كلمة على الإطلاق .

البعض الآخر - قال إننا نطلق عليه إتحاد تجاري . فموافقة معروفة وواضحة وليس فى حاجة إلى تفسير . أصبح قاصراً على إرسال برقىات التهانى والتاييد فى المناسبات . ولم يكن له أي دور فى القضايا الحساسة التى شهدتها المجتمع فى الفترة الأخيرة .

فلة أدب اتحاد الأدب

كما أوضح الكاتب والأديب ابراهيم أصلان أن تغيير لائحة إتحاد الكتاب تتم للمرة الثانية . فيبعد إنشائه فى عام ٧٥عدلت فى عام ١٩٧٨ . ومهما عدلت فلابقى لها هذا الاتحاد . وأن تغيير فى قوانين الاتحاد «المزعوم» يرفضها الأدباء والكتاب الأعضاء . فهذا أسلوب مأسوى وينطوى على إستهانة بعقل مصر «وقلة أدب» ... لانه كيف يمكن لنا أن نغير حياة شخص دون مشاركته وإعلانه الاستجابة للتغيير .

الاتحاد بلاسخته القديمة أو الجديدة - كما قال أصلان - جثة هامدة ولا جدوى من ورائه إلا لبعض المنتفعين ومن المؤكد أن مشروع القانون مزيد من التسهيلات لسيطرتهم . وإعطاء السلبيات والمواقف «المخزية» للاتحاد مشروعية أمام الحكومة . لقد أصبح دوره قاصراً على إرسال برقىات التاييد للمبادرات والاتفاقيات التى تنتها الحكومة حتى ولو كانت ضد مصالح البلد .

إن إتحاد الكتاب فى مصر «عَرَّة»

وتاتى التعديلات لاضفاء الشرعية على مواقف الاتحاد السلبية .. ولعل أهمها تأييد وتبرير . مشروعيه التطبيع مع اسرائيل فى الوقت الذى تقاطع فيه الاتحادات العربية ذلك .

استهزء بأدباء مصر

قال الأديب يوسف القعيد : كان الأولى - بدلاً من إرسال خطابات بالحساب الختامي واظطراناً بإجتماع الجمعية العمومية كل عام للنظر فى الميزانية أن يعلمونا بالتعديلات المقترحة على اللائحة ولكن كعادة الاتحاد وطريقة إدارته المسئولية قامت بإبعاد التعديلات عن أنظار حتى الأعضاء الذين كانوا يقررون الميزانية من قبل . ولكن هذا الأسلوب هو إستهزء بكتاب وأدباء مصر . فكان يجب قد إجتماع موسع بغض النظر مما إذا كانت هذه التعديلات فى صالح الأعضام أو هدمهم . على أن تكون الموافقة منهم أولاً .

وأكيد أن ذلك هو إستكمال لدور الاتحاد فى فقد فاعليته حتى أصبح لا

عرف فقال: إن التعديلات قدمت في
الظامان وبطريقة غير ديمقراطية .. وكان
يجب أن توضع تحت الضوء لمناقشتها ..
ولكن ذلك لم يحدث وفكرة الاتحاد
تتعارض مع نظام التعديلية الغربية لأنها
ولبيدة النظام الشمولي . وبالتأمل كان
الأولى إدخال تعديلات ديمقراطية
تتمشى مع تعدد وجهات النظر . وإلغاء
لجنة القيد الحالية وتكون لجنة أخرى
تشمل كل الاتجاهات الفكرية
والسياسية تعيد «غريبة» ما دخل من
كم كبير لا علاقة له بالآداب خاصة في
فترة الإنشاء . وأنكر أثنا كيان لنا
موقع من مشروع الاتحاد أدى إلى
إعتقالنا عام ١٩٧٥ . وقد أصبح الاتحاد
يرفض أدباء أصحاب إنتاج متميز على
الساحة الأدبية .

أميون من المحاسيب

وحول اللائحة القديمة للاتحاد قال
الناقد ابراهيم فتحى أن هناك خلا
هيكلياً في اللائحة منذ تأسيسه فللجنة
العضوية جعلت السيادة لشلل معينة
واتجاهات معروفة ، حتى رفضت كتاباً
محترمين مثل جميل عطيه ابراهيم
، في حين قبلت موظفين لا علاقة لهم
بالآداب . كما أن الشرط الخاص بضرورة
وجود ثلاثة كتب مطبوعة للمتقدم قد
أبعده الأجيال الجديدة من الانضمام
لأننا نعرف مدى تكاليف الطبع والنشر
الآن . في حين كان الأديب أو الشاعر في
السبعينيات يصدر الديوان «بالماستر»
أى بخط اليد .

ونسميه إتحاداً تجاوزاً، لأنه لا يوجد
كاتب أو أديب يشعر بالإنتقام اليه .
تضال هد الاتحاد

بنفس المنطق ذكر الأديب سعيد
الكلفراوى أن الاتحاد - على مر تاريخه
- لم يقدم شيئاً للثقافة المصرية إذا ما
اعتبرناه مكاناً لكل الكتاب .. نتيجة
للظروف التي يمارسها رئيسه ثروت
أباظة لجعله أكثر تخلفاً عن الدور
المنوط إليه . كما أن وزارة الثقافة
والجليس الأعلى بتشكيلاتها الجديدة قد
دفعاً الاتحاد تجاه دوره السلبي .

ما وصل إليه حال الاتحاد - والكلام
للكلفراء - ليس أمراً جديداً ، فثروت
أباظة وكيل مجلس الشورى وكاتب
الحكومة الرسمي والرئيس غير
المنتخب إلا من أعضاء يتم شحنهم
بالسيارات ولم يكتفى بذلك بل يحاول
السيطرة على الأعضاء بالببروغرافية
المعهودة ولوتأملنا دور الاتحاد - في
الفترة الأخيرة - نجد أنه يمثل الجانب
السلبي في الثقافة لم يقف مرة واحدة
في قضية من شأنها خدمة الثقافة ولم
يصدر لواحة تحضن الكتاب مالياً
وإدارياً ولم يحل أزمة الثقافة .. حتى
تحول الكتاب من التضال لتجهيز الواقع
الثقافي إلى تضال ضد تصرفات الاتحاد
غير المسئولة ويتعرض المثقفون لأزمات
طاحنة ومصادره لأعمالهم ولم نجد دوراً
له ، والأمثلة على ذلك كثيرة .. ولا داعي
لذكرها !!!

أما الناقد عبد الرحمن أبو

هيئة الكتاب ، ودار الكتب وبعض «الازهرجية». وقد أدى ابتعاد الأدباء إلى إعطاء القرصنة لسيطرة بعض أصحاب النقوس الضعيفة الموالية للدولة . حتى أصبح يدار بأسلوب العزب .

وأقول إن الكاتب سعد الدين وهبه مست Howell عن جانب كبير من هذه الممارسات في النقابات المهنية حيث قام بتجديدها وأدار اجتماعاتها بأسلوب «اسكت يا ولد». كما أن ثورت أباطة استطاع أن يشكل أجيالاً كثيرة في الفترة الماضية بحيث أصبح في الاتحاد ظاهرة الاعضام «المستمددين» لإطاعته ! ويقترح سمير عبد النباقي ضرورة أن تتضمن لجنة القيد إثنين من النقاد والمرموقين حتى يمكن التتحقق من أعمال المتقدم بطلب العضوية ، حتى لا نظل ندور في دائرة «شيوعي ولا من أبو كارت» .

وب مجرد معرفتها ببنود تعديل اللائحة ذكرت الكاتبة فتحية العمال أن هناك جهات أجنبية تتدرب بالثقافة المصرية ، بل وتحاول تمويلها لتطبيع المثقفين فكيف بوافق المجلس على عمليات استقبال أو حتى إرسال أموال أجنبية من الخارج في وقت كان فيه الاتصال بالهيئات الأجنبية جريمة . وأعتقد أن المقصود بذلك مشروعية سياسة التطبيع مع إسرائيل التي رفضها الكتاب من قبل .

وأوضح فتحية العمال أن أي تعديل خارج عن أيدي الكتاب ، والأباء مرفوض بكل صوره وأشكاله . ولكن للأسف هناك عقليات متخلفة وديكتاتورية مسيطرة على الاتحاد ...

إذن هناك توسيع شديد في العضوية وتضييق شديد جداً حسب ما يتراوح لإدارة الاتحاد . وأذاعم أن هناك أعضاء أميين من الأصدقاء والمحاسب .

ويرى إبراهيم فتحى أنه لابد من إيجاد نوع من الديموقратية في لجنة القيد بدلاً من البيروقراطية الحالية على أن يكون هناك نوع من الإقرار الأدبي ، وهناك كتاب قدموه مثل المقالات الأدبية الرائعة ومعروفوون على المستوى الأدبي ولا ينتقصهم سوى «دبوس» يجمع أعمالهم أما الاتحاد بشكله الحالى وببيروقراطيته أصبح آداً مجهزة لخدمة الحكومة وسياستها حتى وافق على جميع القوانين السيئة فنصر لديه - هي الحكم شخصياً وليس الكتاب الذين رفضوا التطبيع ، في النهاية نحن في حاجة إلى إتحاد جديد وليس لائحة على أن يعاد النظر في سياسة الانتخاب الآوتوماتيكى .. الاعضام - الشلة - تختار الرئيس وهو يختارهم وبالتالي ١

اسكت يا ولد

بينما قال الشاعر سمير عبد النباقي أن التعديل الخاص باقتصاده على الأباء فقط له يبرره .. مع أننى أدرك كاملاً الحيثيات التى حارب من أجلها عدد من الكتاب الصحفيين وكتبت مؤيداً لهم فى معركة دخول الاتحاد فى بداية نشاته والآن المشاكل ليست فى مواده الإدارية ولكن فى فتح باب العضوية لبعض الأدباء الوظيفيين من مثل

الذى تسكنه الفتنان ..

و حول عضوية الاتحاد وما يقال عن إقتصاره على الأدباء فقط - كما ورد فى مشروع التعديل - قال أن الاتحاد أنشئ على أساس أن يكون نقابة للأدباء بمعنى أن غيرهم - كتاب التاريخ والجغرافيا والسياسة - كانت اللائحة لا تقبلهم ، ورغم ذلك لم يكن بها نص صريح وواضح حول رفضهم أو قبولهم . أما الآن فالتعديل به نص صريح قاصر على الأدباء فقط .

وذكر القاص شمس الدين موسى انه من الصعب تضييق صيغة ومفهوم الكاتب فى مصر على من يكتب القصيدة أو القصة وإنما يكتب الكتاب التاريخ وأين نصنع كتاب الفكر المختلف سواء كان فلسفياً أو اجتماعياًليس من الأجر أن يكون الاتحاد وعاء لكل المثقفين بإعادة صياغة عقل الإنسان ، مثل الأدباء والفنانين ، بدلاً من أن يكون كتاب مصر شيئاً وطوابق .

أما بخصوص الترشيح لجوائز الدولة التقديرية فقد ذكر أن الاتحاد - فى لائحته القديمة - لم يكن له أى دور فى الترشيح لجوائز الدولة لأن كل القوانين التى صدرت بشأن النقابات والاتحادات فى ظل نظام الحزب الواحد - وضفت تحت سيادة الوزارات ولكن التعديل يتمشى مع الأحزاب والتعديلية ويرفع ولادة الوزارة عنه .

وتساءل موسى : هل صانع الوجдан فى نظر ثروت اباظة - أقل مرتبة وأندى من «المطبليين والمزمريين» لكل العهود ، وإذا لم يحترم الكتاب والأدباء أنفسهم هل ننتظر من الدولة أن تحترمهم وتقدرهم . ومن الذى يخرج باتحاد الكتاب إلى دوره الطبيعي فى الدفاع عن أعضائه ؟

أما فيما يقال عن حرية تلقى أموال من أشخاص أو هيئات فى الخارج - أكد أن مسألة التبرعات أمر داخلى خاص بالنقابات والاتحادات . أقول أن إسرائيل أو حتى أمريكا لن تستطيع السيطرة على الاتحاد أو تطويقه وليس من المقبول أن يتم مثلًا - تطويق ٢٠ مضوا فى مجلس الإدارة .. هذه مهارات .

والآن ، نضع القضية برمتها فى أيدي الأدباء والكتاب ، وفي أيدي مصانع الحياة الثقافية المصرية ، لينظروا ماذا يفعلون ♦

الأدباء كذابون

إسئلة وإستفسارات عديدة حملناها للكاتب سعد الدين وهبى عضو مجلس الإدارة الذى قال أن هؤلاء الأعضاء «كذابون» لأن مشروع التعديل عرض على الجمعية العمومية منذ سنتين وعلى لجنة رأسها أمين الصندوق يوسف جوهر ومجلس الاتحاد عرض التعديلات على الجمعية العمومية : كما أن التعديل ليس به شرط جديد على الإطلاق ، فيما عدا قيمة الإشتراك الذى فضل المجلس إعادة النظر فيه .

الذات والآخر في الرواية الأفريقية

د. إيناس طه

سادت الساحة الإفريقية من خلال مفاهيم الجامعة الأفريقية والشخصية الأفريقية والزنوجية.

وتصدق في حالة أفرقيا العبارات القائلة بأن النهضة في عديد من دول العالم الثالث كانت أساساً ومنذ البداية وليدة الصدام بالغرب، ومن هذه الزاوية فالظاهرة الثقافية في أفرقيا تفهم في إطار من تفاعليها مع الظاهرة الاستعمارية التي تعرضت لها القارة، أي تفهم من خلال الآخر بقدر ما تفهم من خلال الذات.

ولعل ما أضفت تعقيداً إضافياً على الموقف هو أن الطرف الأوروبي لم يقدم نفسه لتلك الشعوب في صورة واحدة، فقد كان العدو الذي يجب الاحتراز منه

في الأزمات الكبرى وفي اللحظات التاريخية الحاسمة في تاريخ الأمم تتفجر تساؤلات حول هويتها الوطنية وحول موقعها في التاريخ الإنساني، وحين تقتربن تلك الأزمات بالوجود الأجنبي وبزحف نموذج حضاري على نموذج حضاري آخر يصبح الانشغال بقضية الهوية أمراً أكثر إلحاحاً.

كان هذا هو السياق الذي تفجرت أزمة الهوية في المجتمعات الأفريقية، وكان ذلك هو مبرر إلحاحها في مثل هذه الأوقات تشتت الحاجة لإيمان الاعتقاد راسخ في النفس ومثل هذا الاعتقاد يتولد ويبقى حياً بواسطة أيدиولوجيا، وهي الأيديولوجيا التي

والوقوف ضد مطامعه وسيطرته من جهة والنموذج الذى يغزى باقتدائة والسير فى ركابه من جهة أخرى، مما جعل الصراع يبدو وكأنه صراع ضد عدوانه ومن أجله فى أن واحد ضد عدوانه وتوسعه من جهة، ومن أجل قيمه الليبرالية ومظاهر التقدم فيه من جهة ثانية.

وهذه الثنائية الموضوعية فى الموقف وفي وضع الآخر قد قابلتها ثنائية ذاتية تتعلق هذه المرأة بطبيعة الشريحة الاجتماعية التى انشغلت بقضية الهوية، والتى عادت بدورها من اذدواجية أملتها عليها ظروف النشأة والتكون.

فالنخبة الأفريقية التى تكونت بفضل التعليم الغربي ومعه قيم الحضارة الغربية الوافدة التى تخللتها كانت تتجلب إليها الدائرة الحضاريةitan التى وضعت هى فى نقطة التقاء فيما بينهما، وهذا الذى دفعها نحو التساوى حول حقائقها وهويتها ودفعها لأن تضع وجودها كله موضوع تأمل.

وقد سبقها فى ذلك تجارب زنجية أخرى من جانب زنوج جزر الهند الغربية وزنوج أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية من تناظرها على المضارantan الأفريقية والأوروبية، وتكتنلت أسماءهم من ممارسة تأثير هائل على عقول ووجدان اعضاء النخبة الأفريقية المثلثة.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الفتنة الجديدة التى تكونت بفعل الاحتياك بالغرب، كانت هى الأشد حساسية للنظريات العنصرية التى بلفت ذروتها فى تلك الفترة من بوادر

القرن التاسع عشر، فقد رأوا أنفسهم وكأنهم رجال وضعوا موضع محاكمة وقد زاد من حدة احساسهم بعدم الأمان واقع أنهم يشكلون أقلية هشة وسط الجماهير الأفريقية الواسعة من حولهم، والتى استمرت تحيا فى إطار الانقطاع الاجتماعى التقليدية السائدة فى المجتمعات الأفريقية، ولن يكون بعيدا عن الحقيقة أنه ربما أكثر من أى سبب آخر مثل الغموض والالتباس الذى أحاط بوضعيتهم كإفريقيين يعيشون حضارة أجنبية على أرض أفريقيا الجانب الإشكالى فى الموضوع، فهذا التعارض فيما بين نفط حياتهم من ناحية الواقع الذى يفرض نفسه عليهم فى البيئة المحيطة بهم من ناحية أخرى دفع الأفراد الأكثر حساسية فيما بينهم للتساؤل عن حقيقة وطبيعة وضعهم.

وقد عكست الفصول الأربعية فى هذه الرسالة التطور الأيدىولوجي والفكري على الساحة الأفريقية منذ مطلع المائة الأفريقية الحديثة وذلك من خلال آراء أبرز روادها وفي مقدمتهم أدوارد بليندن وغيره من القيادات الفكرية التى لعبت دورا مؤثرا فى مجرى تطور التاريخ الفكري فى أفريقيا، خاصة رواح حركة الجامعة الأفريقية وفي مقدمتهم دوبوا وماركوس جارفى وجورج بادمور، ورواد حركة الزنوجية وفي مقدمتهم أمينة سizar وليوبرولد سنجدرو وشيخ انتادىوب دافيد ديبوب وغيرهم.

وتتمثل الزنوجية تيارا متينا داخل الحركة القومية الزنجية وذلك بالقدر الذى واجه فيه المثقفون الزنوج الناطقون بالفرنسية مشاكل خاصة فى علاقتهم بالحكم الاستعماري الفرنسي،

على صعيد الأيديولوجيا، فقد عنى الفصل الثاني من الدراسة بمناقشة مظاهر اضافية من ذلك الصراع كذلك الذي نشب فيما بين اللغات الوطنية واللغات الأجنبية، أو بين العالمية والمحلية في المعايير النقدية. علماً بأنه قد تناولها في علاقتها بأراء الآباء الثلاثة موضوع الدراسة، وفي إطار الصراع الدائر بين الثقافة الوطنية والثقافة الأجنبية الوافية.

ويلاحظ مما تقدم وحدة الظاهر الثقافية في أفريقيا رغم تشعباتها المختلفة. فجميع مفرداتها تكاد تكون قد اشتربت في عملية الصراع مع الآخر كل في مجال وبطريقته.

فالصراع المتعلق بإشكالية الهوية وأن كان لم يجذب إليه كافة القوى الاجتماعية حيث ظل منحصراً في دائرة النخبة الأفريقية المثقفة إلا أنه شهد انتشاراً من نوع آخر، انتشاراً عرضياً لا رأسياً من خلال تكرار وتجدد ظهوره في مختلف أوجه الحياة الروحية منها والذكرية.

وهكذا عالج الفصل الأول من هذه الدراسة النشأة التاريخية للمفاهيم المحورية الثلاثة التي سادت الساحة الأفريقية. كما تطرق للتيارات التي كشفت عنها حركة الجامعة الأفريقية، وحركة الزنجوجية وطبعية القضايا الخلافية التي أثيرت خلال ذلك ودلالتها. كما توقف بوجهه خاص عند طبيعة الشريحة الاجتماعية التي استثارت تلك القضية باهتمامها وطرح تساؤلات مما إذا كانت إشكالية الهوية هي إشكالية مجتمع أو أمّة باكمالها أم شرائح محدودة، وتساءل حول طبيعة

وهو الأمر الذي اكتسب ردود فعلهم بعداً له خصوصيته. فقد تكثروا من أن يصفوا طابعاً متميزاً على انشغالات وهموم مشتركة فيما بينهم وبين الأنجلو孚ون.

ويلاحظ أن انعكاس مفهوم الزنجوجية كان أوضاع في مجال الأدب حيث ضمت حركة الزنجوجية في القلب منها حركة أدبية باكملها وفيها لم يخل مفهوم الشخصية القومية من مثل هذا التأثير إلا أن وزن ر بما كان أقل نسبياً.

وتجدر بالذكر أن المفاهيم الثلاثة قد اشتربت فيما بينها في مجموعة من الخصائص الجوهرية فقد انطلقاً من ذلك القلق العميق الذي استبد بالنخبة الزنجوجية المثقفة سواء منها من كان في الشتات الأوروبي والأمريكي أو من منها على الأرض الأفريقية. كما اشتربوا مما في نزوعهم نحو إعلاء قيمة التراث الأفريقي وتجريد الماضي الأفريقي والشعور بذلك الحنين للحضارة الأفريقية إلى الحد الذي رأى فيه البعض أنهم قد قدموا في بعض الأحيان أسطورة مضادة للأسطورة التي قدمها الغرب عن أفريقيا.

ولعل ما يلف النظر في ظروف نشأة تلك المفاهيم أنها جميعاً قد عرفت بدايتها الأولى على يد زنوج جزر الهند الغربية وذلك قبل أن يلتحق بهم زنوج أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، ثم زنوج أفريقياً في مرحلة لاحقة.

وتجدر بالذكر أنه فيما عالج الفصل الأول من الدراسة تداعيات الصراع مع الغرب على صعيد العتقدين السياسي والديني (ظاهرة الكنائس المستقلة عن الإرساليات التبشيرية). وذلك كجزء من رصده لأوجه الصراع بين الذات والآخر

- انفصالتها في مرحلة لاحقة.
- وقد خلصت الدراسة مما تقدم إلى مجموعة من النتائج في مقدمتها:
 - أن الظاهرة الثقافية في أفريقيا ظلت في حالة تفاعل مستمر مع ظاهرة الآخر الأوروبي أو مع الظاهرة الاستعمارية وأن الظاهرة الثقافية في أفريقيا كانت بمفرداتها المختلفة وبرمتها طرفاً في الصراع الدائر مع الغرب.
 - إن الفكر الأفريقي الحديث قد حمل من عناصر الوحدة أكثر مما حمل من عناصر الخلاف. ومن هذه الزاوية تتبنى هذه الدراسة الرأي القائل بوحدة الفكر الأفريقي بين منطقتي الأنجلوفون والفرانكوفون رغم تنوع مظاهره والفارق الجزئية في تعبيراته.
 - إن الخطاب الذي سادها كان موجهًا للأخر الأوروبي بقدر ما كان موجهاً للذات. كما شغلت القضية عمليتين في أن واحد هما التأكيد والتغيير. تأكيد الرواية الوطنية للهوية. وتغيير الرواية الاستعمارية لها. والأهم من ذلك إعادة ربط العلاقة بالطرفين على أسس جديدة.
 - وتنتهي الدراسة أنه فيما بدت إشكالية الهوية في بعض الأحيان كأنها أمر لم يكن هناك مقدمة له، بدت في لحظات أخرى وكانتها عمل لاطائل من ورائه. وبين هذين النقيضين كانت حقيقة من حقائق الواقع الأفريقي سواء تم قبولها أو رفضها.
 - إن طابعها الدفاعي إزاء الآخر لم يمنعها من أن تمثل حلمًا أيديولوجيًا طموحًا في مجتمعاتها سار خطوات طويلة. ولو على صعيد التطلعات وحدها. بعيدًا عن مواطن التمزق.
- القوى التي وجه لها الخطاب الذي سادها.
- كما تناولت أثر العوامل الخارجية على نمو الوعي القومي وتوقف بوجهه خاصًّا عند ظاهرة الوعي القائم من الخارج والتثيرات الوافدة من خلال الفكر الناجي في جزء الهند الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، انتهاءً بالعائدين إلى أرض الوطن بعد تجربة الإقامة بالخارج، سواء لأغراض الدراسة أو لأغراض عسكرية تعلقت بهؤلاء ممن تم تجنيدهم في الحربين العالميةتين بجانب قوات الحلفاء في أفريقيا وفي أوروبا، وهي الأطراف التي عادت إلى أرض الوطن محملة بمفاهيم جديدة أثرت تأثيراً بازعاً على تصوراتهم تجاه الذات وتجاه الآخر في الوقت الذي اهتزت فيه هيبة الأخير.
- كما تناولت الدراسة الفروق بين الأيديولوجيات الوطنية وتنوع تياراتها في ضوء اختلاف السياسات ضمنون تلك المركبات الوطنية، بل وعلى تشكيل النخبة المتعلمة فيها والتي ستؤثر بدورها على اندلاع العمل الوطني.
- كما تناولت الدراسة ظاهرة الكنائس المستقلة عن الإرساليات التبشيرية وللالتاكماظهر من مظاهر التأكيد على الهوية الوطنية. وكذلك كتعمير عن الحاجات الروحية التي دفعت نحو أفرقة الديانة المسيحية الوافدة لتصبح أكثر ملامة للتطلعات الناجية.
- كما طرحت الدراسة ظاهرة انتساب الأحزاب السياسية الأفريقية للأحزاب الاشتراكية الفرنسية ثم

والتجزئة. ففي وقت كانت ولاتزال التعددية العرقية والاثنية تتنفس الأمة وتعوق انتصاراتها، إذا بمقاييس النهضة تحلم بوحدة الزوج على مستوى العالم أجمع. وتبشر بتجاوز الأطر الضيقية في سورتها القبلية، وتطرح مشروعها تارياً خيراً عملاً، وتحقق أرهامات هذه الوحدة في التجمعات والتنظيميات العرقية والسياسية التي عرفتها.

وبالرغم من صحة المقوله بأن الأمور
تقيم بنتائجها لا بد وافعها، وبالرغم من
أن نتائج الحركة قد شابها بعض
القصور، إلا أنها مثلت رغم ما من ذلك
معنى تقديمها في زمنها حرك المجتمع
معه حتى ياقسامه التي بدت ساكنة-
حركة ليست بالضرورة في اتجاه
الانشغال بإشكالية الهوية التي ظلت
منذ البداية إشكالية النخبة، إنما جذب
الانتباه لأمور شبيهة في مضمونها
ومختلفة في تجسداتها، فاقرقة الديانة
المسيحية الوافدة لم تكن انشغالا
نخبويا هرفا، بل حسمت قطاعات أوسع
في المجتمع بعضها أمن لا يعرف القراءة
والكتابة.

كما أن الحركة النقابية في المستعمرات الفرنسية التي عبرت عن انفصalam عن نظيرتها في فرنسا لم تكن بدورها أمراً نخبوياً صرفاً بحكم وجود جماهير العمال فيها. كما أن تطوير لغة المستعمر لتلبّي الحاجات الأفريقية تمت من جانب القطاعات الشعبية في المجتمع.

إن الثنائية التي حملتها إشكالية الهوية بين مطباتها قد انعكس على أحادية الموضوعات التي سادت الساحة الأدبية المعوقد من الزمان وسادت بوجه

خاص الرواية الأفريقية - وهي قضية المصراع بين الحضارتين الأفريقية والأوروبية، وهو الأمر الذي دفع الأجيال الجديدة من الكتاب إلى الدعوة لتحرير الأدب من نفوذ تلك القضبية وتلك الثنائية، وإتاحة قدر من التعددية في الموضوعات، وإقصاص المجال للقضايا التي يزخر بها الواقع الأفريقي، والتي لم تفل مع ذلك ماستحقه من اهتمام.

فيما عالجت فصول أخرى من الدراسة آراء شنون التشيبي ونجوجي وأثينجو والطبيب صالح ازاء عدد من القضايا وفي مقدمتها دور الأديب في مجتمعه و موقفه من قضية الالتزام بقضايا عصره و موقفه من استخدام اللغات الوطنية أم اللغات الأجنبية في كتابة الأدب الأفريقي، والوقف من المعايير النقدية الغربية والإجحاف المتضمن في تطبيقها على الأدب الأفريقي، كما عالجت الدراسة أرائهم إزاء قضية التغريب الروحي للنخبة الأفريقية المثقفة. من خلال نومية الثقافة التي اكتسبتها وطبعها المؤسسة الدينية التي نمت في ظلّها و المؤسسات التعليمية التي نمت في إطارها والمضمون الأدوري الذي تخلل المؤسسات وأثره على صورة الذات.

إن الشعب الأفريقي - كما يقول اثنين - لم يسمع عن الحضارة لأول مرة من جانب الأوروبيين فمجتمعاتهم. لم تكن خالية من العقل وإنها كثيراً ما كانت تحمل فلسفة عميقة وقيمة وجمالاً. لقد كان لديهم شعر وأهم من ذلك كان لديهم كرامة. إن هذه الكرامة هي التي فقدوها العديد من أبناء الشعب

الأولى حين بدأت الكتابة الأدبية أن هذه الجدية ملائمة لوضعى، أن السبب فى هذا الاختيار أنى اعتقد أنه بداخلى احتياج كامن عميق لأن غير وضع الأشياء من حولى، وفي أن أجد لنفسى مساحة أكبر قليلاً من تلك التى سمحت لي في العالم».

ويحدد الطيب صالح رؤيته للدور ولهمة الأديب بقوله « مهمتى ككاتب ليست النسيان، بل أن أتذكر والمشكلة بالنسبة لي هي تذكر أشياء نسيتها تماماً لكن النسيان في الحياة العادلة هي مرحلة الألم العظيم».

فيما يرى نجوجى أن الأدب يأخذ صاف هذه القوى الاجتماعية أو تلك فى المجتمع الطبقى، فالكاتب يتدرج من طبقة محددة ومن عرق ومن وطن محدد وهو نفسه نتاج التاريخ.

ويقول الطيب صالح في موسم الهجرة إلى الشمال « بالغرابة بالسخرية، الإنسان مجرد أنه خلق عند خط الاستواء بعض المجانين يعتبرونه عبداً وبعضاً يعتبرونه إلهًا».

« كونهم جاءوا إلى ديارنا، لا أدرى لماذا، هل معنى ذلك أننا نسم حاضرنا ومستقبلنا».

« إنهم سيخذجون من بلادنا آن عاجلاً أو آجلاً، كما خرج قوم كثيرون عبر التاريخ من بلاد كثيرة، سكك الحديد والبواخر والمستشفيات والمصانع والمدارس ستكون لنا، وستنحدث لغتهم دون إحساس بالذنب ولا إحساس بالجميل سنكون كما نحن قوم عاديون».

ويقول في موضع آخر من الرواية إذا سئل عن الأوروبيين قال أنهم « مثلنا

الإفريقي أثناء الفترة الاستعمارية، وتلك التي يجب أن يستعيدها الآن.. إن مهمة الكاتب هي أن يساعدهم في استعادتها عن طريق أن يريهم بشكل إنساني ماذا حدث لهم وماذا فدوا.

والشكل كما يطرحه اتشيبى أن التتصدع شمل مختلف الأبعاد والصور، فالغرب جرد العشيرة والحضارة التي تمثلها من كينونتها ومن روتها وخصوصيتها لقد أدى بخيره وشره أزاح النمط التقليدى بخيره وشره أيضاً.

يقول اتشيبى عن دور الأديب في مجتمعه « سوف يكون أمراً مرضياً لي تماماً إذا كانت رواياتي (خاصة تلك التي ألفتها في الماضي) لم تفعل أكثر من أنها علمت قرائي أن ماضيهم - بكل نوافذه - لم يكن ليلاً واحداً طويلاً من الهمجية والتي جاء الأوروبيون الأوائل لي逞لوا منها نيابة عن الله، ربما ما أكتبه هو فن تطبيقى وليس فناً خالصاً، ولكن لا يهم الفن أمر مهم وكذلك هذا النوع من التعليم الذى أقصده والأرى ضرورة أن يستبعد أحدهما الآخر».

ويضيف اتشيبى في موضع آخر: « إن عضو الإرساليات التبشيرية من ترك الحياة المريحة في أوروبا ليتجول في غاباتنا كان في قمة الجدية، وكان عليه أن يكون كذلك فقد جاء ليغير من عالمي، أن الإمر يبدو شديد الوضوح إذا رغبت في أن أغير الدور والهوية التي شكلت لي من جانب هؤلاء العملاء الجادين للاستعمار سوف أكون في حاجة لأن استغير بعضاً من حسهم». «ويضيف» ولقد رأيت من الدقيقة

تماماً، يولدون ويموتون، وفي الرحلة من المهد إلى اللحد يحملون أحلاماً بعضها يصدق وبعضها يخيب، يخافون من المجهول وينشدون الصب ويبحثون عن الطمانينة في الزوج والولد. مثلاً، أو بتعبير أدق مثلاً تقريراً.

فهم أقوياء وبينهم مستضعفون لكن الفروق تضيق وأغلب الضعفاء لم يعودوا ضعفاء ..

وعن مرحلة ما بعد الاستقلال وخيبة الأمل التي سرعان ما صحبتها يقول اتشيبى في رواية *رجل الشعب* مسكينة أنت أيتها الأم السوداء انظرت طويلاً حتى يشب ابنك فيريحك ويعوضك عن عناه سنوات المهانة والإذراء فإذا بالإبن الذي ملئت عليه كل هذه الآمال يظهر في النهاية أنه ليس سوى تشيف تانجاً.

ويقول الطيب صالح لو قلت لجدى أن الشورات تصنع باسمه والحكومات تقوم وتقدمن من أجله لضحك.

كما يقول في مواضع أخرى «البواخر التي مخرت عرض النيل أول مرة تحمل المدافع لا الخبز» و«سكك الحديد التي انشئت أصلاً لنقل الجنود».

أما الفصول الأخرى من الدراسة فقدتناولت العالم الرواخي للأدباء الثلاثة موضوع البحث، وتوقفت بوجه خاص عند مفهوم العلاقة بين الذات والأخر كما قدمها كل كاتب على حدة. وانتقلت من ذلك إلى دراسة مقارنة بين صورة الذات والآخر لدى الأدباء الثلاثة.

وقد أولت الدراسة اهتماماً خاصاً بتطور صورة الذات عبر تطور المراحل التاريخية في علاقة إفريقيا بأروبا، فتناولت هذا التطور في أكثر من

مرحلة تاريخية شملت مرحلة مجيء الرجل الأبيض، ومرحلة تغلغل وجوده وتفوزه، وماصاحب ذلك من تصدع البنية التقليدية، ثم مرحلة ما بعد الاستقلال والصور النوعية التي اتخذتها العلاقة بالآخر.

وقد عنيت الدراسة بالكشف عن ملامح الذات ومصورة الأزمة التي صورها الأباء كما عنيت بابراز الفروق بين المضمون الأيديولوجي للأدباء الثلاثة واختلاف رؤياهم.

وأشارت الدراسة إلى أنه فيما عنى اتشيبى والطيب صالح بعملية التغريب الروحي وبصراع الهوية عن نجوجى بالصراع السياسي والاجتماعي في المجتمع.

وقد تناولت الدراسات علاقية الأيديولوجيا بالأدب كما تطرقت للمنهج المستخدم في معالجة النصوص الأدبية.

فإذا كانت الروايات الأولى قد صورت الرجل الأبيض الوارد إلى القارة الأفريقية فإن عديداً من الروايات الأكثر حداثة قد صورت الزنجي المثقف الوارد إلى القارة الأوروبية أو العائد منها. وهذه الحركة التي تعبّر تارياً خيراً عن نقلة حضارية محددة تظهر مجدداً صور الصراع في تطورها إلى تاريسي وتحرك في الآهان أن إشكالية العلاقة بالغرب لاتزال تمثل أحد الهموم الرئيسية للنخبة المثقفة التي فاقمت عدة أوضاع من أزمتها.

فالرجل الأبيض جاء وخلف من ورائه تراثاً وأصبح المثقف أزاء نوعين من التراث: تراثاً حضارياً وتراثاً حضارة الأوروبية الغازية، وأصبح مجال الانتقام المتاح أوسع من ذي قبل كمّا أصبح



المختلة وانعكاساتها على حجم الخصومة مع الغرب وعلى مظاهر تلك الخصومة. وهكذا تتتطور صور العلاقة بالآخر لتتتخذ تدريجياً صوراً أكثر نوعية ولتعبر بطريقة أشد التوااء عن نزاع بين القناعات المتضاربة حضارياً ولتعبر بطريقة مقتنة عن صراع كان منذ ما يقرب من قرن مضى ضراعاً حضارياً شرساً ومريحاً.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الانشغال بقضية الاحتكاك بالغرب لم يتسرّب لاغلب الأعمال الروائية فحسب، وإنما كان بعد ذات أحد العوامل التي استثارت ظهور الشكل الروائي من

النموذجان الحضاريان أكثر تداخلاً في وعيه، رغم أنها أصعباً زكيـر انفصـالـاً عن بعضـها البعضـ من ذي قبلـ. ويلاحظ في الكتابات الأدبية أنه كلـما اختـفت الصـورة المـباشرـة لـلـغـربـ المستـعـمرـ تحـولـتـ أـورـوباـ إـلـىـ اـمـراـةـ. وكلـما حـملـت الصـورةـ الغـربـ بشـكـلـهـ الاستـعمـاريـ الفـجـ صـارـتـ أـورـوباـ هـيـ الرـجـلـ وـهـيـ الـحـاـكـمـ وـهـيـ الـمـدـفعـ وـهـيـ السـجـنـ. كما يلاحظ أن الغرب عامة وهو في موطنـهـ الـأـمـ يـكونـ قادرـاـ عـلـىـ اـبـداـهـ قـدرـ أعلىـ منـ التـسـامـعـ العـرـقـيـ منهـ وـهـوـ فيـ المستـعـمرـاتـ. كما يلاحظ الفروقـ بينـ حـرـكةـ الأـجيـالـ

الفربيبة هي ذاتها التي قدر لها أن تناصر عملية التحرير الذهني وتعلن البقطة الوطنية لأفريقيا.

وهذا الأمر إن كان يدل على شيء فهو يدل على أن الكتابة الأدبية الروائية لم تكن نشاطاً معزولاً عن الوعي السياسي العام في المجتمع في تلك اللحظة التاريخية وإنما كانت تعبيراً عنه.

وتجدر بالذكر أن اتجاه الانشغال كما عكسته الروايات الأفريقيية قد اتخذ منحني أكثر نحو الفجوة بين من يملك the haves and the have-nots ومن لا يملك وذلك جنباً إلى جنب مع فكرة الفجوة الحضارية بين الشمال والجنوب.

ولعل أحد الأسئلة التي تتبارى إلى الأذهان هو سؤال ما إذا كانت إشكالية الذات والأخر والعلاقة فيما بينهما قد وجدت حل مرضياً لها بعد ما يزيد على ثلاثة عقود من معالجتها في الأدب الأفريقي، وخاصة في الرواية الأفريقي.

كما تظهر تساولات أخرى في مضمار تقييم ماقدمته الرواية الأفريقي على صعيد محاولة إعادة بناء الشخصية الأفريقي. فالسؤال هو هل لعبت الرواية الأفريقي التي انشغلت بالصدام بين الحضارتين دوراً تقدميّاً تاريخياً أم تعثرت؟ وهل حركت ودفعت بحركة المجتمع إلى الأمام إلى التصالع مع النفس وإلى تحريرها من التصورات الدونية والعنصرية التي الصقها بها الغرب خاصة في شقه الاستعماري؟ وهل ماقدمته كان أمراً ضرورياً لاغتنائه ولإنقاذ منه؟

إن مستقبل الأدب الأفريقي واتجاه تطوره هو الذي سوف يجيب على هذه التساؤلات. ◆

أساسه في أفريقيا ويذهب البعض إلى أن نشأة أي شكل أدبي جديد غالباً ما يصاحب نشأة طبقة اجتماعية يأكلها، فظهور الأخيرة وهو ما يدفع

لظهور تعبير أدبي جديد يواكب المعطيات الاجتماعية التي أوجدتها تلك القوى الاجتماعية الصاعدة في المجتمع، ويصدق الأمر نفسه على الرواية الأفريقيّة التي لم تظهر فحسب مع نشأة الطبقة البرجوازية الوطنية أنها ظهرت كذلك في زمن شهد تغيرات اجتماعية كبيرة، أهمها على الإطلاق.

كان هو الوجود الاستعماري العربي وماستثاره من ردود فعل على صعيد الوعي والثقافة والأدب أما الطبقة الصاعدة فكانت الانتلوجينسيا الأفريقيّة والتي كانت ثمرة التعليم الكولونيالي الذي وفرته الإرساليات التبشيرية.

ومن هذه الزاوية فكلما كانت البرجوازية الناشئة تقود ال肯فاج السياسي كانت الانتلوجينسيا الصاعدة تغير من الطبقات الجديدة للشعوب الأفريقيّة وذلك في صور الفنون المختلفة.

وهكذا نشأت الرواية الأفريقيّة في مناخ سياسي واجتماعي محدد تبيّن بوجود تحدي غربي، ومن هذه الزاوية يعتبر البعض أن الرواية الأفريقيّة شهدت أول ظهور لها في بيئه معادية، إن الأدب الأفريقي الحديث قد تأثر سوسيولوجياً بالبيئة الاستعمارية ومكان الفنان الأفريقي على دعم تام بهذه الحقيقة.

فتلك النخبة الأفريقيّة التي بدت في أول تكوينها وكانتها امتداد للقيم

«عقدة الذنب» في الأدب الإسرائيلي

د. مصطفى عبد الغنى

(أبوى) تسيطر فيه النخبة السياسية وبشكل خاص منذ الخمسينات، وقد أضيف إلى ذلك في داخل الأرض المحتلة معاناة الكاتب الفلسطيني والتي تبدأ من نكبة ٤٨ وتمر بسلسلة طويلة من عمليات القتل والمجازر والطرد الجماعي والترحيل القسري حتى انعكست في بداية الثمانينات في مجازر لبنان، ووصلت في أحدي صورها في ترحيل المبعدين الذين زادوا على الإبعمانة من الضفة الغربية والقطاع(غزة) وذلك في ١٧ ديسمبر ١٩٩٢، غير أن مراجعة موقف المثقف الفلسطيني ترينا أنه استطاع الخلاص من هذا كله بالنهوض في كل مرة يسقط فيها (١).

وهو ما يمكن القول معه وهو ما

الذنب» هي حقيقة مؤكدة في الأدب الإسرائيلي.. ولم تعد هذه الحقيقة مجال نقاش أو مناقشة..

لقد كانت هذه العقدة قائمة في الأدب العربي وبدت أقل وضوحاً في الأدب العربي في فلسطين، غير أنها بالنسبة للأدب الإسرائيلي كانت أكثر وضوحاً واتخذت أبعاداً كثيرة بهدف واحد، هو عند الإسرائيليين (التبرير) وليس (الإدانة) كما يبدو لنا.

في الأدب العربي كان المثقف العربي يعني هذه العقدة - بالذنب - منذ فترة مبكرة - إزاء الواقع الثقيل من معاناة قوى الاحتلال وتفاقم الأمراض الاجتماعية وما إلى ذلك في مجتمع

ستثبته في موضع آخر ونبرهن عليهـ إن الفلسطيني استطاع أن يجاوزـ (عقدة الذنب) الموهومـ والمصودـ عليها بحوار الحجر والدم الذي وصل إلى أقصاهـ في (الانتفاضة)ـ في نهايات عام ١٩٨٧ـ في حين أن الإسرائيلي رغم سعيه الدائب للخروج من هذه الدائرةـ كان سرعان ما يعود إليهاـ رغم الادعاء بالتعاطف مع ضحيتهـ أو التبريرـ لواقفـهـ ..ـ والأمرـ معـ الأدبـ الإسرائيليـ يستحقـ وقفةـ أطولـ ..ـ

(٢)

كانتـ «عقدةـ الذنب»ـ فيـ الأدبـ الإسرائيليـ حاضرةـ بشكلـ واضحـ .ـ وقدـ عكسـهاـ الموقفـ الإسرائيليـ العنيفـ والدائمـ فيـ حقـ الفلسطينيينـ بكلـ الأساليبـ التيـ استخدمـتـ ضدهمـ ،ـ وخاصةـ خلقـ الشعورـ بالرعبـ ،ـ وتذكرـ المصادرـ الحيةـ .ـ لشهودـ العيانـ .ـ أنهـ فيـ ٩ـ أبريلـ ٤٨ـ .ـ وعلىـ سبيلـ المثالـ .ـ وقعـ حادثـ ديرياسينـ بالقدسـ حيثـ قامـ أعضاءـ عصابةـ مناحمـ بيجنـ (الأرجونـ)ـ بقتلـ ٢٥٤ـ منـ القرويينـ .ـ وبذلكـ كانـ (ديرياسينـ)ـ بعثـةـ عاملـ تصعيدـ حاسمـ للقرارـ إلىـ أيـ مكانـ .ـ ونقرأـ فيـ هذهـ الفترةـ لمناحمـ بيجنـ :ـ إنـ العربـ فيـسائرـ أنحاءـ البلادـ تتكلـمـ ذعرـ لاحدودـ لهـ وشرعواـ فيـ الفرارـ بأرواحـهمـ عندماـ القبـيتـ فيـ رقوسـهمـ رواياتـ وحشيةـ عنـ سفكـ الدماءـ الذيـ تقومـ بهـ الأرجونـ .ـ (٢)ـ فنشأـ عنـ هذهـ السياسـةـ الرعبـ والقرارـ الجماعـ غيرـ المنظمـ والتشريدـ المؤسسـ .ـ

منـ هذاـ الوقتـ .ـ عامـ النكبةـ ١٩٤٨ـ زادـ الإجرـاءـاتـ الإسرائيليـةـ الداميةـ

ضدـ السكانـ العربـ .ـ وانعكسـ هذاـ كلهـ فيـ الأدبـ الذيـ يسمـىـ أصحابـ أدباءـ (جيلـ حربـ التحرـيرـ)ـ استنادـاـ إلىـ المكانـةـ الرئيسيةـ التيـ تحـتلـهاـ هذهـ الحربـ فيـ إنتاجـهمـ .ـ وقدـ كانـ أهمـ أبناءـ هذاـ الجيلـ موشـيهـ شامـيرـ ويـجالـ موسـينـونـ ونـاتـالـ شـاحـامـ ومـاتـىـ مـيـحدـ وـمنـهمـ تـلمـىـ .ـ وغيرـهمـ .ـ

وـعبـورـاـ فوقـ كـتبـ اـسرـائيلـيةـ كـثـيرـةـ فيـ الروـاـيـةـ .ـ فـيـ المـلاحـظـةـ الأساسيةـ علىـ هـذـاـ الأـدـبـ سـقطـ أـصحابـهـ فيـ (عقدـةـ الذـنبـ)ـ الـذـينـ حـاـولـواـ تـبـرـيرـهـاـ بـوسـائلـ زـائـفةـ كـثـيرـةـ .ـ

لـقدـ سـقطـ الأـدـبـ الإسرائيليـ فيـ الهـوةـ السـاحـيقـةـ بـيـنـ الـقيـمـ المـثالـيةـ وـالـوـاقـعـ الـعـاتـيـ .ـ أوـ فيـ اـدعـاءـ هـذـاـ الـقـيمـ مـواجهـةـ هـذـاـ الـوـاقـعـ الـبعـشـ الذـيـ خـلـفـ الإـسـرـائيلـيـوـنـ فـيـ تـعـاملـهـمـ معـ أـبـانـهـ الـبـلـادـ الـعـربـ .ـ

وـيـلاحظـ رـشـادـ الشـامـيـ أنـ وضعـ الـأـمـرـ عـلـىـ شـكـلـ صـرـاعـ بـيـنـ الـقـيمـ وـالـوـاقـعـ إـنـماـ يـجـعـلـ الـمـرـءـ يـقـعـ فـيـ أـحـبـولـةـ أـنـ (الـقـيمـ)ـ فـيـ حـدـ ذاتـهاـ إـنـسـانـيـةـ وـمـثـالـيـةـ بـيـنـماـ الـخـطاـ قدـ وـقـعـ أـثـنـاءـ مـحاـولـةـ بـلـورـةـ هـذـهـ (الـقـيمـ)ـ .ـ (٤)

وـقـبـلـ أـنـ نـقـرـبـ مـنـ التـفـسـيرـاتـ الـكـثـيرـةـ حولـ هـذـهـ الثـانـيـةـ بـيـنـ الـوـاقـعـ وـالـقـيمـ لـابـدـ أـنـ نـشـيرـ إـلـيـ بعضـ الـعـبارـاتـ الـتـيـ وـرـدـتـ فـيـ روـاـيـةـ سـ.ـ بـيـزـهـارـ لـنـرىـ كـيـفـ أـنـ (الـاحـسـاسـ بـالـذـنبـ)ـ إـنـماـ هوـ إـحسـاسـ مـزيـفـ يـرـادـ بـهـ خـداـعـ الـقارـئـ أوـ الـمـتـلـقـيـ بـحـجـةـ أـنـهـ لـمـ يـكـ أـمامـ إـسـرـائيلـ إـلـاـ هـذـاـ الـخـيـارـ .ـ يـقـولـ الـبـطـلـ فـيـ قـصـةـ (خـربـةـ خـزـعةـ)ـ .ـ (٥)

ـ (ـ اـسـتـعـرـضـتـ أـمـامـ نـاظـرـيـ كـلـ تـلـكـ الـمـصـابـ وـالـمـأسـ الـتـيـ جـرـهاـ الـعـربـ

بالقدر الذى نجده لدى اساتذة الجامعة
والمفكرين..

كذلك نجد ذلك الموقف في نكبة ٤٨
بالقدر الذي نجده في نكبات تالية يدفع
فيها الكثير من الفلسطينيين من
حياتهم وأمانهم الشخصي، غير أن حرب
٤٨ تتطلب أكثر الحرارة تركيزاً على
الصراع بين القوى والقصوة(٧).

والملافت للنظر في دراسة الشخصية الإسرائيلية أن الثقافة التي تحدد بها تتبع أساساً من العقيدة الدينية، وهي عقيدة يتسمى لأصحابها أن يدعوا أنها آئي الثقافة الإسرائيلية- تقوم على «الإحساس بالذنب أكثر من آية ثقافة أخرى بما في ذلك الثقافة المسيحية» (٨). وعلى ذلك نجدنا نعود دائماً إلى هذه الثانية التي توصم بها هذه الشخصية، وتبرر بها وحشيتها في التعامل مع أهل البلاد، ونقصد بها العلاقة بين المثالية والشر، أو بين ضرورة العيش ومتضيّبات الأمان.

فالأمن في الثقافة اليهودية يعني
فناء الآخر والقضاء عليه، وهو ما يطلق
عليه في الأدبيات الإسرائيلية
المعاصرة (الشر الضروري)، وحين لسبب
ما ش لا تتمكن من إنكار هذه الحقيقة
تبرر تصرفها بالحديث عن الضرورات
الأمنية. كان الكاتب الإسرائيلي أموس
اللون قد تحدث في كتابه المهم
«إسرائييليون: آباء وأبناء» عن سر

اهتمام جماعات من المثقفين اليهود
لقصة اقتلاع الفلسطينيين من ديارهم
ونفيتهم وتوصل إلى أن السر وراء
اهتمام المثقفين بمصير هؤلاء الناس
يعود إلى وجود أحساس خفي بالذنب
نحو الفلسطينيين العرب، وقد وجدوا

عليها، ردت أسماء الخليل وصفيه، وبيرطوبا وخولدا، تشبث بالحتمية، وهي حقيقة مؤقتة..

(-) تجولت بعيوني هنا وهناك. لم أرتع. من أين أظل بي الوعي بانتى متهم وما الذي بدأ يضغط على لطلب شهادة امتدار؟ لقد كان المدوه الذى يخيم على مشية رفاقتى يزيد من المحن).

- لم اسطيع البقاء في مكانى.. مكاني لم يعد يحتملنى
- لقد تكسست الاشياء فى داخلى
- إنها حرب قذرة، فلت مختلقا بعض الشيء).

إن الروائي يريد إيهامنا أن الصراخ يقوم بين الأيديولوجية الصهيونية والواقع المريض، الذي جابهته هذه القيم لدى محاولتها اغتصاب فلسطينين من أصحابها، والسلوك المشين للأخلاقي الذي أجبرهم عليه من لقائهم هذه القيم من أجل تحقيق أطماع الصهيونية في احتلال الأرض العربية وتشريد أهلها، وقد لاحظ البعض أن تردد كلامه الحتمي (الأخيار)، إنما يعكس احساساً مصطنعاً بالذنب فهو نوع من بكاء للقاتل على ضحيته وهو بالطبع بكاء مثل دموع التناسيع، لا يعني أي معنى إنساني ولا يشكل إلا نوعاً من تفريغ الضمير (١).

الواقع أن هذا الموقف الذى نجده لدى أبناء ٤٨ يمتد إلى الأجيال التالية، كما أنه يتهادى إلى المساحة البعيدة فى المجتمع الصهيونى، فكثيراً ما نجده لدى مفكرى الأحزاب أو المنظمات السياسية

وتنفيذ هذه الفكرة تتباين بين هذا السياسي أو ذلك، أو هذا المشف أو ذاك، لكنها في النهاية تعكس الاستراتيجية اليهودية في ضرورة إخراج السكان الأصليين وتفریغ الأرض من أصحابها، وهي فكرة «متاملة في الصهيونية الليبرالية والاشتراكية وقد ردها مؤخراً الاشتراكيون الديموقراطيون) الأميركيون بالإضافة إلى الزعماء الإسرائييليين الذين يعتبرون أحياناً حاماً»^(١٢)، ويشدد تشوسمكى على هذه الفكرة أكثر حين يعود إلى حزب العمل الإسرائيلي فيرى أنه - أساساً - «حزب النخبة المثقفة ذات التوجهات الأوروبية مدربين، ببروقراطيين، مثقفين... الخ ومارسته قائمة على «بناء الحقائق» بينما يبقون على بلاغة مبسطة ذات نفحات توقيفة على الأقل في العلن. أما في الدوائر الخامسة فالموقف هو كالتالي» لايهم ما يقوله الأغراب اللايهود وما يهم هو ما يفعله اليهود، كما يرد بن جوريون وأن حدود اليهود (إسرائيل) تقع حيث يعيش اليهود وليس حيث يوجد خط على الخارطة، كما تقول جولدا مائير، وهو ما يعني الوصول إلى الغايات بدون تنفيذ الرأي الغربي في الوقت الذي يتم فيه استئناف الدم الغربي وخاصة الأمريكي^(١٣).

ونستطيع أيضاً ملاحظة هذا (الشر الضروري) في مذايق أخرى للعرب، تحت رعاية الإسرائييلين، ربما كانت من أهمها مذبحة بيروت (مبرا وشاتيلا)، فقد أثيرت في الصحف الغربية عاصفة من النقد للقوات الإسرائيلية التي أشرفت على المذبحة، وفي الوقت نفسه،

أنفسهم تحت عجلات التاريخ. أن تعبير وجدوا أنفسهم تحت عجلات التاريخ هنا هو نفسه محاولة غير واعية للتخلص من الشعور بالذنب وكان التاريخ هو المسئول عن الجرائم التي ارتكبت في حق الفلسطينيين وليس الصهاينة.^(١٤) وللحظ أن أكثر فهمها لعقدة الذنب في الممارسة الإسرائيلية هم الإسرائييلين أنفسهم أو من يعيشون خارج إسرائيل من أصول يهودية، فالذكر المهيوني أمنون روشنشتين يرى أن حرب ٤٨ لا تكشف فقط عن مدى العداء بين العرب واليهود وإنما كذلك «عن الإحساس بالذنب تجاه العربي ابن البلاد اللاجئ» ، والضحية ، والأسير^(١٥) ، وهو إحساس - كما أسلفنا - مزيف، لا يزيد على أن يكون راحة للضمير أو هروباً من الجريمة بالتفكير فيها.

ويرى عالم اللغويات اليهودي ناعوم تشوسمكى أن اليهود يعانون من - عقدة أساسية من الشعور بالذنب حولبقاء اليهودي، وبصورة مشابهة يعزو أرييفنج هاو عزلة إسرائيل الخطيرة إلى «متناورات النفط البارعة، وتلك الحكمة المرة القائلة (في أطيب القلوب يوجد ركن يارد لليهود)^(١٦) بما يشير إلى توقفه عند النوعية اليهودية ذاتها، والتي تحدد مواقعها العنيفة ضد الشعب الفلسطيني بصراع القيم المثالية.

وإذا كان تشوسمكى يتحدث عن اليهود بشكل عام، فهو يحدد - أكثر - بعده آخر للقضية، فالخروج كل الفلسطيني من الضفة الغربية وغزة وطردهم إلى الأردن في فترة لاحقة يكشف من هذا الإحساس الزائف،

بربارا تكمان.
وهو مانصل معه إلى أن (عقدة الذنب) كان يجب أن تكون لدى اليهودي متسقة مع الفعل وليس لتبير ماحدث إزاء الجرائم التي ارتكتب ضد العرب. كما أنها ليست متعارضة مع بقصد التبرير أو الخداع.

كانت عقدة الذنب في الأدب اليهودي تنشأ لتبير ما يحدث. في حين أنها كانت في الأدب الفلسطيني للتوقف أمام الذات. الأديب اليهودي أراد الهروب مماحدث بالتبير له. والفلسطيني رأى أنه لا بديل أمامه غير نقد الذات.

إنها عند الأول الحمية التي لا بد منها لنسوان ما يرتكب وهي عند الآخر الفعل الذي لا بد منه للخروج من هذا الواقع وهو ما يجب أن تتمهل معه عند الأدب الفلسطيني - وبوجه خاص - الروائي - لنرى صوراً من تعامل الأديب الفلسطيني مع الذات.. وعبر استجابات أخرى متابعة.

الهوامش

(١) تشير مراجعة تاريخ الفلسطينيين أن الإحباط الذي كان يميز الشخصية الفلسطينية لفترة ما سرعان ما يتبدد ليحل محله النهوض والتماسك، ويضرب البعض الأمثلة الكثيرة على هذا، فهزيمة العرب عام ٦٧ أمام إسرائيل أصابت العرب والفلسطينيين بإحباط كبير، لكن

رغم مؤيدو إسرائيل أنه لا يجب الجزم في مثل هذا الأمر قبل الانتهاء من التحقيقات الثلاثيـــ كما يزعمونـــ أن إسرائيل كانت في وضع مضطرب إليه لذلك ولم يستمدفعة له، وكان أكثر ما علق على هذا الصراع بين الواقع والأخلاقي الروائي الإسرائيلي أـــب يهوشوا، فقد عقب على المذبحة بقوله « إن الجنود الألمان لم يعرفوا مـــا حـــدث تعليقاً على الأمرـــ لأنـــ كانوا يمارسون عملاً غير مشروعـــ لأنـــهم لم يكونوا في موقع قوة في ألمانيا النازية، فلم يمتلكوا كل المعلومات، يقول يهوشوا:

(ـــ ماـــذا حـــدث في مـــعـــســـكـــرات الـــلـــاجـــنـــين في بيـــرـــوـــتـــ هوـــ النـــتـــيـــجـــةـــ المـــنـــطـــقـــيـــةـــ لـــكـــ ماـــ حـــدثـــ فيـــ الـــأـــشـــهـــرـــ الســـابـــقـــةـــ نـــتـــيـــجـــةـــ طـــبـــيـــعـــةـــ وـــمـــحـــتـــمـــةـــ تـــقـــرـــيـــباـــ ماـــذا يـــســـتـــطـــعـــ الـــرـــءـــ أـــنـــ يـــقـــوـــلـــ؟ـــ وـــهـــنـــيـــ أـــنـــ لـــوـــأـــســـتـــطـــعـــتـــ أـــنـــأـــصـــدـــقـــ أـــنـــ جـــنـــوـــدـــ قـــوـــاتـــ الدـــفـــاعـــ إـــســـرـــاـــئـــلـــيـــلـــةـــ الـــوـــاقـــفـــينـــ عـــلـــ مـــســـافـــةـــ ١٠٠ـــ مـــتـــرـــ مـــنـــ الـــمـــخـــيـــمـــاتـــ لـــمـــيـــعـــرـــفـــواـــ مـــاـــحـــدـــثـــ فـــإـــنـــ ذـــلـــكـــ ســـيـــكـــونـــ عـــدـــمـــ الـــعـــرـــفـــةـــ نـــفـــســـهـــ لـــدـــيـــ الـــأـــلـــاـــنـــ الـــوـــاقـــفـــينـــ خـــارـــجـــ بـــوـــخـــنـــفـــالـــدـــ وـــتـــرـــيـــلـــكـــنـــاـــ وـــلـــمـــيـــعـــرـــفـــواـــ مـــاـــحـــدـــثـــ أـــنـــنـــاـــ أـــيـــضـــاـــ لـــمـــنـــرـــدـــ أـــنـــنـــعـــرـــفـــ» (١٤).

إن هذا التهرب من موقف المسؤولية ليس غير ترديد لكلمة التي راح يرددوها الجنود الإسرائيليون قبل ذلك من جيل نكبة ٤٨، وهي عبارة (لاخيار)، فماذا يستطيع أولئك الجنود أن يفعلوه أمام المذبحة التي ارتكبها غيرهم. وهو مالم يستطع الإقرار به صراحة عدد آخر من أساتذة الجامعة في تل أبيب وفي مقدمتهم لايبوفيتيس والمورخة

الشخصية الفلسطينية تعasket وتعافت من الهزيمة ثم انطلقت لثبت وجودها مع العام ١٩٦٨ ثم مع العام ٦٩ في لبنان والأردن كمنطلقات للصدام مع إسرائيل» حدث هذا كثيرا قبل ٦٧ وبعدها مما يشير إلى التجاوز الإيجابي والوعي بالذات لدى الأديب الفلسطيني..

(أنظر تفصيل حالتي السقوط والنهوض في مقالة: مقاومة الصهيونية بلورت الشخصية المصامية الخامسة، سامي ذبيان، الشرق الأوسط في ١٩٩٣/٥/٢٢).

UCDOWOLL,D.,PALEATIM (٢) AND ISRAEL,LOSANGELES 89N.8 قامت الهيئة العامة للاستعلامات بترجمته فيما بعد تحت رقم ٨.٦ ١٩٩٣.

(٢) أشرنا - كمثال - إلى أدب حرب ٤٨، غير أن التنظير امتد ليشمل على (الحالة) الإسرائيلية حتى اليوم.

(٤) اعتمدنا في تأكيد هذا على الدراسة الهامة للدكتور رشاد الشامي بعنوان (الفلسطينيون والإحساس الذائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي)، دار المستقبل العربي ، ١٩٨٨.

(٥) النصوص المشار إليها من د. الشامي، السابق ص ٨١، ٨٥.

(٦) رشاد الشامي، السابق ص ٨٥.

(٧) رشاد الشامي، السابق ص ٨٢.

(ويعبر عن ذلك المفكر الصهيوني أمنون روبيشتين، فيقول: «لقد جعلت حرب الاستقلال ، الإسرائيليين في حالة من الصدام العنيف مع العالم العربي الذي يحيط به إنها حرب للحياة والموت، وقد بدأ ابن البلاد يكتشف مدى

الأهماق السحرية للعداء العربي بل أن أدب ٤٨، يعبر عن هذه الصدمة إنها تتسم بالقسوة التي رمى إليها ابن البلد ولكنها لا تكشف عن مدى قوة العداء فحسب، بل كذلك عن الإحساس بالذنب تجاه العربي ابن البلد اللاجيء والضحية والأسير. وكثيرون من أدباء «البالام» = حسبما أوضح ذلك أيهود بن عيزر- ينظرون إلى القلم مع العالم العربي باصطلاحات العدل وعدم العدل، والإحساس بالظلم تجاه العرب المطحون وهذا يشير ، ولو نظريا على الأقل، إلى احتمال مستقبل يحل فيه السلام ويسود العدل . وموضع العدل والظلم والإحساس بالمسئولية تجاه العربي الذي طرد من مدينته ومن قريته في الحرب التي لا ذنب له فيها، استطاع أن يضرب جذورا في أدب ١٩٤٨. لأن هذا عبر إلى جنب المعاناة والآلام، عن الإيمان بأن حرب الاستقلال كانت الحرب الأخيرة، التي حدّدت الوجود الإسرائيلي بدون اعتراض».

(٨) جريدة (الحياة) اللندنية، مقالة حليم بركات (إسرائيل وسياسة الشر الضروري)، مج ١.

(٩) السابق

(١٠) رشاد الشامي، ص ٨٢.

(١١) ناعوم تشومسكي، الثالوث الخطر، الولايات المتحدة، إسرائيل، والفلسطينيون ترجمة عبد الهادي عبلة، الاتحاد العام للكتاب والمصحفيين الفلسطينيين، فرع جمهورية مصر العربية ١٩٩٣ ص ٢٤.

(١٢) تشومسكي ص ٥٤.

(١٣) تشومسكي، السابق ص ٥٧.

(١٤) تشومسكي، السابق، ص ٣٩١.

فيورباخ: تمجيد الفرح أسئلتنا وأسئلة الملحد الورع

مصابح قطب

كان من يروجون لإمكانية تحقيق تخرمية حضارية تنقلنا مباشرة إلى عصر مجتمع المعلومات والثمور، «الكام» في آسيا، وتغنينا عن مصر الثورة الصناعية واستئثار التنويرية الكبير، أي أننا أول ريدي فشنلنا فيما لن يستقيم العيش - ولا الممات جدا ولا هزرا - مواطن عربى مالم يتاح جدلا مع أسئلة الجوهر والماهية والله والإنسان والطبيعة ... والصيروحة والزوال، وأسمى زهور المادة، ألا وهي الروح المفكرة كما قيل. وسيخل المواطن عندنا بما في ذلك الصحفيون أو وعلى وجه الخصوص الصحفيين، مخبلا بالعقلاريته والهلاوس والوساوس، مدموكا في التواطؤ والابتذال والمراوحة والرخص، وسيظل الطريق بين الشبلي والسهودوري وابن الرومي والتفري وابن

أصل هذا الكتاب: «أصل الدين» لـ فيورباخ، والذي يترجم إلى العربية لأول مرة لأنه جاء في وقته باللاتيني . تقرأه مثني وثلاث وربع، فتشعر أن جوعك الضارى إلى الأسئلة، في عالم حرم علينا لس فحسب أجبوبة من اعتبارهم ملحدين (وغيرهم). ولكن أيضاً استئثرهم، جوعك هذا وجد أخيراً لقيمات يقمن صلبك، بل إنك بعد أن يستقيم «الصلب»، قد تقاوم بالبوج بظنك القديم دون خذر ولا رؤبة، رغم أنك تعلم علم اليقين واليمين، أن «اليومين دول عز اللبس». ستبروح باعتقادك أنه لا يمكن أن يستفني إنسان على ظهر البسيطة العربية. يود أن يحترم نفسه... إنسانيته وخصوصيته، عن التعاطش مع أسئلة عصر التنوير في أوروبا،لن يستفني إنسان عن ذلك ولو

إبن

الحليم عطيه لأداب القاهرة وكانت رسالته للدكتوراه عن فيورباخ، وتحول الناشر اللبناني العنوان إلى «أصل الدين»، ومع الترجمة قدم المترجم دراسة عن منابع الاهتمام بالدين عند فيورباخ والجذور الهيجلية «للدين الإنساني» التي استفاد منها، ومراحل تفكيره من جوهر «المسيحية» إلى «الشيوخونيا حسب المصادر العبرية الكلاسيكية والمسيحية القديمة» (شيوخن=أنساب الآلهة).

وليس بغية طمأنة أحد، نشير إلى أن المؤلف توفي منذ مائة وعشرين عاماً بالتمام والكمال (في ١٢ سبتمبر ١٨٧٢)، وقد قال عنه جون لويس أنه متدين إلى أبعد الحدود، وأن ماديته جاءت مختلفة تماماً عن أي مادية سابقة.. فهو لا يحقر الدين وإنما يرى في الله إسقاطاً لحاله الإنسان البائسة المحرومة» وقد وضعه به ريدران في تيار الفكر الديني في القرن التاسع عشر، كما قال عنه أثر «فشل» كتابة «الشيوخونيا» وت遁ق الاتهامات إليه، أن فيورباخ قادر أن يهب الإيمان لعصر خلا من الإيمان.

أكثر من هذا فإن بردياثيف، الوجودي، الذي لا يستطيع أحد أن يشكك في مسيحيته أكد أن نكرة فيورباخ عن تحويل الشيولوجى إلى أثاثيولوجى ليس المقصود منها إنكار الله بل تأكيد الإنسان و夷ضيف بردياثيف في كتابه «العزلة والمجتمع» وبعد حديث عن وجودية فيورباخ أن «التعرض للإنسان معناه التعرض لله وهذه في نظرى المسالة

عربى والحلاج، وبين ماركس وإنجلز وفيورباخ وسبينوزا وديكارت وهيجل وكانتن وغيرهم، يتمدد أكثر وأكثر بأشلاء «المكسجين» والضحايا. وستظل تتحسر سراً.. «دكاكيتيني» هل يستطيع أحد أن يقول.. أو يسأل، كما قال سبينوزا وسأل من قبل: «إن حرية التفلسف ليست ضد التقى»، و«إلهاء الفلسفة الذين يعتمدون على التور الفطري هو الإيمان الصحيح»، أو «إن بعض المؤمنين هم أكثر الناس قدرة على الكراهية والتتعصب والحقد على البشر...»، و«اعتبار المقدس خارج العالم عجز عن إدراكه داخل العالم» هل يجرؤ أحد حتى على مناقشة مقوله فيورباخ «.. الدين موقف مقترب أي غير طبيعي وال موقف العلمي هو الموقف الطبيعي»!! من يجرؤ على القول أن باسكال وسبينوزا كانوا يخدمان المسيحية، وأن نصر أبو زيد ومحمد خلف العالم، يخدمون الإسلام؟ إن رأى سبينوزا الخاص بأن العجزة لا تدل على وجود الله لأننا لانعلمهها بوضوح وتبيّن داعياً بهذا إلى اعتبار التأصيل والنقد التاريخي للأفكار، ولو كانت مقدسة مهمة عظيمة، جدير بأن يجعلنا نطبع فقط في مجرد «الوضوح والتميز» وسط كل هذا الهيش من التشويش والاستكراه والارتزاق.. وسط الدسائس والخسائس، بين البراميل وتحت «الأخضر».

على كل معنا فسحة من الوقت، خارج الزمن، لنشم» بعض الأسئلة في هذا الكتاب. وقد ترجم «جوهر الدين»، أحمد عبد



وهمية للحقيقة... وهكذا نجد فيورباخ

يجعل من الحب أسمى أشكال الدين الذي يبشر به إن لم يكن أسماءها جميماً.

وقد وصف كثيرون فيورباخ بأنه الصوفى؛ والملحد التقى، والملحد الورع، وكتب الكسندر لوس مترجم التنص
درجات الكمال» وأيضاً «يبقى فيورباخ على الدين الذى يشتاق من العلاقة المستندة إلى القلب بين إنسان وأخر، وهي العلاقة التى ظلت حتى الآن تسعى إلى الكشف عن حقيقتها فى انعكاسات

«الأساسية»

ومن بردية أبيف ينقلنا المترجم إلى شهادة أخرى من أنجلز، وردت فى كتابه «فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية»، حيث يقول... إن غاية فيورباخ هي الوصول بالدين إلى أسمى درجات الكمال» وأيضاً «يبقى فيورباخ على الدين الذى يشتاق من العلاقة المستندة إلى القلب بين إنسان وأخر، وهي العلاقة التى ظلت حتى الآن تسعى إلى الكشف عن حقيقتها فى انعكاسات

أن يكون الدين دينوبا، إنسانيا، يمجد الفرح والحياة الأرضية لا الألم والعذاب ووحيم الحياة الأخرى واستفاد بذلك من فكرة هيجل في «حياة المسيح» القائلة بأن «اتباع المسيح قد حولوا دعوه من الإيمان بالعقل إلى الإيمان باليسوع وهذا يتمثل الشقاء والافتراض». لكن ظلت هناك مسافة بين هيجل وفيورباخ لخصها جارودى فى تأكيده على أن هيجل ظل ينظر إلى صلة الله بالإنسان على أنها المشكلة الأساسية فى الدين بينما حاول فيورباخ «الروح المطلق نفسه إلى الروح البشرية دون اهتمام باستبقاء عنصر اللانهائية».

من هنا فإن هيجل ينتهى إلى العهد القديم فى الفلسفة، وكل ما نجح فيه هو إقامة المحاولة العظيم الأخيرة لإزالة الغموض عن الصراع بين المسيحية والوثنية، دون النجاح فى إنكار المسيحية، ومن هنا أيضا فإن فيورباخ ينسب إلى فلسفة المستقبل، وقد نادى بيان تحكم الإنكار الواقعى للمسيحية ليكون ذلك بداية عصر جديد، وفلسفة لاقت لل المسيحية بصلة، بل تعد دينا فى ذاتها».

وفى مرحلته الأولى ، حيث جوهر المسيحية، تصور فيورباخ الله على أنه نتيجة لتجريد الإنسان من سمات الطبيعة البشرية خاصة، ومن ميزات الجنس البشري ككل، وذلك بجعلها كبنونة حقيقة. واعتتقد فيورباخ أن الإنسان قد خلق الله على صورته الجوهيرية وأن الإثنين يبدوان متباعدتين عن التماثل بسبب التناقض بين طبيعة

والفلسفة التأملية معا، وبعد أن كرس نفسه كلية إلى العلم الواحد الصحيح، وهو علم الطبيعة «ووصف ترحيب فيرو في عيشه الفقيرة الزاهدة، بالزواج، بالإشارة إلى ما قاله فيورباخ نفسه: «يمكننى الآن أن أوفر عبقرىتي وأن أكرس نفسي بحرية واستقلال، دون أي اعتبار، لتطوير كياني الخاص».

هو إذن إنسان بسيط، كتاباته هي سيرته الحقيقية، زوج متدين ، يقبل الدين ويرفض اللاهوت.. هدفه من الكتابة وبينص عبارته «أن أجعل الناس انثربولوجيين بدلاً من أن يكونوا لاهوتين، أن يحبوا الإنسان بدلاً من أن يحبوا الله (الله في مفهوم اللاهوت الذي رفضه فيورباخ (الحرر)). فهو هدف إيجابى، فائنا أنكر لكن أثبت أنكر أوهام اللاهوت والدين حتى يمكننى أن أؤكد الكيان الجوهرى للإنسان فهل يمكن أن نستفيد من هذا الإنسان بغض النظر عن إيمانه أو إلحاده حتى لا يظل خوفنا من البحث العلمى فى الدين سيفا على أعناق انطلاقنا الإيمانى والحضارى؟ وحتى لا يظل ، البحث الدينى مجرد بحث فى صورة عقائد درجماطيقية أو تفسيرات لغوية ، يحتكرها البعض، بغية أن تظل فى عيشنا اللفظى الذى يتطابق فيه الحديث عن الدين مع الدين؟ يارب!

تعجيد الفرج

يقول المترجم فى دراسته التقديمية أن فيورباخ استفاد من دعوة هيجل إلى

بضرورة إيجاد افتراض أكثر ملاءمة لتفسير الأوجه المتعددة للتطور الديني، بمقتضى ذلك قدر إن نشأة الآلهة لاتكون في الاعتماد السلبي على الطبيعة والبشر ولكن تكمن في حافز إيجابي يقوم على افتراض أن الرغبات والأمانى البشرية تتفق وطبيعة العالم.

شذرات «جوهر الدين»

ينقسم النص الفيورباخ^{٥٥} إلى شذرة، تذكرنا علي التو بشذرات التفرى في المواقف والمخاطبات. بل إن دراسة بيئه الرمز ودواجهه عند التفرى، وكذا دراسة التقدم العلمي- والإخفاقات العلمية أو الفلسفى في مصره وأيضا خطاب الطبيعة- المضرر لديه وهو الذى هام طوال عمره في الصحارى. هذه الدراسة كفيلة بأن تظهر لنا علاقات عضوية أقوى بين النصين، ويكتفى أن نطالع لدى التفرى في المخاطبات «إذا كنت منعوتاً لسوى الله خاب عنك الله» و«اصحبنى إلى.. تصل لي» و«إن لم ترني من وراء الضدين رؤية واحدة لم تعرفنى» أقول يكفى أن نطالع ذلك لنطلب لكتابنا سعة صدر كالتي خطى بها كتاب التفرى «المواقف والمخاطبات» في ترجمة وتقديم د. عبد القادر محمود(١)

هيئة الكتاب-٨٥- تحقيق أرثرا بربرى). تدور الشذرات كلها، ومن زوايا مختلفة، حول فكرة فيورباخ الرئيسية التي تعتبر أن «الله صورة الإنسان» وأن «اعتماد الإنسان على الطبيعة المصدر الوحيد والأخير للدين».

الإنسان الفعلية وطبيعته الجوهرية. وبعد الكتاب التالي لفيورباخ، وهو «جوهر الإيمان لدى مارتنت لوثر»، امتداداً من وجهة نظر المترجم، له «جوهر المسيحية» من حيث تناولهما للفكرة الرئيسية التي ترى أن الآلهة في النهاية تمثل مشاعر وأفكار الإنسان الداخلية. بيد أن فيورباخ أضاف إليها البعد السيكولوجي والذي سند استمراره لدى فرويد، حيث استخدم التحليل النفسي لتاكيد وتعزيز أفكار فيورباخ وانتشار بولوجيته الدينية.

ويتمثل «جوهر الدين» (كتابات) المرحلة الثالثة من تفكير فيورباخ الدينى، حيث ركز وكشف وعمق مفهومه عن الدين، وتوسع فيه بعد ذلك في كتابه «محاضرات في جوهر الدين» ليشمل الديانات غير المسيحية، وإن كانت هذه الديانات تعد منه ملاحق للمسيحية وقد تطور تفكير فيورباخ فيبعد أن كان الدين مستمدًا من شعور الإنسان بالتبعية، في المرحلة الأولى والثانية، أصبح مستمدًا من الاعتماد على الطبيعة في المرحلة الثالثة حيث يقول «الله هو الطبيعة المجردة والطبيعة بالمعنى الحقيقي لالمجازى هي الطبيعة الحسوسية الواقعية التي تظهرها لنا الحواس».

وفي المرحلة الرابعة- «الثيوجونيا» يظهر الارتباط بين الدين والأخلاق جلياً في تفكير فيورباخ، ساعده على ذلك تطور الفنون المتحضرة وانكماش ضغوط قوى الطبيعة على الإنسان، وقد هيأ ذلك للخاطر الذي ألح على فيورباخ

أصبح يتحقق المعجزات ينتظرك المعجزات
 في حالة الاعتقاد في الطبيعة(الكائن
 الموضوعي) ككائن إنساني - ذاتي -، وذلك
 في مرحلة دين الطبيعة والتعدد،
 ويصنع المعجزات حين الاعتقاد في
 الجوهر الإنساني كجوهر للطبيعة . إنها
 مرحلة الدين الروحاني الإنساني ، دين
 التوحيد .
 ويقدم المؤلف أدلة كثيرة على فكرته
 استقامتاً من تطور الكائنات والطبيعة و
 الحياة البشرية، ومن دراسة أسباب
 انقراض الحيوانات، واختفاء ديانات
 مثل عبادة الملائكة في بعض مناطق
 المكسيك، ليحصل في كل مرة إلى فكرته
 في تقطير معذب فهو يقول مثلاً:
 «... هذه الآلهة تدين بوجودها أيضاً
 إلى قوى الخوف والرجاء التي تحكم في
 الحياة والموت والتي تخسّن الهوة المظلمة
 بكائنات من صنع الخيال (شذرة ٥١).»
 «... وكما أن المستقبل ليس سوى
 استمرار لهذه الحياة دون أن يوقفها
 توقف بالموت فإن الكائن الإلهي ليس
 سوى استمرار للكائن الإنساني دون أن
 يتوقف بوسائل الطبيعة عامة . وهو
 الآلهة الطبيعية الإنسانية دون توقف
 دون حدود» (٥٠).
 وسيهاجم فيورباخ العقلانيين الذين
 يرفضون تجسيد الله والوحدة بين
 الطبيعة الإنسانية والطبيعة الإلهية،
 على اعتبار أن فكرة الله في مقولهم
 تختفي فكرة الطبيعة . ويرى أن جوهر
 العقل وجوهر التفكير ليس فقط
 المنطق، وإنما الطبيعي لأنه هو الكائن
 الأول (٤٥) . وقد كتب فيورباخ هامشاً
 ومثلماً في الشذرتين الأولى
 والأخيرة، يربط «فيو» بين تطور مفهوم
 الدين وبين تطور الحياة، فيرى في
 البداية أنه كلما زادت قيمة الحياة كلها
 زادت قيمة وقدر «هؤلاء الذين يعطون
 الحياة، أي الآلهة . وفي الشذرة الأخيرة
 (٥٥) يتساءل: هل لرغبات البشر علاقة
 بالآلهتهم؟ ويرى في كون أن الإغريق لم
 يكن لديهم سوى آلهة محدودة، إن هذا
 يدلنا على أن رغباتهم أيضاً كانت
 محدودة، بمعنى أنهم كانوا خاضعين في
 أمانيهم لحدود الطبيعة الإنسانية إذ لم
 يكونوا بعد خالقين من عدم . ولم يكن
 الإنسان لديهم يرغب في أن يحيا حياة
 أبدية، إنما يرغب في حياة طويلة قوامها
 الصحة العقلية والجسدية والموت بلا ألم .
 ويشير فيورباخ إلى أن الله المطلق عند
 المسيحيين، فيما بعد، كان مرتبطاً
 بالبحث عن متعة أبدية خارقة، لانتهتى .
 ولذلك فهو يستعيد في الشذرة الأخيرة
 « مثل قلبك يكون إلهك » ليشعرنا
 وكانتا من زاوية أخرى أيام النفرى « كلما
 اتسعت الرؤية ضاقت العبارة ». .
 ويتساءل فيو في شذرة (٤٤) عن مدى
 أمانة الإنسان الذي يؤمن وليس لديه من
 دلائل على هذا سوى الدلائل التي
 يوفرها له العلم الطبيعي والفلسفة
 والملاحظة الطبيعية؟ ويترك لنا أن
 نجيب بعد أن يرشدنا إلى تصوره
 القائل « بأمانة أن السبب الطبيعي
 يكون دائماً الجوهر الطبيعي وليس ما
 يمثل فكرة الله ». .
 فالإنسان في البداية لدى المؤلف
 (٥٢) ينتظر المعجزات وفي النهاية
 (شذرة ٥٣) ينتظرك المعجزات

كل شيء: «الخلق نظرية والمعجزة هي التطبيق العملي لهذه النظرية. الله هو الكائن الأول في النظرية لكن الإنسان هو الكائن الأول في الممارسة، هو الهدف في هذا العالم».

و«سيأتي الوقت الذي يضيء فيه نور الطبيعة النقى، والعقل، للإنسانية، ويبعث فيها الدفء بدلاً من نور الكنيسة»^(٥٣).

والطريف بعد كل ذلك أننا عرفنا في العالم العربي ما واجه من انتقادات إلى فيورباخ «وماديته الميكانيكية» قبل أن نتعرف عليه هو نفسه. ومن الواضح أنه يمكن إضافة انتقادات أخرى من زاوية ما يوجه إلى عصر فيورباخ برمته - ومعه الثورة الصناعية - بعد بروز ملامح جديدة لفلسفة الحرية وقوة تأثير نظريات الكواونتم وعدم اليقين، وتراجع الأسس المعرفية للحداثيات مع انفجار الثورة العلمية وثورة المعلومات لا بد إذن من ترجمة أعمال «المحمد فيورباخ». إن عملاً كهذا لا يحتاج إلى تقديم حيثيات للقيام به، إذ أن الخطير القائم على العقل العربي، في تصورى، هو خطر ليهams بإمكان القفز فوق أسئلة التنوير كلها - بما أتنا فشلنا في التصدى لها - وإمكان الاكتفاء بالإحياءات العقلية المحدودة التي تستجيب فقط لضرورات السوق، ولا تتعرض موضوعياً مع قوى «التقفييل والتضليل»، وتجدد قدرة الأنظمة السياسية والثقافية على ردم علامات الاستفهام الحقيقة التي يجيئ بها صدر الإنسان العربي (هل مصدر فقط؟).

لهذه الشذرة يقول أنه من زاوية النظر هذه لا يعد خالق الطبيعة شيئاً سوى جوهر الطبيعة وهو مجرد عن الطبيعة ويميز بواسطتين التجربة وبرى فيورباخ أن مصدر وحدة الإله هو وحدة الفكر والوعي البشري.

ـ «الكائن المقدس الملوحي به في الطبيعة ليس إلا الطبيعة نفسها وقد تجلت بقوة لا يمكننى مقاومتها ككائن مقدس»^(٧).

ـ روعة الخالق ليس لها من أصل إلا في روعة إنتاجه^(١١).

ـ الكائن الذي ليس لديه الشرف في أن يفترض شيئاً مسبقاً له الشرف أيضاً في لا يكون شيئاً»^(١٤).

ـ الله هو بمن الخيال العميق الذي يحسى كل الواقع والكمالات والقوى»^(٢٠).

ـ أصل الحياة غير قابل للتفسير ولا للإدراك.. ليكن الأمر كذلك، ولكن عدم الفهم هذا لا يجعلنا نجد مبرراً في أن تستمد منه النتائج الخرافية التي يستمدها اللاهوت من قصور المعرفة الإنسانية^(٢٢).

ـ الطبيعة في الشرق موضوع عبادة وفي الغرب مصدر متعة»^(٢٢٩).

ـ وتنstemr تساؤلات العقل المضنى القلق - انتابت صاحبه قبل الموت نوبات مروعة من السكتة الدماغية - حول الحكمة الإلهية في الطبيعة والمعجزة، وسر الغائية، والإرادة والفكر، قوة الله وما هو المستحيل على التخييل؟.. ولعل العبارتين التاليتين تلخصان

نـصـوـص

نـصـوـص

نـصـوـص

رضا البهات - احمد النشار - رابع بدير - محمد عبد السلام العمري - ابراهيم
خليل - عبد الرحيم عمر - محمد الطوبس - فاطمة قنديل - نعيمة السماك -
احمد عقل - كافيلا عبد الفتاح.

باردون

رضا البهات

حتى موظف كبير، أو ضابط له شأن يفضل التريض هكذا سيرًا آخر النهر. هذا ما يقطع به رأيه في هيئته المكتملة الوقورة. وهو يخطو مستقيم العود بخطوات وثيدة ثابتة، واضعنا إحدى يديه في جيبه بصورة دائمة يرتدي قميصاً وكرافت أنيقة - دون جاكيت - وحذاء كلمرأة، أما صلعته الفريضة فقد أطالت شعر لبنته ومؤخرة رأسه ولتف نوقةها بعناية.

إنه زحام الشارع التجاري، حيث يحمل المارة العجلون أشياءهم المشتراة. فيخبطون دوننا اعتذار أو يفادون دون نظرنا. أما الرجل الوقور فما زال يتطلع خلفه نحو الفتى الذي مضى، ربما ليرى أثر اعتذاره على بيضاءه من رأسه، وقد بدأ أنه

يبدو أباً أو جداً، إنما كيف أب بذلك المعنوية الزائدة . أو .. إنه حتى جم الأدب، إذ سارع بالاتفاقات نحو منتدى صغير معندرًا له بيضاءه من رأسه، وقد بدأ أنه



انه لم يعر الأمر اهتماماً . بعد قليل تكرر الأمر ، وسارع الكهل الوقور إلى التفت هذه المرة فكان الصبي العابث الذى أطلق سحابة هازئة باتجاهه صائحاً الخفيفة لصبي صحبة آخر يشبهه ..

- باردون يا بنى ..

يا بنى .. ! يكون أباً مسروf الاناقة إلى هذا الحد ! .. لقد توقف واللتقت ليبرى أيضاً إن كان الصبي قد قبل اعتذاره ، لكن الصبي أمسك يداً أخيه ومضياً ، ومضى الزحام فى تدفقه الى الجهتين . حتى كان غلام بدین قليلاً يربز له من بين ما يزال يقصده بالكلام ويقهره .

الغطاس

أحمد النشار

بعد ذلك وسط مجموعة من المستحبين، أخذ رجلاً موسكاً على الفرق، ثم عايره، وجلس في مكانه السابق.

قالت عفاف:

- رأيته بالأمس وهو يفعل نفس الشيء.
- وأشار إليه الأب وقال في صلف.
- هذا انفع للبشرية أكثر منه.
- ابتسם الغطاس وقال:
- إنهم لا يسمعون النصائح هؤلاء المستحبون!!
- كان يرتدي فانيلة تي شيرت وما يواجه شورت ملتصقاً بجسمه، في مرات سابقة جلس تحت الشمسية ولاعب الأب عشره أو عشرتين طاولة وكان ينتصر

عاونتنى فى طرح المسألة أمام أبيها إلا أنه قال بعنف

- ولكنك فنان ولا أحب أن أزوج ابنتى من رجل مثلك..

وراح بعد ذلك يرتعش غاضباً أثناء ما كانت طائرة تطير تحت سعاء البحر، وجاء الغطاس ثم جلس بالقرب من شمسيتنا، وراح يشير للمستحبين الذين توغلوا في البحر:

قلت يائساً :

- إنتا خطيبان منذ مدة طويلة..
- ورحت أشاهد الطائرة أثناء ما كان الغطاس يرسم بقطعة رقيقة من الخشب، أشكالاً هندسية فوق الرمل، ترك الغطاس عصاته فجأة، ثم اندفع

دائماً.

قال الأب منذ أيام:

- إنه قريبنا من بعيد.

وبان لحظتها أن له مكانة في قلب
الأب مالبثت أن كبرت مع الأيام حتى
سمع له أن يعلم ابنته السباحة يوماً
عند الغروب.

- كانت تعارضني في كل شيء..

قال الغطاس بصوت مرتفع:

- لا تتحدى عنها هكذا..

سبكتن مفاف وقال هو:

الفاتحة..

أنفاق الأب من شرود مؤقت، ثم رفع
يديه للسماء وقرأها في صوت هامس
بينما راح الغطاس يقرأها في شبه
صباح، عندما انتهى الأب من القراءة بدا
وكانه قد تذكر شيئاً مهماً، قام فـى
تناثل ثم سار على الرمل المبلل، بدا أنه
يستمتع بتألس الماء لقدميه العاريتين
وابتعد.. زحف الغطاس بعد أن القى
العصافى إهمال.

أصبحت تحت الشمسية أخيراً، راح
يلاحظ المستحبمين بعين وينظر بالعين
الآخر إلى عفاف....

عندما جاء الغروب كان الأب قد
رحل، انتحبثت جانباً وجلست تحت
الراية السوداء، كانت الرياح تهزها
بشدة، بينما راح الغطاس يعلمهما
السباحة.. كان يمد ذراعيه وتنام
فوقهما، وعندما كانت تحرك ذراعيها
كان يتربّكها فجأة فتهبط وتختفي تحت
الماء، في تلك اللحظة كان يغطس هو
الآخر ويظلان تحت الماء لبعض الوقت ثم
يظهران بعد ذلك وقد تلاصقاً، كان
تصبح.

- شربت ماء كثيراً..

قالت عفاف:

- ينقدّم دائمًا ولكنه يفشل في
تعليمي السباحة.

صاح الغطاس:

- أنت التي لا تعتثرين لأمرى..

قالت فيما يشبه التدلل:

- أوامرك غير قابلة للتنفيذ..

نظر الأب في مودة وقال:

- خذها باللين..

قلت غاضباً.

- أى لين!!

رد الأب في استياء:

- لا تتدخل في هذه المسألة..

قلت:

- ولكنها خطيبتي!!

قال ساخراً:

- علمها أنت إذن!!

ولم أكن أعرف الفنون فردتني
سخريته إلى تلك الحقيقة المؤلمة، حقيقة
أنتي منذ الصغر وأنا أخاف البحر، لقد
تناول غطاسون مختلفون في شواطئه
شتى إنقاذى من غرق مؤشك، وكنت فى
كل مرة أحس بالرهبة والاحترام
تجاههم، حتى جاء ذلك الغطاس الشاب

عقل الموازين جميعاً، همس لها:

- هذا الغطاس بالذات أكره بشدة..

نظرت إليه وقالت:

- أنت تحمل المسائل أكثر مما

شجرة الكافور

رأبج بدير

رأبته وهو يخلع طاقم الأسنان، وكنت أراها تأتى إليه بالطعام كل مساء، وتخرج من مبني البوليس دون أن تنظر لأحد.. منكسة الرأس.. حاملة السلة فارغة انتبهت على طرقات فوق الباب، ورأيت الوجوه ملتصقة بالزجاج، وأصابع

تنقر محدثة جلبة.. كاد الباب أن ينخلع من قوة الدفع، فسحبت البندقية من جابر الذي

انتقض وجذبها من يدي.. تهشم الزجاج، واستطالت الأيدي.. تراجعت إلى الخلف مرتكنا إلى الجدار، وجابر يحاول أن يفلت من قبضتهم.

كان «الصول» محمد يعدو في الشارع، مقترباً من مبني

لم يبق معه سوى جابر الذي فرك يديه مسجلبا الدفء.. واضعاً بندقيته فوق ركبتيه.. كانت ليلة باردة، ولذلك اغلقت باب المقهى.. منتظراً حلول الفجر حتى أخضى مع جابر إلى المخبز قبل أن يشتد الزحام.

لم أتبين ملامح الوجه التي تضببت على زجاج المقهى.. بينما جابر يدخن الترجيلة منحنياً حتى كاد (البيريه) أن يسقط من فوق رأسه الصلعاء..

كان جابر مهموماً بشكل لم ألق له دفـىء عينيه التماع غريب.. لم أجـد له معنى، بعدـما أخبرـنى منذ شهـور بـزواجه للمرـة الثـانية من فـتـاة زـيفـية صـفـيرة السنـ صـرـختـ فى وجهـهـ عـندـماـ



يضعون المتأريض في مفترق الطرق
وهم يصوبون بنادقهم إلى أعلى.

اقترب جنديان يحملان نقالة
خشبية، ويجريان ناحية جابر الذي
سقط على الأرض.

صرخ المؤمر:
- امسحوا الدم كوييس..
حمل الجنديان جابر فوق النقالة..
 بينما لم يتزاج المتهشم ووضعته
 أسفل شجرة الكافور..

البنوليس.. المنطفئ الأنوار والجنود في
حالة هياج، وهم يندفعون من عربات
الأمن المركزي.

صرخ الصول محمد:
- ياباشا.. العسكري طار...
أطل المؤمر من النافذة
المضاء.. وقال أمراً:
- امسكوه..
كان جابر يرفرف في فضاء الشارع..
وأصوات الجنود تصنع صدى.. وهم

عَفْنٌ

محمد عبد السلام العمرى

فأدرك أن لامكان له.(يسسيطر عليه التكدر، ويدب في أوصاله عندما يرى نجاح الآخرين، لا يحب رؤية الهمامات المرتفعة، وهم يعرفون أن هذا من حلاوة روحه، وهو في سريرته يعترف بهزائمه الواحدة تلو الأخرى ولابيين.

ولم يكن لهذا الواثق من حقده من مطمع سوى أن يتمنى له التوفيق حتى النفس الأخير، فاكتثر في أواخر أيامه من العيش في فلتة على رأس حدائق بررتقال المزدهر والمورق داشما، صيفاً، وشتاءً، والذي لا يذبل ولا يزوره إلا في وجود صاحبه، اثناءها تبكي الأشجار وتتوهج عندما يزداد اصراره على البقاء

تشققت جدران الفيلا عندما هبت رياح محنة من الجهات الرملية الأربع، أسرع منبطحاً ومنتفضاً على القش المنبعث منه رائحة روث بقراته ودجاجه، تحاصره الرياح منذ لوى عنق حلبة باصراره هو الصادر في غيابه على مواصلة مابداه ظاناً أن هذا على المدى الطويل لصالحه، وحتى يرهبوه هم الذين لديهم ما يخافون عليه حاولوا قدر طاقتهم تجنب مجالسه.

وقد عرف عنه هذا بعد المحاولات العديدة لاثنائه اذ تصعد له البعض بآجهاضهم لطرقه المختلفة، وأن محاوارات الأفلات تلاشت فقد مخزون طاقتة

بینها ، هي التي نعت نفسها فور ذلك
وأنها ستدفن في مكانها بوجوهه أو
تنقل حطبا عجفاء إلى مواد النار.

من بعيد يرى بستانه مزدهرا
فيترفق به، يحاول قدر طاقتة أن
يتخلص من الكمون الدائم لحقده
والمتربص لكل الناس، والذى أصابه في
زرعه وأهله، يقدر مخزون رصيده منه
فيطمئن اذ لو وزعه على مدينة يفيس،
وهو دام الاطمئنان عليه بمحبته
لبستانه واختبار تأثيره، فيجده قادرًا
على الاتيان بأشياء عجيبة محتفظا
بهيبة، عندما تاكد من ذلك استغله في
تطوير موهابته.

يستطيعون أكلاته الشهية،
ويتناولونها، المتعددة والالفة التي
لاينصب معينها، ويتلذذون بكل وسوس
خمرت البيلوريه المنعشة تائهة مع
الغناء التركي القديم، ويشاهدون لوحة
الوانه المائية، ولا يبرحون الا بعد ان
يصبحوا مشجعين، يحكي كل واحد
حكایة مختلفة عن حکایة الآخر، لأن
الأماكن المظلمة التي يرتادونها اثناء
تواجدهم لديه غنيه ومثيره، وشهيه،
تعطى لكل واحد منهم حسب امكاناته
وثقافته وتجاربه.

والحق أنها حكايات تستحق الوقوف
 أمامها كل واحدة على حده، بتفصيل أدق
 ومعلومات أكيدة، وشاهد ثابتة، بروح
 اثناء ذلك يتجرع خمرته بنفس مطمئنة
 يستعد لاستقبال الجد القادم، ورصيده
 الذي جاهد طويلا من أجله لاينفذ ، لأن
 لم يجف مطلاقا حتى في التنقل
 بالطايرة من بلد الى بلد، وساعدته ذلك
 كثيرا، وسهل له أمورا عده بدأ في
 مخياله هي السكينة والوصول الى
 الشواطئ الآمنة.

حاول كثيرا اكتشاف قدراته الكامنة
 التي خذلتة جميعا، وبدا عذيم الجيلة بلا

ولم يتبهه أحد، ولم يستطع أن
 يدرك ويقر بأن تقويم مسيرة حياته
 مسألة قد أمست مستحيلا، ورغم أنه
 قرر أن ينفذ ما يريد إلا أن العاقل
 نصحه بأن لاخلام له الا بالنسیان، وأن
 البديل نقد المذكرة أو الجنون تلك الحاله
 التي تبدو شواهدها الان (تشتكي
 لأقرب أصدقائه وتحديثه عن حالة أرقة
 الليل وارقها معه فيطمئنها ويهديها
 وتطاويعه فيما يطلب منها بعد أن يتلقا
 على أن ساعمة خدره الوحيدة، هي
 الساعة المناسبة للليل وال ساعات الأخرى
 كثيرة.

لقد أدرك الجيران والاصدقاء ذلك،
 وعلى مسافات بعيدة، كل في بيته
 فتجنبوه ناظرين إلى المستقبل، هم
 الذين يسمعون غناه الذي لا يمل

حول ولاظول ، متزوع الريش والأسلحة ،
وجد النجاة فيها لتحقق له المستحيل
والتي تتلاشى فور انتهاء القلم من
كتابته فلجا إلى ما بعده .

وفي انتفاضة أخيره ينبعش الذاكرة
ويستعين برصيده المسروق بالضئـى
وسهر الليالي، فلا تأخذ بيده ولا تستعـفـه
، كما لا يسعـفـه شـئـ آخر كالتبـلـدـ وجـلـدـهـ
السميك الذين يساعدـاه على تجاوزـ
رياحـ مـحنـاتـهـ، يـسـهرـ ليـالـيـهـ فـيـ بـلـكـونـتـهـ
القبـلـيةـ فـيـ الشـتـاءـ للـتأـمـلـ، وـاـعـادـهـ عـدـ
الـنـجـومـ، تـنـظـرـ إـلـيـهـ بـعـينـ الشـفـقـةـ وـتـرـمـىـ
لـهـ الرـثـاءـ، لـأـنـهـ تـعـرـفـ أـنـ لـيـسـ لـدـيـهـ
الـقـدـرـهـ عـلـىـ اـسـتـهـاـضـ نـخـوـتـهـ التـىـ لـمـ
تـوـجـدـ يـوـمـاـ، فـصـارـ لـايـعـرـفـ اـقـدـارـ النـاسـ
وـالـرـجـالـ وـأـضـحـىـ كـلـ شـئـ لـدـيـهـ مـيـاـحـ.

والرجال وأضحي كل شيء لديه مبارز.
وهو بعثة المرتخيتين الكليلتين
راضياً ومبتسماً عيونه جامدة وما كره
كعيون التيوس خبيثة، يؤمن بأن تردد
الاقوال تقيه أحاسيسه وجروحه،
وعندما يلمع له أحد تسبع قيمة كتابة
في سعاء نفسه، وتلمع عيناه بتار
خفينة كامته ومسافرها، ويظهر علىها
بريق الجنون المخزون، والذى على وشك
أن ينطلق من سجنه بلا رحمة، فتراء
ذانع النظارات بسبب ارتكاريها الاعطمه
المختلفة التي تسبب تهيجاً نفسياً
واحتقاناً في الدم.

ولما يلمع اليه أحد بما ألل اليه في
لحظة ضعفه يقفو في حقل بررتقاله مع
حيواناته غفوة هانئة، وينقطع أنيبه

ويتقلب، ثم يتنفس تحت قناع عزة
النفس بيسر واتزان ، فيتركوه وحيداً،
فتوليه عنكبوتية الكامنة فيطير فزعاً
إلى مراكز دوابره ملياناً بزاد جشعه
وغضبه وكذبه الذي فيه يصدق نفسه،
والتي هيأتها له نفسه في خلوت
فينساق لها بالآلام التي لا تفارقه.

ذكرت الخنون المواجهة القادمة عاجلاً أم
أجلما ، والتى يمكنها أن تعرض استقرار
حياته للخطر، فكان يبعث فيها عاطفة



الخنازير ونثانية طعامها فيعاونه
وبيبتعدون عنه.

وكانت قد قالت لى من خلف ظهره
فى إحدى الامسيات لماذا لا تصبى على
عندما تراني؟ هل تركت نسيتنى؟ أم

هو الثاني والتنتكير قبل كل لقاء؟
وكلت فى الأيام الأخيرة قد أصبحت
حذراً أخاف عليها، وأرشى له داعياً بازالة
غمته ويفقىء بطريقة عاقله شر ريد
أفعاله.

انتظر الجميع زماناً كله الوهم، إذ أن
فيه شيئاً ما مامكسوراً، يقاومه، ولا يعلمه
أحد، يتضمن معه ومع تطلعاته الوردية
منذ كان صغيراً يجري عرياناً فى الكفر
خلف المطارات الورقية، وفى حقول
القمح، وما خيب ظن الجميع فيه فكل
يوم لديه فى مصانبة متعددة جديد،
وفصول كثيرة. ◆

من الجنون تحسها كلها بلا استثناء
كاذبة فتصدق مع عواطف أصدقائه
حتى تشد من أزره وتقابله ببرود وبلا
مبala.

لقد كان يعدها بكل شئ أثناه هذينه
المصطنع المحموم، هي التي تعرف
قدراته، وكلما ازداد شوقه للتحقيق
انتصاراته يزداد خوفه من فقدانها، ولما
سمعها تبكي فى الظلام يوهن شديد
كى لايسمعها، يبهره ذلك لأنها لا تبكي
بسهولة، وأنها مغلولة ومقهورة خوفاً
من الشعور بالذنب (يتذكرها ويدهش إلى
أحدى اجتماعاته التي يحدد مواعيدها
فيدخل ببدنته الوردية ساحباً خلفه
أحبابه، مریدوه ومشيعوه، هم الذين
كشفوا أسراره في مجالسهم الخاصة،
و Gundma يدخل تهب على الجالسين رائحة

انتظار

أمانى خليل

الباب. عيناه تقدحان بشد رهيب.
يتقدم نحوى. كلما اقترب تعاظم جسمه
وتضاءلت . صرت نتفة ثلج . يصهرنى
لهيب عينيه. أذوب، أتلاشى. عينى
المتوسلتان تزيدانه شراسة. تختفى
صرحتى المكبوته والكف العمياء.
ينعدم الهواء وتححظ عيناي. أتارجع
على كتف فى سواد الليل. فى قاع
البئر أسبج مع يوسف فى إنتظار
قائلة تر.

أشار الى البئر وقال:- أتنى بشربة
ماء. إنحنىت على البئر. صورتني فى
الماء. يوسف هناك فى القاع، زراعان
تطوقانى من خلف. الذئب يعوى. يجري
خلف الأشجار البعيدة. قميص ملطخ
بالدم. أمى تخفي بكاءها المكتوم. تلملم
القميص. تدس فى التراب. أتوارى عن
العيون، فى دكنى المظلم تكورت
كجنين. جاءنى صوت ابى يسأل.
السؤال برعد فتهتز السماء. صرخ
الباب من ركلاته، تضاعف حجمه وسد

إذ أملك «تعدين» دمائي
قتل كرات الدم البيضاء

حتى تتسق مع التلفاز،
مع الإعلان.

وكالات الانباء
أن أهاب

شجب
صادر

فأنا أمتك معاينير

ادرک فیمه من الإعراب ، هـأة أطراف المـ

المنصوب..أو المرفوع

أو الساكن

أمتلك صرacha مسعا

شخیر المؤتمرات

وصراخی نفی ملتف فر

المتحدة

• • • • •

فَإِنَّا أَمْتَلُكُ ثُقَافَاتٍ

جدران المونولوج

بوسعي آن یار

البيت بوسعي ان يرجم صوبي من الحال

البيت.. فى شريان الـ

وقناة «البيت» الأمنية

و بواسعى أن أركض ليلا فـ

مظالم ...

يتهمس في حق الإنسان على مائدـة

من عظمى..
 وأواصل شجبي دون كمل
 لكن أخشي الصوت المذبوح
 وأفزع من حق السادة...
 أرتعد اذا اهتز الغليون..
 إنشرط إذا احتد التحديق إلى أن
 يقضم أحشائى
 أحترق إذا انقطع التيار.. واشغل
 بعضهم
 الكبريت..
 وأفزع من بطن الظلمة
 أن تتعملق فوق الجدران عناكب
 أقدام السادة
 وملامع أورام السادة

أن يسقط ظلى مختزلًا فوق دفاتر
كشف الحالة
أن أسحب للركن المعروف...
القلم أسرار الإلектив.
وفن محاوره الأطلس
أخشى أن أصبح منفينا
عن أوردة الحرف الصائنة...*

هایش:

الصوت الصائب في تعريف اللغة: هو الصوت المجهور الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، والألف أحياناً دون وجود ماءٍ. يعترض مجرى الهواء اعتراضًا تاماً أو يُبيّن مجرى الهواء فيحدث احتكاك مسموع.

من مفكرة هرولد العربي

«في هذه القصيدة بعض صدى من بایرون واسفار تشايلد هرولد

مهداة إلى «أدب ونقد» من الشاعر الفلسطيني الكبير

عبد الرحيم عمر

ستحمل وزر الرؤوس التي اثخت

وجه

بالجراح

وأنت الذي عشت عمر عجوز على

موعد لم

يحن للصباح

فتبقى غريب الديار، غريب المكان

وتبقى الطريد المذاق

وكل قوانين هذا الزمان قيود

وأنت الولي وأنت الطريد

ففكر وألق السلاح

فذاك، الخيار الوحيد المباح

وإلا فليس على سعة الخارطة

مكان لمللوك يقضى كما يشتهى في

أمان

(١) الصخرة:

ضيق مصدر هذا الزمان

غادر غادر

ضيق عيشه.. ضيق فكره

نادر نادر فيه وجه الحنان

سنوات طوالاً وقفنا على بابه أملين

و قضينا على بابه نادمين

وكم أطرافه الباردة

على جنة الوطن الخامدة

وألغى يتمتم في نومه

وحين تفاجئه صائلات الرياح

وتتركه مشرعاً للهوان

هرولد! أيا عربى الزمان.

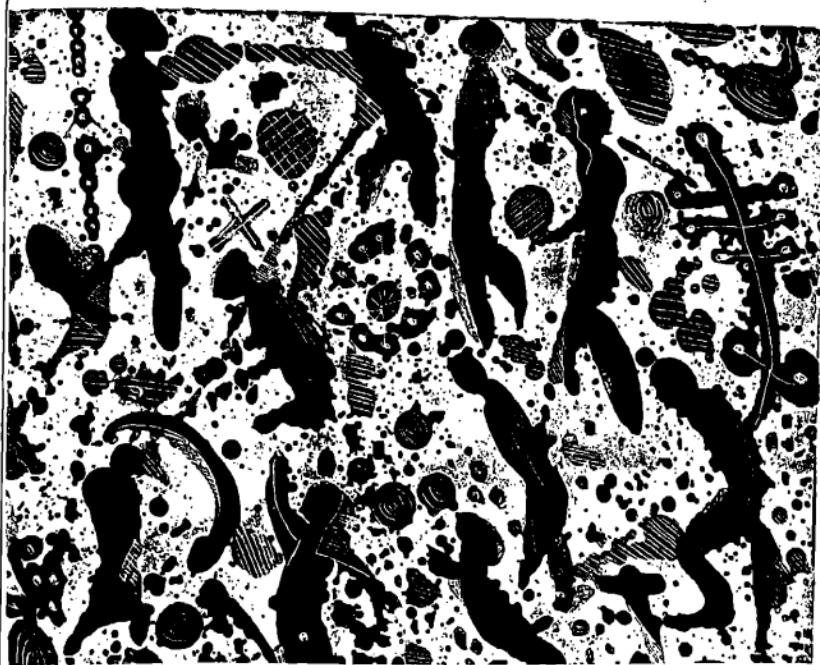
中 中 中 中 中

وَهُنَّ أَفَاقٌ

کانکن

(٢) في البصرة

مهمب وجهك العربي يابصره
وهذا العبق المشحون بالإيمان
والإبداع
يحمل روعة الصداق التي ألت على
الخابر و
والقارون
ظل عباءة عربية الأفهام والثرة



الستين

كل الرياح تهب مثقلة بأجنحة الحمام
الزاجلة

ورسائل العشاق تأتي من عواصمنا

الجديدة

حافلة

ويظل شيخ الأرض يندب حظه الكاببي
وأنت تكابدين

ويظل ليك معلب «الروليت» والقمر
الطبعين

والعاشقون الضائعون

يمضون في ليل الوداع
 بلا وداع

عيينا حبيبي درتان.. ونار حبي قاتلة
هل كلما أسلمت للريح الشراع

تبسم في الضياف الخضر ثاكرة

وتتناثر في حقول الدم رايات من
الظفر.

(٢) الأرزة المحرقة

حران جنتك أين غاض الماء

والناري والسمار والاضواء

تطفو على القمم العريقة وحشة

وتعيشه فيها العتم والأنواء

فكأن نور الحب لم يبسם هنا

يوما، ولا هشت له الأنداء

ويظل حبك لغز لبيان الحزين
كل الفصول تتطل واعدة باشواق

واحتشاد الظلمة السوداء يدعوه الى
العودة مخدولا

ومافي اليد ما يلقي به وجه جليله
يوجه كالامس من جوع وإملاق وما
«للمنصف الهادى» به يثناس حيله
ما الذى يمكن أن يحمله اليوم محب
لحبب

شحث الصحراء والغبراء
والفيحاء والدىنا النخلية
أجدبت دون أمانى القليله،

جائعه بات!
كما باتت جليله
هونا يخرج بالسيف على الناس
ويدعوه لامتياز السيف،
أرتال الملايين الذليلة
هو ذا يستنفر الجوعى
ويستنحى بموسى وبطارق
فتلبية البيارق
، تتعالى كلما انداخت الى الأجواء
اصداء النساء الغليله
قاد هول الجوع أن يصبح كفرا
فأقبل ياقبة الفاتح عذرا
تفمض العين ولا تتفو على ضيم
التواريخ الطويلة.

واعذرى يا جليله
دخل المنصف لكن
لم تزل فوق رباط الفتاح أصداء
النداءات التبليه
واعذرها يا جليله

لم يكن يحلم بالجنة والخمرة والشهد
المصنف والنساء
أو قصور السعداء
إنما كانت له بعض أمانى القراء.

عادت تمنينى أغانى القافلة؟

٤- شهيد الجوع

لم يكن يحلم بالجنة والخمرة والشهد
المصنف والنساء
أو قصور السعداء المترفين
إنما حفلت أحلامه بالستر والعيش
الأمين

من عوادى الدهر، وابتھال ورجاء إن
حم القضاء
إذا ساقوه للساقيه الحمراء، مثل
الآخرين.

وإذا قام لفرض
من صلاة فى صباح أو مساء
 جاء صوت المنصف الهادى مليئا
بالخشوع!

اعطنا الهم ما يسعفنا فى يوم جوع
وأشتنا، وأمتنا مؤمنين!
عندها تبكي جليلة
ثم تعتد إلى الأعلى يداها بالدعاه:
رب واحم للمنصف الهادى وجنينا
فجاءات السنين

ربنا إياك ندعوك
إلى حكمك يارب الرجوع!
ثم تهمى من ماقتها الدموع

ضاقت الدنيا به،
لامال، لاكسب،
 وإن يشك فلا تصنفي القبيلة
ضائع بين فراغ الضوء فى يوم
مسير لم يجد فيه سبيله

نصوص الأكاسيا ..

محمد الطوبى

- ١- نخوة السيف ظلى.
 لقد سبق الحبُّ سيفي
- ٢- قدح الفياب.
 سبق الحب سيفي
 سبق الأقحوان احتفال الخريف
- «إلى Wnarisa Luisa»
 سبق الورد عطر النهود بنوشة
 صيف
- رجل وامرأة
 كتبوا لوعة العندليب وذاكرة النرج
 بيبيل
 واتبهارى
- فأنا حبيب حقل الحنين لقاحُ النهار
 ماتمنيت من أغنيياتى
 سبق الكأس ما اعترف الساق لى
- ذهبوا لضواحي الغواية حتى ارتقى
 أقول صفاتى
 يقول دمى ما تشاء نساء الربيع من
- أرق السيف. أتعصى اشتعمال البهار
 الخمر
 لما تريدين قتلى
- رجل وامرأة.
 أرى نخوة السيف ظلى
 أراك مسافرة بصنوج الحنين
- أسما عرش طيب وأعراس تارنجة
 أرى شجر الذكريات
- نهدت ضحكةً ضحكةً بين صبح سبو
 إلى اعتاب عليك
- والرحيل إلى قرطبة
 لاعتبا
- أين غاب.
- الذى أشعـل الرثـد



(A7)

وهج تفريبة الزعتر المشتهاة
وألقى على قدح ظماء؟

على جوست الياسمين أحرض زهو
موعايدك أنا لا أعتاب

جرح نهار يصوب لى برق أحلامك
 وهذا سيفتنى تدھي
وحده عاليًا ليس لى وطن لأربى
حمام خلاخيakan.

شارع شرید يزوق فى السكر ذاكرتى
وشتاتى هنا باذخ
وافترايبى سفير السنونو لاملى على
سهر الورد فتنتكن
وأغفر فى صبوة كيدك انسوى رببع
نشيد على شرفه من تعاس وأطوى الذى
كان من أمانياتى
وأنس صباحا بلا قهوة أو قدح
من يخرب ديباج قوس قزح
غيركِن؟

٥- عائشة.
ليلك فستانها «الوجدى» قد رصعه
السوسن
من ذكري رببع باذخ مر وهيج العطر
فهل أسائل
كأسى مالذى أغوى دمى بالنار
لما نفتح حلم المغني عائشة؟
نهر موسيقى هو البار كؤوس لا
تبورج
بالذى فتق الضحكه والوقت خراب
وسكارى أحرقوا العمر وغابوا
وردة لى ولها الانتخاب
من شمس نبيذ أغدق النشوة
والأسلاك

غيم امرأة أسكر من ضحكتها الشهاء
أم أشهر من تاريخ كأسى وردة عائشة
إغواها فتك ولا تشبه إلا عائشة؟

٣- تلك مشيتى وهذا موجانى
«إلى ضمير العائى»

أنا لو شئت أدخلك احتفالا
ومن فخذلك أبداك اشتعمالا
ليصرخ خصرك النهوند عطرا
ويغدق برق ساقك لى ابتهالا
فتبكين انتشاء تحت فتكى
وأغرى النهد كى يصحو غزالا
أنا أسمست مملكة انتمائى
وتوجهت الغواية والضلالا
لأحيا صبوتي حرا طليقا
أحب فكيف لا أصل الوصا؟

تعنى قاتلى قتلى تعنى
نديسى أن ينادى اغتيالا
فلم أقتل ولم أغتل لأنى
أشاء مشيتى عشقا تعالى
فمن شهوات قلبى موجانى
وملكى كلما شنت الحالا
أحرض سوسن النيايات كما
تشابئن التبرج والدللا
وأطلق فى مراياك الأغانى
لجد الزهو فاختالى اختيالا
فمن إلاك يحتكر انبهارى
وأدمننى وحيرنى سوا لا.

٤- وحدة باذخ شتاتى.

على الماء أكتب أسماءك على هودج
الربيع ألقى مباھجن

مقاطع من أكتوبر ١٩٩٢

فاطمة قنديل

لم تكن طائفة أبدا تلك المسافات..

سنة

ومثقب الكهرباء يغور في القلب
لو كنت أعرف أن سيملاه الشعر..

* هل الشعر «ابتزاز».. لا تقلق..
أحلامنا خاربة.

اعترافات مبدئية
وكذلك

* هل المتك؟ أنت الذي لم تصدق أن
البراكين لاتموت..
بعض طقات لبهرجة الحفل..
...ومنحتني ماسة في غرفة معتمة.

* أجهضت الكلمات لأحدك.

* اغفر لي.. لقد غسلت قلبي فيك..
أصابتك بعض الدماء..

* من كان؟ إطار يحفر تجاعيده في
الرمل؟..

* أنت جميل، حين تكون مرتبكاً-
تصطدم بي نفسك
حجر يخلق درامات..

* الأقفال أيضا يدخلها الضوء
والهواء.. و...

* هذا الشعير على جبينك خاطه اسمى.
قطعنـا أمياـلا على دراجـة الـأـلم.

* هل ت يريد أن تكون ماضياً؟ .. أعدك..
سوف أعيد الأقنعة التي تركتنى - آمنا-
أخلعها عنك.

تفاصيل

لهذا.. أفكـر بـتـروـيـض التـفـاصـيل.. وـفـى
مـسـاءـات كـتـلـكـرـبـماـأـتـكـنـمـنـوـضـعـ
الـيـوـمـ بـحـرـصـبـالـغـ فـىـ حـوـضـمـاءـ ..
كـمـرـكـبـوـرـقـيـةـبـهـتـالـواـجـبـ
الـدـرـسـ،ـفـوـقـهـشـيـنـاـفـشـيـنـاـ

2

تفاصيل أخرى

في الموعد اليومي لسقوط الشبكة
الثقيلة على خصرك ت safarin إلى هناك
حيث جسدك هشيم في أول لحظة من
هروب بروميثيوس.

中

فی ملائتی رائحة غريبة عنى..
أقسام.. لم ينم فی سريری سوای

三

أختبئ في لكن..
وأحبك

- * قلبان مقصّلتان
- احتكا.. فاختدا
- لماذا إذن لم تسرع النهايات؟ .
- * حفرينا قبراً أكبر بكثير
من الجنة التي لا ترید أن تلقيها.
- * قبل أن أدخل منزلك، أترك
«فاطمة» على «دواسة» صغيرة أمام
باب...

* أنا أحبطك كثيراً، لأنك لا أحد قبلك
علمى
أن أبحث في الانقضاض..
* وأنت تحبطنى لأنك تبدو مفسولاً
لتركـ فى ضوابط ..
وبرغم هذا...
تلزمنى طفولتى، أحياناً...
كى أصنع من نفس الألوان
صورة أخرى..
فاطمة

بهذه لم أكن أريد أن أبدأ..

قميصة بين جسدین.. قصيدة شربت
لذة من قبلت سلم للتشطيبات
وطقطقة الحروف.. هبطت كموجة على
سلمات الهواء.. ووحدها أمضت الليل
بحاث الفراش..



(AV)

يهبط البشر من الحافلة

لإيتوادعون

بها التمرين اليومى يتعلم العشاق

كيف يفترقون

فراغات شائكة

تنحرك فجأة..

المفاتيح التى تفتح الأبواب

هي المفاتيح التى تغلق الأبواب

والمفاتيح المشترقة فى السلال

لاتملك إلا دراما الرثى

لكن المفتاح الذى يموت فى جيبى

يدكرنى بأنه قد آن الوقت

لكى أكون امرأة عاقلة

تسكن بيها

بلامفاتيح.. بلا أبواب..

*

شهاب يختبئ

قبل أن تتبين ملامحه

قبل أن نعرف أنه

نفس الشهاب..

*

كل ما يبصرته فى قلبى بعد ذلك

قدم غائرة

ثم حالت الدماء دون انتقاء الآخر..

*

كيف أحببت رجلًا مثل نجم أسود

يعرينى من كل الرجال الذين أحببت

ولايترك لى سوى

بهجة اليتم..

*

يأكل الظلام البدر

فيرفع مرتعشا

منجل الهزيمة..

*

لماذا تدخلين المشهد العائلى
كماء يسقط على جانبى الجرار؟.

*

أقول يا زيايد: أنا أملك
ولن تكون

أقول يا زيايد: رحمى شظايا
كيف أسكنك؟.

كل يوم
فى المرور السريع للمرتدى يومض
بيت متاكل
بسسلم خشب خارجي
وباب من الصاج..
مفتواحا.. دائمًا
كل يوم
حتى صار بيته
عدة طرق تقطعنها الطرق

*

أدون النسيان
نسيانا ليس أبيض
نسيانا ليس قرطا
بل كطفلة تختضن دمية، تتأمل شبحا
لا يبصره سواها، يعقد فى مسامها
ـ حمایلاـ شبكة الكهرباء..

*

يحبيل الرماد بنار لم يشأ أن يسمى بها
النار

كان يحب أن يسمى بها:
عاشقه المهىـيم

أو

بكارة الهوا
لكن النار بعد أن رقت الفضاء
أسممت نفسها أخطبوطا
وجلستـ بسامـ تقلب الرماد..



البرتقالة؟

ثمرة توت

تباهي بتج مطفأ

*

يحضن البرتقالة قشر البرتقالة

نزعت البرتقالة من قشر البرتقالة

هل ماء البرتقالة نهر البرتقالة؟

أمـةـ شـرـ الـبـرـتـقـالـهـونـعـشـ

الحب ناصية للتسكع
علقى لافتة الخامسة والثلاثين

كتبت هذه المقطوع في أكتوبر ١٩٩٢.

الأشياء

نعيمة السمك

البحرين

***	الأشياء
الساعات	تأخذ وقتها المعتاد
تتقلمى	***
تسرب	تنكاشر
الأشياء	بعد اللحظات
تأخذ أكثـر من وقتها المعتاد!	تتزاحم
***	تتلـاحق
انها تلـع	كيف؟
ثم تلـع	يـاودنى هذا السـوال المقـبـتـ!
لماـذا لا تذهب نحو الجـحـيم؟	***
لماـذا لا تهـرب مـنـى؟	انـها
لماـذا لا أهـرب مـنـها	بعد الانـجمـ
***	وحبـبيـات الرـمالـ
حسـناـ	فـيـاـهاـ أـبـداـ؟
لنـبـداـ	وـيـاـهاـ اـنـتـىـ؟



ومثل كل يوم
الأشياء تأخذ وقتها المعتاد
ينقض النهار سويعات
فينبليج الليل
الأشياء تأخذ أكثر من
وقتها المعتاد

الأهم
فالهم
فالاقل أهمية

كل شيء مهم
كل شيء غير مهم
الأهميات
تكبس الأنفاس

الجهل

إلى الدكتور/نصر حامد أبو زيد. دعهم يلعنون

النور.. حسيك أنك تضيء للأجيال شمعة

احمد عقل

عبرت قلبى برصاص
وقلبى بحماس
وم الكرايس
صنعت تحميئات..متاريس
وعلمت من نفس الناضور جى
وقدعت ف مرصد الإحساس
ومفيش دقايق
لاقيتنى خارج للكتب والناس
ولاقيتنى زاعق
بالأمر المفاجئ
فيه طوارىء
الكل يدخل فى المخابىء
ويأخذ بسرعة احتراس
ويحسن بالفكر ذاته
فالحمل ع العيد حاشد اذاعاته

وبالتليفزيون الأرض-أرض
ح يدمـر جـنـين الـفـكـرـ فـيـ الـأـدـمـنـةـ
وح يموت معانـى اللـفـهـ
وح يحاصرـ الأطفالـ
يرعبـ الحـلـمـ اللـىـ فيـهـ
ويطـوـقـ سـمـاـ الـخـيـالـ
وح يـدـسـ أـشـيـاهـ لـلـرـجـالـ
مـتـسـلـحـينـ بـأشـيـاهـ لـلـكـتـبـ
لـسانـهـمـ فـصـبـعـ
وـقـولـهـمـ مـرـبـعـ
وـأـنـ تـشـوـفـهـمـ
يتـهـيـأـ لـكـ بـشـرـ بـصـبـحـ
مـكـنـ الفـرـدـ مـنـهـ يـبـقـيـ شـيـخـ مـعـمـ
أـوـ مـعـلـمـ
أـوـ عـالـمـ وـاسـتـانـ فـيـ جـامـعـهـ



ولولا الملامة
كان في يده
قام وعشه
فالجهل يقدر يعاند
ولاحظ يقدر يعاند
وهو جي مستحلف وحالف ميت
يمين

ما يخللى من معالم الإنسانية للإنسان
غير ودان بتططرق
ولسان اذا ينطلق
ما يقولش غير كلمة «أمين»

وبيبقى هو دراكولا واحد
والفرق الوحيد
ان دراكولا اذا عض
بيتحول المعرض دراكولا
وده اذا قال
بيتحول السامع وفي الحال.
الى جندى ف جحفل الجهال
إذا حد عارضه
وبسماحة ورضا

للحق كان عاوز يرده
هاج وماج
وطرطش ع الكون بزبده

فلسفة الحملان

كامليا عبد الفتاح حفنى

يرتاب الأطلس من بحث عن فلسفة
الحرف الصائب

ينفينى الأطلس من أرضى..
أذرخ بأقدمة سامة

أتجول فى خط رأسى خوفا من أمن
السادة..

ورقيب البنظم الدولية..
ونقطات الأمان الممتدة فى كل شرايين

الأطلس

أتجول فى خط رأسى
 حين ينظم بعض السادة منحا من
ثلوج يومى لضطلع النار

حين يواصل طبل السادة..
نفع رضوضى..

حتى انشطر إلى صمت
ودعاء

بدوام السادة...
.

فيزيز علامات الإرشاد

ويريق الصحراء بأرضى
ويغلق فى وجهى التاريخ...

يفجر تابوتا غاصبا بنظام دولى لكن

ويدس الثالج بأحداقى
ويقترب لثغة أولادى فى قبو الجوع...

يريق محارم تكوينى في كل وكالات

الأنبياء... وكل مجلات الحائط

لأظهر لغفى من غضبى....

وأظهر غضبى من صوتى...

أتعلم تقدير الإتكىت..
فأكل من طبق واحد



ـ نكن نرى من الأفلام شيئاً تقريراً..
 قامت بعد ذلك ثم توجهت إلى
 الشمسية وهي تقول:
 - كانت أيام... أمورى الآن قد تغيرت
 كثيراً..
 قلت:
 - أرأي ذلك بوضوح وكم يؤلمى ذلك..
 قالت في مودة:
 - ولكنك ستقدر كل شيء بحكم
 الفنان الذى فيك..
 واستدرنا بعد ذلك، وكنت قد حملت
 الشمسية بعد أن عاونتها فى ارتداء
 ملابسها، كان النطاس ما يزال واقفاً
 فوق الصخرة وقد دنا الغروب من
 نهايته. لم يكن متبقياً إلا تلك الشمسى
 القليلة المتناثرة على طول الشاطئ،
 ففز أخيراً ولبث تحت الماء طويلاً، وظهر
 بالقرب من الشاطئ عندما صعدنا
 السلم وأوشكنا على الخروج إلى
 الكورنيش..

ـ ثم تبتعد عنه، ويتوهان بعد ذلك
 يعادان كل شيء من جديد. فى النهاية
 خرجت عفاف من البحر وكان الغروب
 قد توغل وأندفع هو فى اتجاه الصخرة
 الكبيرة. وقف انتظارها والفوطة
 الكبيرة ملقة فوق ذراعى. ارتست فوق
 الرمل وقالت:
 - لكم أنا متعبة..
 ملت عليها ولفتها بالفوطة. قالت
 وهى تضحك:
 - يبدو أننى لن أتعلم السباحة أبداً
 وأنا ينسل من تلك الخطوبية..
 وقف مفعوماً أراه وهو يصل إلى
 الصخرة، اعتلاها وراح يشير إليها
 وردت هى الإشارة..أخذ بعد ذلك يصيح
 مثلاً كأن طرزان يصبح بالغبطة. قال
 وهى تضفط نهديها بالرمل:
 - لقد ذكرنى بكل الأفلام القديمة
 التى رأيناها..
 قلت:
 - أمازلت تذكرى !! كم ذهبا إلى
 السينما سوياً..
 - وعانتنى وقبلتني كثيراً ولم

الديوان الشعري

أحمد أمين

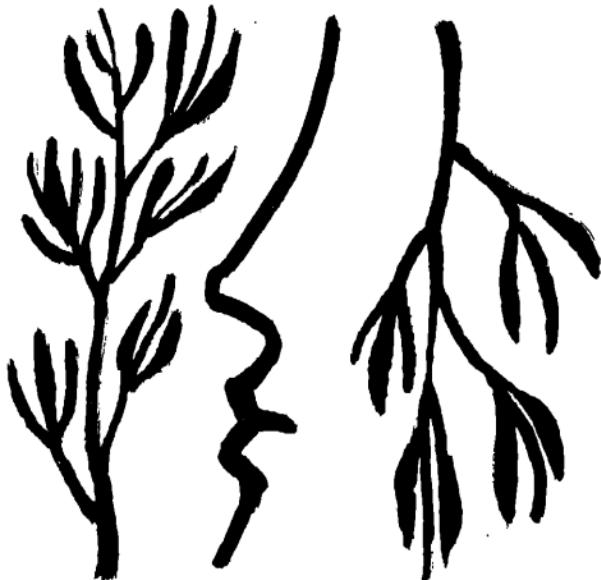
في الثناء على الإجتهاد

تقديم:

د. جلال أمين

د. نصر حامد أبو زيد





صفحات من الهواء النقي

بالحضارة الحديثة ومزاياها ، وطرف بالغ في الافتتان بالغرب وفي الاستخفاف بدينه وعقيدة قومه ، فإذا بصوت أحمد أمين يبدو لنا رائعاً بتوازنه وحكمته ، وجمعه بين حب عميق لدينه وأهله ، ورغبة صادقة في الارتقاء بهم ، تدفعه دفعاً إلى المناداة بتحكيم العقل وفتح باب الاجتهاد .

د. جلال أمين

كتب أبي ، أحمد أمين ، هذه الصفحات منذ أربعين عاماً ، هي آخر كتاب كتبه في سلسلة الإسلامية ، التي بدأها بكتاب فجر الإسلام ، ولخصها كلها في مجلد مغير أسماء «يوم الإسلام» وهو الكتاب الذي اقتطعت منه هذه الصفحات .

وهي صفحات أقرأها اليوم ، فاجدها كالهواء النقي المنعش وسط هواء ناسد ، أفسده طرثان لا طرف واحد : طرف غلبه التعمص وضيق الأفق وبالغ في الاستخفاف

مشروع «الإصلاح الديني»:

ثوابته ومتغيراته

مفهوم «السنة»، حيث يفرق بين سنة «البيان»، وسنة «الاجتهد الدينى» وسنة «الاجتهد الدينوى»، فى أقوال الرسول وأفعاله، تلك التفرقة هامة جداً لأنها تكشف عن مناطق «الوحى» الذى لا يرد حكمه، والفارق بينها وبين مناطق «الاجتهد»، النبوى الإنسانى المرتبط بالزمان والمكان الدليل الثالث يستتبطة أحمد أمين من تاريخ المسلمين فى الاجتهد، ويفرق بين «الاجتهد المقيد» الذى مارسه المتأخرىن حتى انتهى بهم الأمر إلى «لتقليد» وإغلاق باب الاجتهد المطلق «الذى مارسه الصحابة» - وعمر تحدیداً - والأنمة، وبين «الاجتهد كليّة».

هناك إذن مناطق للاجتهداد وإعمال العقل خارج دائرة الدين، وهى تلك المناطق المرتبطة بالصالح الدينوية، وهى المناطق التى تقع كلية تحت دائرة «العلم». وهناك مناطق الاجتهداد لفهم «الدين» وتصوّصه، ومعنى ذلك أن «الاجتهد» ليس قيمة مسافة إلى الإسلام أو مفروضة عليه، بل هو قيمة مركبة محورية في بناء الأصلى. وهذا ينفي تمام النفي أى تعارض متوجه بين «الدين» و«العلم»، لأن لكل منها مجالاته التى لا يصح أن تخضع لمجالات الآخر. للدين مجاله وللعلم مجاله، وإنما ينشأ التعارض في الأوهام بالخلط بين

تكشف هذه الصفحات من كتاب «يوم الاسلام» للرائد أحـمـدـأـمـيـنـ بشـكـلـ مختصرـ غيرـ مـخـلـ عـنـ مـشـرـوعـ «ـالـإـلـاصـلـ»ـ الدينـىـ «ـبـكـلـ جـوـانـبـ»ـ إـنـ يـنـطـلـقـ مـنـ إـشـكـالـيـةـ الـأـنـاـ وـالـآـخـرـ بـكـلـ اـبـعـاـدـهاـ، وـهـىـ إـشـكـالـيـةـ الـتـىـ تـحـدـدـ مـنـ خـلـالـهـ الـأـنـاـ فـىـ «ـالـذـاتـ الـاسـلـامـيـةـ»ـ كـمـاـ تـحـدـدـ الـآـخـرـ كـذـكـلـ فـىـ «ـالـعـضـارـةـ الـغـرـبـيـةـ»ـ. يـسـتـخـدـمـ أـحـمـدـ أـمـيـنـ مـصـطـلـحـيـ «ـالـلـعـلـمـ»ـ وـ«ـالـدـيـنـ»ـ لـتـبـيـبـرـ عـنـ إـشـكـالـيـةـ، وـيـسـعـىـ إـلـىـ حلـهاـ مـنـ خـلـالـ نـفـىـ التـعـارـضـ بـيـنـ الـقـطـبـيـنـ،ـ فـالـدـيـنـ لـدـيـنـافـىـ الـعـلـمـ لـأـيـعـارـضـ،ـ وـالـإـسـلـامـ بـصـفـةـ خـاصـةـ يـحـضـرـ عـلـىـ الـعـلـمـ وـالـتـفـكـيرـ وـيـعـادـىـ التـقـلـيدـ وـيـذـمـهـ،ـ وـتـلـكـ هـىـ الـقـضـيـةـ الـأـوـلـىـ.ـ وـالـقـضـيـةـ الـثـانـىـةـ أـنـ الـعـلـمـ وـهـدـهـ،ـ أـيـ بـمـعـزـلـ عـنـ أـخـلـاقـيـاتـ الـدـيـنـ وـقـيـمـهـ،ـ قـدـ يـتـحـولـ إـلـىـ قـةـ مـدـمـرـةـ وـطـاقـةـ تـهـدـدـ الـوـجـودـ إـلـانـسـانـىـ.ـ لـأـثـبـاتـ الـقـضـيـةـ الـأـوـلـىـ يـلـجـأـ أـحـمـدـ أـمـيـنـ إـلـىـ بـيـانـ أـنـ إـسـلـامـ فـيـ جـوـهـرـ،ـ الصـافـىـ وـفـىـ مـرـحـلـةـ نـهـوضـ الـمـسـلـمـينـ يـتـضـمـنـ فـىـ حـقـيـقـتـهـ مـفـهـومـ «ـالتـغـيـرـ»ـ وـ«ـالـسـيـرـورـةـ»ـ.ـ يـلـجـأـ أـحـمـدـ أـمـيـنـ لـأـثـبـاتـ ذـلـكـ إـلـىـ ظـاهـرـةـ تـغـيـرـ الـأـحـكـامـ بـتـغـيـرـ الـظـرـوفـ وـالـمـلـاـبـسـاتـ،ـ وـهـىـ الـظـاهـرـةـ التـىـ تـعـرـفـ فـيـ عـلـمـ الـقـرـآنـ بـاسـمـ «ـالـنـسـخـ»ـ.ـ إـنـهـاـ الـظـاهـرـةـ التـىـ تـكـشـفـ عـنـ أـهـمـيـةـ مـرـاعـاـتـ تـحـولـاتـ الـظـرـوفـ التـىـ يـفـرـضـهـاـ تـغـيـرـ الـزـمـانـ وـالـمـكـانـ فـيـ الـأـحـكـامـ.ـ الـدـلـيلـ الـثـانـىـ الـذـىـ يـوـرـدـهـ أـحـمـدـ أـمـيـنـ يـنـطـلـقـ مـنـ

الجالين وجعل أحد المجالين حكما على الآخر.
الحضارة الغربية- من جهة أخرى-
ليست خيرا كلها، فهى فى ابتعادها عن الدين، كما يرى أحمد أمين، جعلت العلم بمعزل عن الأخلاق والقيمة السامية التي يزرعها الدين فى البشر، لكن مساري هذه الحضارة لا يجب أن تمنعننا من محسنتها، هكذا يجب على المسلم أن لا ينفى من الحضارة ومنتجاتها وأهمها العلم- موقف الرافض المستنكر، بل عليه أن ينفتح على كل ما هو إيجابى فيها، إن كل ما هو إيجابى من قيم العلم والحضارة لا يتعارض مع الإسلام، فالإسلام دين «الاجتئاد»- أي دين العلم والمعرفة- بامتياز.

هذا هو مشروع «الإصلاح الديني» الذي بدأه الأفغاني ومحمد عبده، والذى يحمل شعلته ويضيف إليها من زيت وعبيه أحمد أمين. والذى نحب أن تبرر هذه أقواف الرائد أحمد أمين فى صفت «العقلانية» فى التراث الإسلامى. العقلانية التى تدافع عن مصالح البشر المتغيرة طبقاً لظروف الزمان والمكان. والدفاع عن مصالح البشر يعني الوقوف ضد «الانغلاق» و«الفهم الحرفي» و«المعنى الثابت» ثبوتاً مطلقاً؛ الإسلام نفسه يعلمنا أن مجال «العبادات» هو مجال «الثابت»، أما المعاملات فمجالها متغير متتحرك. هناك كليات-تسمى المقاصد- حصرها الشاطئين فى الحفاظ على النفس والعرض والمال والدين. هذه الكليات يرى أحمد أمين أنها الشوايد التى تمثل معيار تصحيح الاجتهداد. لكن مشروع الإصلاح الدينى يجب فى رأينا أن يتتجاوز الوقوف عند عقلانية التراث، وعند «المقاصد» الكلية التى استنطتها الإمام الشاطئى.

الإيمان بالسيرورة والتغير، والدعوة إلى الاجتهاد «المطلق»، والفصل بين العلم والدين، هي منطقات الخطاب الاصلاح، وهي منطلقات أساسية عجز الخطاب نفسه عن تطبيقها، فظل - لأسباب كثيرة - أسيير منطق «السجالية» الذي فرضه عليه خصمه التقليدون من جهة ووطأة الضغط الأوروبي من جهة أخرى. هذه السجالية جعلت خطاب الإصلاح يقف عند حدود «عقلانية» التراث، وعند حدود مقاصد الشاطئين. لكن الأسس التي صاغها الخطاب تستلزم تأسيس عقلانية متتجاوزة لتلك العقلانية التراثية من جهة، كما تستلزم تأسيس «مقاصد» على أساس قراءة اجتهادية معاصرة للنصوص الدينية من جهة أخرى.

للنصوليين الدينيين من جهة أخرى. تبقى ملاحظة أخيررة فشلت مقارمتى في الاشارة اليها، وهى تلك الخاصة بالفارق بين مشروع «الإصلاح» الذى بدأ، وبين «الصحوة» التي نعايشها. رغم أن الفارق بين مفهوم «الإصلاح» ومفهوم «الصحوة» يوهم بأن «الصحوة» تمثل تقدماً عاقلياً وفكرياً بالنسبة للإصلاح، فإن قراءة أحمد أمين التي تفصل بين «العلم» و«الدين» تؤكد أن الإصلاح حدث له تراجع في تلك «الصحوة». المفارقة حادة، لكنها صحيحة، لأن كثيراً من رموز الصحوة يتحدثون عن «أسلمة» العلوم الإنسانية والطبيعية، فضلاً عن «أسلمة» الآداب والفنون. والسؤال الآن: سخن وهل هي «صخونة» فعلاً؟ كبوة؟ هذه الصفحات من أحمد أمين تعطينا الإجابة باهرة.

د. نصر حامد أبو زيد

أحمد أمين

في الثناء على الاجتهاد

وطرق إثباتها ووجهه للتها وأنواع العلوم العربية من اللغة والصرف والنحو وغير ذلك، وقد أصيّب المسلمين بحكمهم على أنفسهم بالعجز وقولهم بإغفال باب الاجتهد لأن معناه أنه لم يبق في الناس من تتوفر فيه شروط المجتهد ولا يرجى أن يكون ذلك في المستقبل.

وإنما قال هذا القول بغضن المقلدين لضعف ثقتهم بأنفسهم وسوء ظنهم بالناس، وزعمهم عكس ما يقول أصحاب النشوء والارتفاع من دعوahم أن العقل دائمًا في تدنٍ وانحطاطٍ، وغلوبه في تعظيم السابقين.

وإنما أصرّت عليه المسلمون بقولهم بباب الاجتهد لأسباب ثلاثة: أولها كثرة المسلمين بضياع المعتزلة لهم الفرقـة العقلية في الإسلام وانتصار أهل الحديث عليهم، والثانية مهاجمة أهل التصوف للفقهاء بأنهم شكليون ويعانون بالشكل أكثر مما يعنون بالروح، فاتفقوا مع المعتزلة في مناهضة الفقهاء، وكان رأسهم سفيان الثوري الذي توغل

إن إصلاح حال المسلمين يكون بشيئين: أحدهما فصل الدين عن السياسة والتوسيع في العلم إلى أقصى قدر مستطاع، فليس العلم ملكاً لذهب دون مذهب وليس الإسلام مما ينافس العلم، وفصل الدين عن الدين شيء ميسور ومحبوب . وأما فصل الدين عن السياسة كما فعلت أوروبا المسيحية وكما فعل مصطفى كمال فشيء لا يقتضيه الإسلام لأنه لا بد أن يدخل الدين في السياسة ليتحققها ويهدّبها ويحسن من نيات ولة الأمور ويوجّهم نحو ما ينفع رعيتهم، ولم تقع أوروبا في الحروب المتتالية إلا لفصل السياسة عن الدين فبانفصالها عن الدين انفصلت عن الأخلاق أيضًا . والأمر الثاني هو الاجتهد، والاجتهد في اصطلاح الأصوليين بذل الفتنـة الواسع في تحصيل ظن بحكم شرعيـة وقد اشتربطوا في المجتهد شرطـين: الأول معرفة الله تعالى وصفاته، وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم ، والثاني أن يكون عالمـاً بـدارك الأحكـام وأقسامـها



احمد امين

على العلماء من كل قطر، في حل بعض الأمور وحرمتها. فما لم تواجه هذه المسائل بالاجتهاد المطلق تختلفنا كثيراً في الحياة، ولو رواجت هذه المسائل الآئمة الأربع لأفتوا فيها فتاوى يضعون فيها إحدى عينيه على كليات القرآن، والعين الأخرى على المدنية الحديثة؛ والله تعالى ينهى عن الغلو في الدين، والرسول يقول «إن الإسلام يسر لا عسر» فهذه المشاكل لا تحل إلا باجتهاد مطلق؛ ولست أعني بالاجتهاد المطلق إعمال العقل وحده، والتقليد للأجنبي تقليداً أعمى، وإنما أعني اجتهاداً من أهل الاجتهاد، اجتهاداً يفهم الإسلام ومراميه، ويفهم المدنية الغربية ومراميها، ثم يحلل أو يحرم على مقتضى هاتين النظريتين.

فكل المجتهدين السابقين فعلوا مثل هذا؛ ونحن لسنا أقل منهم في مواجهة الصعاب وقدرتنا على حلها، وفي التاريخ أمثلة كثيرة من هذا القبيل وإن الذين أغلقوا باب الاجتهاد أو فتحوا فقط باب الاجتهاد الضيق ضرورتنا ضرراً بليغاً وجمدونا جموداً متحجراً، فأصبحنا كالنعامنة تخمض عينيهما عماسيلها؛ وليس يحيى دين على مر الأزمان إلا إذا كانت فيه صفة الرونة. نعم إن جماعة كالبابية والبهائية والقاديانية قالوا بهذا الاجتهاد، ولكنهم أفسرطوا في الحرية بعض الأحيان إنطلاقاً لا يرتفع بالإسلام كالقول بأن الأنبياء لم يختموا بمحمد، مخالفين النص القرآني «وَخَاتَمَ النَّبِيُّنَ»، وغير هذا من أمور ليس هذا موضعها، فنحن محتاجون إلى نوع خاص من المجتهدين: نوع يفهم الدين فهمه دقيقاً ويفهم المدنية فهما عميقاً، ثم يطبق تلك تدل على ذلك الأسئلة الكثيرة التي ترد على الدين، مراعباً المصلحة العامة

في الروحانية مع املاعه الواسع في الفقهيات، والسبب الثالث سقوط بغداد على يد التتر وقد كانت بغداد إذ ذاك مركز الحضارة والثقافة الإسلامية فلأن أصيبي العلامة بالفوز من جراء هذا السقوط وغلبهم التشاوُم وودوا أن لو استطاعوا فقط حتى المحافظة على القديم من غير تجديد، وهم في ذلك معذورون بعض العذر، فانحبس الناس في التقليد - والاجتهاد الذي تريده هو الاجتهاد المطلق لا المقيد بمذهبـ وهذا الاجتهاد المطلق هو الذي فعله معاذ بن جبل وعلى بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وأبو حنيفة والشافعى وابن حنبل وداود الظاهري والطبرى وابن تيمية وأمثالهم، وليس المسلمين مقيدين بالذاهب الآربعة، فغيرهم من مشرات الآئمة لم يتقيد بمذهبهم.

والاجتهاد في عصرنا أسهل من عصرهم، فالطبع نشرت عشرات التفسيرات للقرآن الكريم، وعشرون الكتب في جمع الحديث؛ وأصبحت المطالعة في الكتاب تفنى من الرحالت المختلفة إلى مصر والأندلس والجاز، فقد كفانا الحدوث مثونة ذلك.

هذا إلى أن الكلمة يدخل الأم الإسلاميّة في كل عصر من مسلمين أذكياء مقلّدة عارفين بكليات الشريعة الإسلامية ومقاصدها، قادرین على تطبيقها على الجزيئات، ثم إن المدنية الحديثة قابلت المسلمين بجزئيات لا عدد لها؛ فقد أصبحت طرق المعاملات الجديدة تختلف في كثير من الأحيان طرق المعاملات القديمة، وتتطور العالم الإسلامي في العشرين سنة الأخيرة ما لم يتطوره في مئات السنين الماضية؛ على الدين، مراعباً المصلحة العامة



ولكن هل يمنعنا هذا ، وقد تسلطت المدنية الفربرية على العالم كله حتى الأمم الإسلامية ، من فهم المدنية وأسرارها وتحديد موقفنا أمامها ؟

لوكانت تعيش المدنية الغربية في بلاد غير بلادنا لا حتملنا ذلك ؛ أما وهى تعيش في بلادنا بماريتها ومعنىتها فلا يصح أن نغمض النظر عنها ، إن العلماء يلبسون من صنعتها ويحلون بيروتهم باثاثها وآلات إذاعتها وتليفوناتها ، ويزرعون بالاتها ، فلماذا لا يوسعون فهمهم لها ، ويفتحون الطريق أمام خيراتها ، ويغلقونه أمام شرورها ، ويبصرؤن الناس بموقفهم منها ؟

هذا هو الفرق العظيم بين رجال ديننا ورجال دينهم ، يظهر ذلك في علمهم الواسع بأساليب سياستهم وتكوين رأيهم فيها ، ويظهر ذلك أيضاً في وعاظهم

والعقل الواسع ، أما أن يفهم الدين وحده كبعض علمائنا ، أو أن يفهم الحضارة الفربرية وحدها كبعض المتمدنين فلننظر بعين واحدة وهو لا يكفي . إنما لا تزيد الاجتهاد لكل أحد ولكن تزيد بشرورة كالتى قالها الأقدمون ، وكل ما نخالفهم فيه أنتانشق بانفسنا ولا نقبل مركب النقصمنا فيينا ، ونؤمن بفضل الله وسياحة مطاياه ، وأن الأمة الإسلامية لم تصب بالعمق ، فالآميات الالاتى كن يلدن عباقرة حتى فى الدين يلدن حتى اليوم هؤلاء العباقرة ، وما يُؤسف له أن كثيراً من علمائنا الدينيين لم يتبعوا أنفسهم فى فهم المدنية الحديثة كما أتعب علماء المسيحية أنفسهم فى فهمها : فقل إن تجد عالماً فاهمًا للمدنية الفربرية ، وربما كان السبب فى كرهنا للمدنية الفربرية أنها نشأت فى أحضان النصرانية لا الإسلام

وعظتنا، في كنائسهم ومساجدنا، فهم يتحدثون بل ويؤلفون بلغة الفخر وزروح العصر، وأشهد أنى قرأت دائرة المعارف الانجليزية للأطفال، فكان رجال الدين في كل عدد يعرضون لأحاديث التوراة نفس وغيها فهم لعلم الطبيعة والكيمياء، وفيها لغة تناسب عقول الأطفال والشبان وتستهويهم وترافق لغتهم التي يالغونها في كتب العلوم والأداب، أما نحن فمن أسباب انصرافنا شئتمنا عن الدين أننا لا نعرف أن نخاطبهم بلغتهم التي يفهمونها، ثم هم إذا حدثت حوادث كفرق مركب كبير وقيام حرب كبيرة وحدوث أحداث سماوية صغيرة انتهوا الفرصة فتكلموا بلغة الدين فيها فكان كلامهم مقبولاً.

ونحن لا نتكلم إلا عن الماضي ولغة الماضي فلا يكون كلامنا مقبولاً، إن زعماء الإصلاح الذين نجحوا كان نجاحهم يقدر فهمهم للمدنية الغربية وفهمهم للإسلام مما، كالسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ومحدث باشا، والسيد أمير على، أما من تخلف منهم ولم يناسب إلأجزيرة العرب وأمثالها، كمحمد بن عبد الوهاب، فسبب عدم شيوخ تعاليمه وأنه اقتصر على فهم الإسلام دون الجانب الآخر من الحياة، حتى فهمه للإسلام كان فيما يقيداً بظروف الحياة في الجزيرة العربية، قبل تطوره التطور الذي جاء بعد؛ فهو أشبه بابن عمر من عمر، إن عمر بن الخطاب بعقله الواسع واجتهاده المعمول استطاع أن يشرع للفرس والروم، وهو البدوى وهم المذكورون: وقف حد الشرب على أبي محبجن الثقفى لأنه أبلى في الحروب بلاء حسناً، ووقف حد

إن ما يُسفنه أن حسنة من المسلمين نادوا ببعض إصلاحات كنداء عبد الله بن المقطوع بن وحيد القوافين ونشرها على الناس ليعرف المتلقاضين وجه الحكم له أو عليه، ونداء المعتزلة بتحكيم العقل في الحديث، ونداء الشيخ محمد عبده في السنين الأخيرة بتنتقية الدين من الخرافات والأوهام، والاستفادة



بأن يجمع الأئمة في كل عصر أو الأئمة كلهم في قطر فيكون رأيهم حجة ، وليس هذا إلا ضربا من الاجتهاد .

خامسا: أن الاجتهاد لو لم يكن لوقف المسلمين جامدين لأن المدنية وخصوصا المدنية الحديثة تخلق حوادث جديدة وما لم تقابل بالاجتهاد وقفت أمامها حيارى وقد اخترع في المدنية الحديثة آلاف من الأشياء من طيارات وغواصات وغيرهما كلها تتطلب تشريعات جديدة ، وكذلك الاقتصاد الحديث أوجد معاملات لا عدد لها تتطلب أن يعرف المسلمون أهي حلال أم حرام ، ولابد أن نسابر الزمن .

سادسا: كل عصر تتغير ظروفه فلا تكاد تمر عشر سنين أو عشرون سنة حتى يحدث ما يغير النظر ، فكيف إذا مر ألف عام ؟ وهذا كما قلنا هو حكمه النسخة ، والحكمة أيضا في أن الشافعى كان قد

بالله وحده ، دون الاستفادة بأضرحة وأولياء ، فرمى كل هؤلاء بالزنقة .. ولننا على صحة الاجتهاد وجوهه أمثلة كثيرة ، منها :

أولا : عمل كثير من الصحابة وخصوصا عمر في مقابلة هذه الحوادث الفياضة التي راجهها من جراء الفتوح .

ثانيا : قوله تعالى (لعلمه الذين يستنبطون منه) وليس الاستنباط إلا اجتهادا .

ثالثا: ما فعله أبو بكر فقد كان إذا نزل الأمر يجمع إليه كبار الصحابة ويسألهم هل في هذا نص من القرآن ؟ فما لم يجد سالهم : هل يروى أحد في هذا حديثا ، فإن وجد عمل به وإن لم يجد شاورهم الرأى

رابعا: أن الأجماع نفسه وقد أجمعوا الأئمة عليه هو معنى من الاجتهاد حجة

وأهمها معرفة روح الإسلام وما يرتب عليه وما يرفضه .
ومن طريق ما في تاريخ الإسلام أن
وظيفة الحسبة ، كان القائم بها من العلم
والقدرة بحيث يمنع المتعross لشئ لا
يتحقق من عمله ، كمن يحجر على طبيب
لم يتتعلم صناعته كما يينبني ، واليوم
تقوم وزارة الداخلية بهذا العمل فيمكنها
أن تكتف يد من أراد الاجتهاد ولم تتوافر
له أدوات .

أسس مذهب في العراق ، فلما جاء مصر
رأى من البيوت ما يخالف بيته العراق
فغير مذهب وسمى مذهب في مصر
المذهب الجديد ، ومذهب في العراق
المذهب القديم ، وقليل من البحث يرينا
أن الفرق بين القديم والجديد فرق بيته
أو فرق نشأ من علم ما لم يعلم .

سابعاً : أن المجتهدين الكبار أمثال
أبي حنيفة ومالك والشافعى اجتهدوا
وهم أنفسهم لم يغلقوا باب الاجتهاد

إن نظرية المسلمين إلى العالم الأوروبي على أنه مثال الكمال نظرة خاطئة تبعث في النفس اليأس والحزن، وأنه وإن كان في المدنية الشرقية عيوب ففي المدنية الغربية عيوب، وإن كان العالم الشرقي ينحصّر العلم والصناعة فإن العالم الأوروبي ينحصر الروح، والمدنية الصحيحة هي التي تؤسس على عناصر ثلاثة: رفع لقيمة الفرد وعمله في المجتمع، وبناء الحياة على ما يقتضيه العلم، وإحياء القلب بالشعور بالخير الإنسانية، وفقدان هذه العناصر الثلاثة أو بعضها هي التي سببت هذه الحروب الفظيعة المتتالية، وقد كان قادة الأوروبيين يقولون بهذه العناصر الثلاثة على أنها المثل الأعلى للجامعة البشرية ولكن عيوبها كان أنها لم تستند إلى وحى يقدسها ويجعل الناس يطاعونها فقدت روحها، وعلى العكس من ذلك كان الإسلام إذ سند هذه المبادئ بالروح من الله وما يسنتبع ذلك من تقديس - إن المسلمين اليوم مطالبون بأن يحاربوا ما عندهم من مركب النقص وليس ما عندهم أقل مما عند غيرهم، وفي استطاعتهم أن يواجهوا الزمان والمشاكل التي تعيّر لهم بروح إسلامية قوية وحماسة تاريخية، فيستردوا مكانتهم ويستطيعوا أن يبنوا ثابتاً إننا إذا نظرنا إلى ما بيننا من قوانيين مدنية رأيناها تتغير بتغير العصور لأن هذا التغيير من طبيعة القانون ومن طبيعة الحياة الاجتماعية، والله تعالى العالم بما يحدث في الأزمان المختلفة لم يsha أن يقر للنبي (ص) حكم المستقبل في جزئيات لأن قيمة الحكم تابعة لعصره فإذا لم يوافق العصر كان ثابياً ولو كان مسيحاً.

هذا وقد قسم الأصوليون الاجتهاد إلى ثلاثة أنواع: اجتهاد مطلق كالذى فعله أبو حنيفة والشافعى، واجتهاد مذهب وهو تطبيق قواعد المذهب على المسائل الجزئية، واجتهاد مسألة وهو تطبيق مسألة جزئية لا مسائل عامة على مذهب من المذاهب،

والذى يتفقون على أن وندعوا إليه هو الاجتهاد المطلق، لأنه هو الذى نستطيع به أن نواجه هذه المسائل، ولساننا من دعاء الاجتهاد لكل فرد، إنما تندعوا إلى الاجتهاد من قدر عليه واستكمال شروطه

معاليات

زمنه يسلكون مسلكاً تبعاً لنظرية علمية فإذا تغير الزمان وانتشرت نظرية أخرى أضاءت الحقيقة وجوب على الناس أن يعملوا بالنظرية الأخيرة ويتركوا الأولى وهذا ينطبق عليه أيضاً اجتهاد النبي (ص)، فالعلم الحديث يوضح أن تأثير النخل لابد منه حتى يحمل فما لم يؤبر لا يحمل كما أن المرأة ما لم تبلغ لا تحمل، فإذا اجتهد النبي (ص) وقال إذا تركتم النخل من غير تأثير حمل فشان اجتهاده في ذلك كشان اجتهاد سائر الأنوار ولم يكن مصدر كلامه وحياناً من الله حتى يجب تصديقه ولذلك قال «إنما هو ظننته وأنتم أعلم بأمور دنياكم».

وكذلك الشأن في كل ما يتعلق بأمور لباسه (ص) فقد اتبع في لباسه لباس قومه وتقاليدهم وببيتهم فليست هذه بملزمة أبداً وهو (ص) لا يرى أنها ملزمة فإذا كان يلبس العباءة والتقباء ويحلق شعره ويلبس العقال ويركب البعير فهو ذلك لهاشتون زمانه (ص) ولا يمنع هو أن يلبس غيره البذلة أو الطربوش أو القبعة إذا كانت عوائد الناس وتقاليدهم تدعوه إلى ذلك.

والاجتهاد على العموم في بلد بارد غير الاجتهاد في بلد حار، والاجتهاد للحضريين الذين فشت بينهم نظريات العلم غير الاجتهاد في قوم بدويين لم يتحضروا أو تحضروا حضارة قليلة، ولذلك كانت معاملته (ص) لسكان البدو غير معاملته لسكان الحضر، ومعاهداته للبدويين غير معاهداته للحضريين، لعله بالفروق بينهما فإذا تغير الزمان والمكان تغير طبعاً الاجتهاد.

وكان النبي (ص) أعلم بذلك وأشدتهم تطبيقاً له، وهو مبدأ سليم ولو لا فساد الزمان وضيق العقول لأبدع المسلمين في النظريات العامة فإذا كان الناس في

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه كان بعض تشریعه عن طريق الوحي وبعضه عن طريق الاجتهاد، غایة الأمر ان اجتهاده كان أقوى لأنه كان أعلم بمقاصد الشرعية ومراميها، ثم اجتهاده على نوعين: نوع يتعلق بالأحكام الكلية وهذه واجب اتباعها، ونوع كان يتعلق بأمور جزئية، تتعلق بحالة لها ظروفها الخاصة من زمان ومكان فإذا تغيرت الظروف تغير الحكم، ومنها أمور تتعلق بالدنيا واجتهاد النبي فيها غير ملزم لأن كسائر القادة واجتهاده لا يتعلق بأمور شرعية وهي هذا قال (ص) إنما أنا بشر مثلكم إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإنما أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر وقوله (ص) لما أمر الناس بأن يترکوا النخل من غير تأثير فلم ينجح «إنما ظننت ظناً ولا تؤاخذون بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنه لم أكذب على الله» ومن هذه المسائل مثلاً مسائل الطيب ومسائل الطعام وما يحبه رسول الله وما لا يحبه من الملابس مثلاً، وقد خفي هذا التفاوت بين النوعين على كثير من الناس فسووا بينهما والتزموا بهما وأمروا الناس بالالتزام بهما على حد سواء حتى في المسائل الشخصية البحتة كحبه (من) للدباء وكراهته الشخصي لبعض الطعام، حتى لقد روى عن أحمد بن حنبل أنه أمتتنع عن أكل البطيخ لأنه لم يعرف عن النبي (ص) كيف كان يقطنه، وهو تزمر شديد وربما كان الحامل عليه عاطفة الحب لا قوة العقل، فالنبي (ص) يريد أن يكون اجتهاده هو في أمور الدنيا ليس ملزماً للناس، ومن ذلك النظريات العامة فإذا كان الناس في

للقياس قيمة . وقسم يقل من الحديث
 ويشرط فيه شروطاً قاسية كالمذى فعل
 أبو حنيفة ، واعتمد فيما وراء الكتاب
 والسنّة على الرأى والقياس وهكذا ، ولكن
 على العموم كانت هناك ظاهرة طيبة
 وهي حسن ظن كل مجتهد بالآخرين ،
 ولكن خلف من بعدهم خلف تعصب فيه
 كل ذى مذهب لمذهب ، ثم اشتهر النزاع
 حتى سفك الدماء ، وخررت بعض
 البلدان من جراء ذلك كالذى كان بين
 الحنفية والشافعية وكثيراً ما يقول
 ياقوت فى معجمه « إن بلدة كذا خربت
 بسبب الخلاف بين الشافعية والحنفية » ،
 وبالامس قرأت فى كتاب الهوامل لأبى
 حيان التوحيدى من أعيان القرن الرابع
 أى قبل أغلاق باب الاجتهاد ، سؤالاً فى
 هذا الموضوع وجده مسكوب يقول فيه
 « لما كان أحد الفقهاء يتضىء فى مسألة
 بحلها بىنى ما يضرنى فـ يـ قـ يـ أـ خـ
 بـ حـ رـ مـ تـ هـ » .

فأجابه مسقبه بأن ذلك قد يكون
 لاختلاف الزمان والمكان فقد يكون الشئ
 حالاً فى زمن وفى مكان حزاماً فى آخر ،
 وأجاب اجابة بدعة وهى أن الاجتهاد قد
 يكون مطلوباً لذاته ، أى أن يكون غاية لا
 وسيلة ، فإن الاجتهاد يمرن العقل ويكسب
 التجربة كالاجتهاد فى حل النظريات
 والتمريّنات الهندسية فلو أن ملكاً لعب
 بالكرة والصوجان سواء نجح فى اللعب
 أو أخفق فقد نجح فى تزيين أعضائه .
 وكالحكيم يأمر بيدفن شئ يأمر
 بالبحث عنه تظير مكافأة ، وسواء وجد
 أم لم يوجد فقد حصلت الغاية ، الفقهاء
 أنفسهم اختلفوا فى هذا الاجتهاد فمنهم
 من اكتفى بالاجتهاد فى المذهب أو
 المذهب ومنهم من أجاز الاجتهاد المطلق
 محيثاً بأنه لا معنى للنسخ فى القرآن

الاجتهاد أيضاً إبداع ولكن لله فى خلقه
 شئون وما أنت بمسع من فى القبور .
 وكذلك أجهد الصحابة والتتابعون
 فيما عرض لهم من شئون الحياة
 واختلفوا فى آرائهم كما اختلفوا
 فى سياستهم والسبب فى اختلافهم
 يرجع إلى أمور ، منها أن بعضهم قد
 يجتهد برأيه ولم يبلغه الحديث الذى ورد
 فى المسألة فـ يـ عـ مـ لـ الـ أـخـ رـ وـ بـ الـ حـ دـ يـ ثـ
 ويعمل هو بالرأى فىكون الخلاف . ومنها
 أن تكون المسألة ذات وجهين فيقيسها
 أحد المجتهدين على مسألة ويقيسها
 الآخرون على مسألة أخرى وتحوذلك ،
 ومنها أن بعضهم يكون قد رأى النسب
 على الله عليه وسلم عمل عملاً على وجه
 خاص فافتى فى ذلك ، ويكون الآخر لم
 يره فيفتى برأى آخر وأيا ما كان فقد
 كان اجتهادهم ساذجاً بسيطاً ، ليس فيه
 تعقيد كذلك الذى نشأ عن علم أصول
 الفقه ، وليس فيه فرض فرض لما لم
 يحدث كالذى فعله الحنفية فيما بعد .
 وعلى العكس من ذلك ، كان المالكية . فقد
 كانوا لا يفتون إلا فيما وقع من أحداث ،
 فلما جاء الفقهاء العراقيون فيما بعد
 عقدوا الأمور وجعلوا لها أصولاً وفرضوا
 الفروض وتخيلوا الخيارات ، وكثروا بينهم
 الاختلاف ومنهم من صع عنده الحديث
 ومنهم من لم يصح وقد كان تفرق
 الصحابة والتتابعين فى الأوصار المختلفة
 كبيراً وكل طائفة تحمل الى المصر الذى
 نزلت فيه ما سمعته من الأحاديث أو ما
 رأى من الأحداث ، فكان مصر يعرف
 حدثاً لا يعرفه مصر آخر ، وهكذا ، ولهذا
 زاد الاختلاف وكل عذر .
 ومن أسباب الخلاف أيضاً أن بعض
 الفقهاء يكررون من الحديث ويعتمدون
 عليه كل الاعتماد ولا يرون للرأى ولا



إلا هذافية تنسخ أيه لتفير حكمها
ظاهرهما أما إذا نص على العلة فيها فأن
الحكم يدور معها وجوداً وعدماً .
حسب الزمان والمكان .

وقد كان الإسلام من ثابت شريعيه
نظيرية التجديد ، ذلك أن البشر في تغير
مستمر فقد بشر النبي بأن الله يبعث
بعد عصر النبوة مجددين مصلحين
يرثون الأنبياء بالدعوة إلى إصلاح ما
أفسده الخاطلون ويكونون حجة الله على
الخلق وقد بشر النبي بأن الله تعالى
يبعث في الأمة على رأس كل مائة سنة
من يجدد لها أمر دينها وكان المجددون
يبحثون بحسب الحاجة إلى التجديد ،
فكان الإمام عمر بن عبد العزيز مجددًا
في القرن الثاني لما بلى بنو أمية
والخلقاً وما مازقوا بالشقاق وفرقوا ،
وكان الإمام أحمد ابن حنبل مجددًا في
القرن الثالث لما أخلف بعض بنى العباس
من لباس السنة باتباع ماتشابه من

وقد سأل أبو حيان مسكونيه سؤالاً
آخر بديعاً وهو «هل الأحكام الشرعية
متفرقة مع صالح العباد لا تخرج عنها ؟»
فأجابه مسكونيه بالإيجاب ، وخصوصاً في
المعاملات فإذا تبين أن توقيع
المعاملات لا يحقق مصلحة العباد فـ
وقت من الأوقات أجاز الاجتهاد تغيير
الحكم . ومصالح العباد كما تشمل
المحافظة على النفس والدين والمال كما
نص على ذلك الشاطبي في المواقف ،
وهذا واضح كل الوضوح في المعاملات
المدنية أما في العبادات فوجب أن تنفل
بما أمر الله بـ إذا لم نفهم علته مادام
رضاء الله في ذلك ، كما قال على بن أبي
طالب لو كان الدين بالعقل لكن المسئ
على بطن الخفين خيراً من المسبح على

العصور الأخيرة فإن المدينة الأوروبية
 قلبت الأوضاع رأساً على عقب وقد يكون
 بطيئاً كالفرق بين جيل في العصور
 الوسطى وجيل آخر، وقد أدرك الفقهاء
 ذلك وألف ابن عابدين رسالة في العرف
 والعمل به وهي رسالة قيمة كالمذى قال.
 انه في عصر من العصور كانت رؤية
 غرفة واحدة في البيت كافية لسقوط
 خيار الرؤية مني رأى فلما بنيت البيوت
 في المدينة الحديثة مختلفة الغرف كانت
 رؤية غرفة واحدة لا تسقط خيار الرؤية
 وأمثال ذلك كثيرة، وقد اضطر الشیخ
 محمد عبده أن يواجه مشاكل جديدة كان
 يستفت فيها ويضطر للإجابة عنها،
 كلبس البرنطية وأكل ثباش أهل الكتاب
 والتأمين على الحياة وإيداع المال في
 صناديق التوفير ونحو ذلك مما لم يكن
 معروفاً قبلي زمانه، وهذا كل عصر
 مقاييس وكل حدث يحتاج إلى فتوى، بل
 إن أهل عصر النبى (ص) وهو عصر
 واحد وصحبة، جيل واحد كان في ذمانهم
 النسخ فقال الله تعالى «ما ننسخ من آية
 أو تنفسها نأت بخير منها».

إن الإسلام يدعوا إلى تحرير العقل؛
 وكم نهى على العرب الذين لا يستخدمون
 عقولهم فلا يفقهون ولا يعقلون وكم نهى
 أيضاً على العرب تقليدهم لأبائهم وقولهم
 (إنما وجدهنا أباً ما نات على أمّة وإنما على
 آثارهم مقتدون) و مدح معاذ ابن جبل في
 استعماله مقله عند عدم النص وكم كان
 يستشير أباً بكر وعمر ابن الخطاب في
 رأيهما ويوانز بين هذه الآراء، ويقول
 عمر بن الخطاب كيف استعبدتم الناس،
 وقد ولدتهم أمهاتهم أحراها، وكان عمر
 بن الخطاب كبير الفعل راعي الفتن لم
 الكتاب بتفنيد الفتنة وابتلاءه تأليه،
 وقالوا كان الأشعري مجدداً في القرن
 الرابع بهذا المعنى والغزالى مجدداً في
 أواخر القرن الرابع وأول الخامس لما
 بزغت نزعات الفلسفه وزندقة الباطنية
 ، وكأن ابن حزم مجدداً في القرن
 السادس لما طفت الآراء على النوصوص
 الشرعية، وكان ابن تيمية وابن القيم
 مجددين في آخر القرن السابع وأول
 الثامن لما مرتبت البدع الفلسفية
 والكلامية والتصوفية والإلحادية تعاليم
 الإسلام، ثم ظهر مجددون آخرون في كل
 قرن - وكان تجديدهم منحصراً في قطر
 أو شعب. كالشاطبي صاحب المواقف
 والاعتراض بالكتاب والسنة بالأندلس،
 ولول الله الدھلوي والسيد محمد صديق
 خان في الهند ، والمولى محمد بن بير
 على البركوي في الترك ، ومحمد بن
 عبد الوهاب في نجد والشوکانی في
 اليمن، وقد كان المجددون أنواعاً منهم
 المجدد في العقائد الدينية والمجدد في
 الأمور الحربية والمجدد في الأمور
 السياسية كدعوة الشيخ جمال الدين
 الأفغاني والشيخ محمد عبده إلى
 الجامعة العربية ، والسر في التجديد أن
 العوامل الطبيعية الاجتماعية
 والسياسية تتغير كلما تغير الزمان، بل
 المسائل الاقتصادية من طرق البيع
 والشراء ونحوها تتغير كلما تقدمت
 الإنسانية فلابد من مواجهة هذه الأمور
 الجديدة بتشريع جديد وهذا ما يفعله
 المجددون في كل زمان وإلا ركبت الأمور
 وتغدر السير، والعادات والتقاليد
 تتغير بين جيل وأخر كالمذى نراه في
 الفروق بيننا وبين أولادنا وبيننا وبين
 آبائنا وهذا أمر طبيعي، غاية الأمر أن
 التغيير قد يكون عنينا كالمذى حدث في



يتثقف إلا بإسلام؛ ومع ذلك استطاع

أن يسوس فارس والروم، وهما الامتان
المتحضرتان سياسة خير من
سياستهما، وذلك بفضل عقله وفهمه
لإسلام الصحيح وكلياته، وكتب الفقه
في باب السير وال الحرب معلومة باراء

عمر، فلا يمنع الإسلام، والعقل من
البحث واكتشاف المجهول بالسير وراء
العلم وأخضاع الحياة للعلم والعقل إلى
آخر حد، ولم يخرج المعتزلة عن الدين
بسيرهم سيراً واسعاً مع العلم، فكانوا
لا يؤمنون بظهور الجن ويحكمون العقل
في الحديث ويقولون بخلق القرآن،
وي忘رون الخرافات والأوهام، ومع ذلك
فأشار إلى اتفاق على إسلامهم، غاية الأمر
أنهم نادوا بأن هناك دائرة للعلم دائرة
آخر للدين لا يمكن للعلم فيها أن يثبت
أو أن ينفي، لانه لا قدرة له عليها، فكل
ملكة الغيب من ملائكة وجن ويم آخر
ووحي ونحو ذلك لا يقدر العلم على تقديرها
أو إثباتها، فهذه هي وظيفة الدين لا
العلم، والإيمان بها من جهة الدين لا
يتنافى العلم ولا يقيده، والعلم عاجز كل
العجز عن ابادة رأي فيها، فكيف
يستطيع العلم أن ينقى جنا أو أن يقول
به، أو أن ينفي الحساب يوم القيمة أو
يدلل عليه؟ أن هذه كلها أمور غريبة
ترك للدين الحكم فيها، كما ترك للعلم
والعقل لم يدعم بالقلب

الساقية

الْمَلَكَاتُ

الْمُؤْمِنُونَ

- فريدة النقاش - أمير العمري - ماجدة موريس - من التلاميذ -
صبرى فواز - حلمى سالم.

«نواخذ» شريف حاته المواربة

فريدة النقاش

مؤلفها خمسة عشر عاماً من شبابه بين القضبان أو خارج الوطن هارباً وملحضاً من الشرطة الملكية تارة ومن الشرطة الناصرية تارات.. وفي كل الحالات كان ملفه محفوظاً في دواليب الشرطة. وحين ضاع ملفه الفعلى ذات يوم «ألفي وجوهى الرسمى وموالدى»، ومدد الخدمة السابقة التى أحتاج إليها للاستفادة من قرار عبد الناصر باعتبار فترات السجن ضمن الخدمة للذين اعتقلوا أو سجنوا لأسباب سياسية.

وكان هو الطبيب المتفوق فى دراسته الذى خطر له ذات يوم أن يهب حياته كلها للطلب لكي يخدم الناس قد أفرج عنه فى نهاية ١٩٦٣ بعد قضاء حكم بالسجن

ملف إذن أنا موجود»..
 بوسع من يقرأ مذكرات الدكتور شريف حاته التى أصدرها مؤخراً بعنوان «النواخذ المفتوحة» أن يجد فى هذه الجملة المقتضبة مفتاحاً للعالم الشاسع المعقد والمتناقض الذى يطلعنا عليه الكاتب بصراحة لا تخفيه القسراً فى بعض الأحيان، والغموض فى أحيان أخرى رغم أن النواخذ المفتوحة على العالم الداخلى، وتعدد الثقافات وتناقض المشاعر الإنسانية وتعقيد العلاقات الطبيعية والعلاقة بين الدول المستمرة (فتح الميم) ومستمرتها..

ولعل المذكرات نفسها أن تكون ملفاً شاملـاً لسيرـة حـيـاة خـاصـة جـادـاً قضـىـ.

يستحوذ على اهتمامى...».

وفيما بعد سوف يتبنى لناته انخرط في منظمة شيوعية لكن يحقق هذه الرغبة في الانتماء لشئ أكبر من ذاته وأوسع من قلقه، هو الذي لم ينس أبداً إزدواجه الثقافي وغربته، وكانت له قبل ذلك تجربة فاشلة في محاولة تغيير دينه ليصبح مسيحيًا حيث تلقى تعليمه في مدرسة للبروتستانت اختارتها لها أم، وفشل محاولته في الدخول إلى الكنيسة البروتستانتية وارتداء ملابس القساوس مدى الحياة».

كانت رغبة عارمة في التحقق بشكل دافعه الرئيسي، هو الذي كان «ثمرة هذا اللقاء بين شخصين يكاد لا يجمع بينهما إلا اختلافهما إلا اختلافه البين...».

ولكن هذه الأم الغريبة التي هزت غربتها بالعمل الدموي أو رثته العناد والذى كثروا ما يتصرف به أولئك الذين يعيشون في عزلة عن الآخرين، ويتبعون نمطاً خاصاً في حياتهم».

وفي هذا النمط الخاص من الحياة تخلص «شريف» من كثير من الأوهام والغرافات، وعلمه الدأب أن الإنسان يمكن أن يصنع حظه.

«ولدت يوم ١٢ سبتمبر ١٩٢٢، ولم أؤمن مثل الكثيرين في الأوساط التي انتهى إليها بآن الرقم ١٢ يجلب الحظ التعبس»، وإثر أزمة روحية وصحية طاحنة، إذ أصبحت الحياة بلا رائحة وبلاطعم، غلب فيها الحذر، والحرص على كل شيء، دخلت في حارة سد، فقررت أن أتمرد على كل التعليمات، وأن أهاكناً أتقلب بين الشيء

عشر سنين مع الأشغال الشاقة لافاجأ باننى أصبحت من ساقطى القيد».

سوف تطارده هذه الحكاية طيلة عمره لابتفضيلاتها الواقعية وإنعدالاتها ومفزاها، ولعله هوننفسه لا يدرك أن الشعور العميق بالهامشية بالغرفة والعزلة، والعزلة والذي يبرر أحياناً بالليل للتأمل الوجوبي وأحياناً أخرى بازدواجه الثقة يعود في جانب منه لهذا الظلم الفاحح الذي وقع عليه وعلى جيل من المناضلين وجدوا أنفسهم.. بسبب الصراعات السياسية الطبقية وقمع الحرريات العامة مقيدين ومحاصرين من كل الجهات، فلاظريقهم للشعب سالك، ولا توازنهم مع أنفسهم ممكناً، ولا المجتمع البرجوازي يفتح لهم طريقاً يسعدوا فيه.

ينتمي شريف حاته لأسرة إقطاعية تذهبورت، جاءت من الجزيرة العربية إلى صعيد مصر ثم نزحت بعد نصف قرن إلى «القضابة» في محافظة الغربية، وهو اسم لجذور فرعونية (لا يقول لنا الكاتب معناها) تزوج أبوه أشناه البمثة الدراسية من امرأة إنجلزية تنتهي لأسرة فقيرة كبيرة العدد وكان شريف هو أول ابنائها، وصاحب هذه الانتماء المزدوج طيلة حياته «فتأن لا هنا ولا هناك، لأنجليزى ولا مصرى، وإنما خليط من تأثيرات مختلفة، أنا مزيج حر غير منتم، ورثت القلق وعدم الرضا من البداية...».

ولكن في الوقت نفسه كنت أعاتى ظلماً من نوع آخر، تلك الرغبة في الاندماج في الانتماء الشئ أكبر

العالمية الثانية، تعد لاحتتمال حدوث حرب شوارع مع الألمان في القاهرة، أو مع المصريين إذا ما تمردوا على الاحتلال.

ذلك يحكي بصراحة منقطعة النظير واقعة اغتصاب خادم أسود له، وهو طفل صغير، وما ولته هذه الحادثة الفظيعة من شعور بالخوف والإثم والندم وانتظار العقاب الذي كان يلاحقه.

ورغم أنه لا يحدد لنا مصادر معرفته بالاشتراكية إلا أن ننسى تحيطه أن نستشف من التجارب الإنسانية التي كان شاهداً عليها أنه التحق بالمنظمات الشيوعية لافتحسب بحشاعن دور «بطولة» وإنما كان مدفوعاً أيضاً بالألم الذي استشعره، إزاء بؤس شعب وإنهاكه لكن يوفر الحد الأدنى الذي لا يستطيع غالباً أن يوفره.

الفلاحون ليس لديهم فسحة من الوقت للجلوس في «مقهي بدوى» لأن عملهم يمتد من بزوغ النهار حتى سقوط الشمس خلف خط الأشجار البعيد، وليس لديهم ثقدود لشراء قدر من البن المطحون بالجهاز أو الشاي الأسمر بالنعناع، وهم لا يعتقدون الصنفات، أو يفكرون في الاستمتاع بتنسيم العصارات في شهر رمضان.. أو باللون الغروب تشتعل أو تنطفئ «في السماء» في ومهمل كله عمل، وهم لا ينتبهون إلى هذه الأشياء، وإنما يلتقطونها على أطراف الحس دون أن تدخل دائرة الإدراك.. إنه جزء طبيعي من الحياة، وإذا استنشقوا هواء الصباح في تأمل صامت فإنما لأن التنفس ضروري للحياة ولأنهم يخلصون أنفسهم بالتدریج من ثقل الليل والسوداء».

ونقيضه، من الانضباط إلى المفارقة، من الروح العملية إلى الإحساس والاندفاع الحmasi».

فالطبيعة هي الحياة.. هي ممارسة القدرات التي أعطيت للإنسان، وكان لابد أن تستعيد أمتعاني قدراتها على الاستطعم، والهضم، فقررت أن أتناول كميات متزايدة من المواد الغذائية التي منتها عن الطبيب في البداية حدث لي بعض الارتباك، ولكن بالتدريج تعافت.

أكدت تأهل أمتعاني طبيعية علمتني هذه وظائفها بطريقة طبيعية.. فلما تبasher التجربة شيئاً هاماً.. أن العقل والجسم يستطيعان التغلب على الضعف أو المرض بعملية إعادة تدريب لقدر اهتماماً فهما يمتهنان بحيوية يصعب إدراك أبعادها إلا إذا وثقتنا بها».

تنسم الكتابة بالسلامة والتدفق بالصدق والصراحة في مرحلة الطفولة الأولى يحكي عن اكتشافه الأولى لجسد المرأة وتعرفه عليه عبر خالت «روزى» التي علمته «أيضاً معنى الله»، وفي المدرسة كان حريصاً على إرضاء الناظر «أليس هو الذي ميزنى عن الآخرين» واختارنى لكى أقرأ من «الإنجيل» والتوراة عندما تجتمع المدرسة للصلوة .٩٩

كنت أبحث بحماس عن عمل عظيم أقوم به، عمل في «فداء وبطولة» وهو لا يخفى فيما بعدحقيقة أن الناظر الذى كان يعمل لحساب المخابرات البريطانية وذا رتبة مالية قد جنده.. دون أن يدرى شريف بطبيعة الحال.. ليساهم فى رسم خرائط دقيقة للقاهرة، أثناء الحرب

وفي تجربتـ كطـ بـ بـ رـ وـ اـ جـ هـ نـيـ «ـ عـلـىـ بـحـقـيقـةـ لـمـ أـكـنـ أـدـرـكـهـ بـأـوـضـوحـ حـتـىـ هـذـاـ لـوـقـتـ سـبـعـ سـنـوـاتـ مـنـ الـدـرـاسـةـ وـالـتـعـبـ سـبـعـ سـنـوـاتـ مـنـ سـهـرـ الـلـيـالـيـ وـحـفـظـ الـمـعـلـومـاتـ ثـمـ أـطـبـاءـ وـمـرـضـاتـ وـأـجـهـزةـ أـشـعـةـ وـحـقـنـ وـعـيـنـاتـ تـفـحـصـ تـحـتـ الـمـيـكـرـوـسـكـوبـ ..ـ مـؤـسـسـةـ بـاـكـمـلـهـاـ ..ـ وـمـعـ ذـلـكـ فـائـنـاـ عـاجـزـ عـنـ عـلاـجـ هـذـاـ الـمـرـيضـ الـذـيـ تـنـتـرـهـ أـسـرـتـهـ لـكـيـ تـاكـلـ وـتـلـبـسـ وـتـنـامـ تـحـتـ سـقـفـ ..ـ فـلـمـاـذـ هـذـاـ الـجـزـ؟ـ

كان على قد فتح له الباب للتأمل في مجلـ النظام الاجتماعي عن حماية أحـلامـ الناس الصغيرة..ـ هو المـكـوجـيـ الـبـسيـطـ الذي أـذـتـ حـرـفـتـ إـصـابـتـهـ بـالـسـلـ:ـ قـلـتـ لـعلـ:ـ أـرـفـعـ مـلـابـسـكـ وـوـرـيـنـيـ صـدـرـكـ ..ـ وـضـعـتـ السـمـاعـةـ عـلـىـ صـدـرـهـ التـحـيلـ ..ـ الـضـلـوـعـ بـارـزـةـ تـتـضـخـمـ كـالـعـقـدـعـنـدـ أـطـرـافـهـاـ وـالـجـلـدـ سـاخـنـ تـحـتـ أـصـابـعـ ..ـ يـحدـقـ فـيـ وـجـهـيـ بـعـيـنـيـهـ الجـمـيلـاتـ ..ـ أـخـذـتـ أـنـقـلـهـاـ مـنـ مـكـانـ لـمـكـانـ ..ـ أـتـبـعـ صـوتـ تـنـفـسـ الـعـمـيقـ ..ـ قـلـتـ:ـ لـاـ ..ـ فـعـلاـ ..ـ تـحسـنـ كـبـيرـ،ـ أـنـ شـاءـ اللهـ تـخـرـجـ قـرـيبـاـ فـوـجـئـتـ بـهـ يـقـولـ:ـ «ـ مـاـقـدـرـشـ أـسـتـنـ أـكـثـرـ مـنـ كـدـهـ ..ـ العـيـالـ حـايـكـلـواـ مـتـنـ ..ـ»ـ

كان لا بد إذن من أن يتـحرـكـ القـلـبـ أـيـضـاـ يـعـرـفـ الطـبـبـ طـرـيقـهـ إـلـىـ النـضـالـ الشـيـوعـيـ ثـمـ لـيـدـفـعـ بـعـدـ ذـلـكـ هـذـاـ الشـمـنـ الـفـادـحـ لـاختـيـارـهـ وـنـضـالـهـ ..ـ وـيـقـيـتـ لـهـ دـائـمـاـ رـغـبـةـ مـجـنـونـةـ «ـ رـغـبةـ فـيـ التـعـوـيـضـ عـنـ كـلـ مـاـفـاتـ رـغـبـةـ فـيـ السـفـرـ إـلـىـ اـنـهـاءـ الدـنـيـاـ ..ـ فـيـ الصـدـاقـةـ الـمـسـتـحـيـلـةـ ..ـ فـيـ الرـقـصـ حـتـىـ الصـبـاحـ ..ـ

في الهروب من كل التزامات الحياة..ـ في الحبـ..ـ في الجنسـ يـمارـسـ بـبـرـاءـةـ وـيـغـسـلـ الآـثـامـ فـيـ الشـهـوـةـ تـؤـخـذـ وـتـعـطـيـ بـسـخـاءـ فـيـ كـتـابـةـ ماـ أـرـيدـ ..ـ وـقـولـ مـاـ أـرـاهـ ..ـ فـيـ غـسـلـ الـعـقـلـ وـالـجـسـمـ مـنـ آـثـالـاـلـ الإـرـثـ ..ـ وـفـيـ الـفـحـكـ حـتـىـ الشـمـالـةـ ..ـ

يـقـلـوـنـ أـنـ هـذـاـ مـسـتـحـيلـ ..ـ وـهـمـ عـلـىـ حـقـ ..ـ وـلـكـنـنـيـ مـازـلـتـ أـحـتـفـظـ بـالـحـلـمـ ..ـ رـبـاـ يـطـوـلـ بـيـ الـعـمـرـ ..ـ يـقـلـوـنـ لـىـ أـنـتـ وـاهـ أـوـأـنـانـيـ أـلـاـ تـرـىـ مـاـهـولـكـ مـنـ بـؤـسـ؟ـ

إـنـ لـحـلـمـ شـرـيفـ حـتـاتـهـ وـجـهـيـ ..ـ سـرـعـانـ مـاسـيـلـتـقـيـانـ لـأـنـهـمـاـ مـاـ تـعـبـرـ عـنـ التـوقـ لـلـحـرـيـةـ بـأـشـمـلـ مـعـنـيـ ..ـ الـوـجـهـ الـأـوـلـ هـوـ تـحرـيرـ الـبـشـرـ جـمـيـعـاـ مـنـ كـلـ الـخـاـوفـ وـالـقـيـودـ،ـ وـالـانـطـلـاقـ إـلـىـ الـأـنـاقـ الـرـحـبـةـ لـلـتـجـرـبـةـ الـإـنـسـانـيـةـ وـالـثـانـيـ حـلـمـهـ الـشـخـصـ يـفـرـخـ يـدـوـمـ لـيـعـكـرـ صـفـوـهـ شـيـءـ هـوـ فـيـ الـعـمـقـ إـحـسـانـ بـسـيـطـ بـالـحـيـاةـ ..ـ لـأـنـسـيـ هـذـهـ الـاـشـيـاءـ الـبـسيـطـةـ فـاـلـاستـمـتـاعـ الـحـسـ سـعـادـةـ وـجـوـدـيـةـ ..ـ سـعـادـةـ نـابـيـةـ بـالـحـيـاةـ الـبـدـائـيـةـ ..ـ تـجـلـعـنـاـ نـعـيـقـةـ الـحـقـيـقـةـ الـتـىـ تـفـوـقـ كـلـ الـحـقـائـقـ فـيـ أـهـمـيـتـهاـ ..ـ وـهـىـ أـنـاـ مـازـلـنـاـ نـعـيـشـ ..ـ وـطـالـمـاـ أـنـاـ مـازـلـنـاـ نـعـيـشـ فـلـانـ كـلـ شـيـءـ يـظـلـ مـكـنـاـ ..ـ

وـهـوـ يـصـفـ الـمـظـاهـرـاتـ الـتـىـ اـنـدـلـعـتـ فـيـ ٢١ـ فـبـراـيـرـ سـنـةـ ١٩٤٦ـ،ـ وـقـدـ كـانـ مـصـوـرـاـ فـيـ الـلـجـنـةـ الـوـطـنـيـةـ لـلـطـلـبـةـ وـالـعـمـالـ،ـ بـنـفـسـ الـاحـسـاسـ بـالـحـيـاةـ وـالـوـهـجـ الـخـاصـ فـيـ كـوـنـنـاـنـعـيـشـهاـ ..ـ فـتـجـمـعـاتـ الـبـشـرـ أـنـهـارـ،ـ عـلـىـ عـكـسـ مـنـ وـصـفـهـ لـهـ كـطـبـيـعـةـ فـيـ مـوـاـقـعـ أـخـرىـ حـسـبـ حـالـتـهـ الـمـازـاجـيـةـ ..ـ «ـ الـأـنـهـارـ تـصـبـ فـيـ الـمـيدـانـ الضـخـمـ ..ـ

الْنَّوَافِذُ الْمُفْتُوحَةُ



البداية أن «شريف حتاته» منحاز للمرأة متاعف مع قضيتها ربما بسبب هذا التأثير الكبير لشخصية أنه التي علمته الكثيرة وتفانلت لإسعاده هو وأشقائه، بالرغم من أنها لانكاد تتعرف على هؤلاء الأشقاء والشقيقات وسط الحشد الهائل من الشخصيات التي توقف أمامها..

كانت أمها طيلة حياتها شعر بالظلم.. إن عمرها ضائع في خدمة الأطفال والزوج خصوصاً بعد أن اكتشفت أنه تزوج عليها في السر...»

وفي كل تجاريته النسائية.. هناك هذا الاحترام الذي يرفع المرأة إلى مستوى الإنسان الكامل على عكس كثير من

وتتجمع كالبحر.. أنهار من مختلف الألوان.. نهر أزرق يتدقق من شبرا الخيمة.. من ضواحي صناعية ومن الشمال.. ونهر أصفر يأتي من عناء في الترام شارع ماسبيرو، ونهر أحمر ينهر كالشلال من شارع الأزهر وهي المسين إلى العتبة، ثم يتفرع بين شوارع وسط المدينة ليتجمع في الميدان، ونهر أبيض يأتي من مستشفى قصر العيني وكلية الطب سائراً في شارع القصر العيني مثل أسواب الحمام، ونهر يتسرب ضعيفاً هزيلاً قبل أن تتضخم مياهه السوداء (البوليس) كالغضب القاتل من بطن الأرض..»

سوف يكتشف قارئ المذكرات منذ

بعضها بطريقة رواية محبوبة شأن خالته وزوجي وعم حسين سائق العربة التي يجرها جوادان، وهو يتوقف عند الصفات التي تكون لخدم البيوت الذين يقضون حياتهم فيها شأن عم حسين..

«أما الخدم منهم بالطبع من بسطاء الناس، لا يقتربون أحياناً من وضع العبيد والأرقاء، لا يتبدل وضعهم لأنفسهم يكتسبون بعض الحقوق المعنوية، والامتيازات نتيجة السنين الطويلة التي يقضونها في خدمة أولياء نعمتهم وفي السهر على راحتهم.. ففيما بينهم وبين أفراد الأسرة نوع من الألفة والوفاء.. وفاما العباد يطالعهم...» وعم حسين لا يقود العربة فقط وإنما يصاحب الجبار فيفتح لفتى الصغير باباً مدهشاً على خبرة جديدة «تأمل الجبار وهى تتتساق في الخلبة الكبيرة أراقبها أسبوعاً بعد أسبوع وشهرًا بعد شهر».. أطارد عم حسين بالأسئلة عنها، وعن طباعها..

كذلك يتوقف أمام أنساته من الأطباء الذين ساعدوه في سنوات السجن الطويل مصطفى الشربيني و وأنور المفتى وأبراهيم زكي لندرهم أمامنا كشخصيات حية من لحم ودم تتدفق إنسانيتهم وتبرز شهامتهم في الزمن الصعب دون أن يكون لهم ارتباط من قريب أو بعيد بالاختيار السياسي لتلميذهم وصديقهم وكذلك هي شخصية عم عاطف القوى الحنون، الذي كان يوالى زيارته في السجن، وهو الوحيد من بين أفراد عائلته الغنية الممتدة الكبيرة بالإضافة لأبيه - الذي اعتنى به

الكتاب الذين ينظرون للمرأة نظرة فيها تعالٰ وإشراق..

وهو يحكي لنا عن مسرحية ميديا ليوربيديس «تشعر بتفهمه لقصة المرأة التي قتلت أطفالها، رداً على القهر والخيانة التي لاقتها من زوجها، حين شاهد الفيلم «حربة امرأة» الذي قامت ببطولته ميلينا نيركوري يكتب «لا أنسى هذا الفيلم.. ولا الألم الذي شعرت به وأناأشاهد الداشر في السجن.. سألت نفسي.. كم من الرجال يدركون ما يفعلونه بقلب الزوجة والأم عندما ي يقدمون على الزواج بغيرها، أو على ما يقدموه بإقامة علاقة بأمرأة أخرى بينما تحيا هي في عالمها الحدّ.. لاعمل لها ولأطمحوا لاحياء خارج نطاق الأسرة والزوج...».

ورغم ذلك استمدت بعض أحكامه بنزععة عرقية بيولوجية عن البشر عموماً والنساء خاصة بالرغم من أن نتائج العلوم نفت كل هذا، منذ زمن إذ يقول «التكوين الجسماني للإنسان يعكس فيه أشياء، وهناك تلازم بين الجوهر والشكل في الحياة كما في الفن.. ولذلك ليس من قبيل الصدف أن بعض الناس يبدون كالطيور الجارحة وأن بعض النساء يشبهن القطط.. وهي أيضاً بانتظار تتناقض مع بعض أهم استخلاصاته العامة ومنها أن الإنسان هو ابن التربية والتعليم والظروف الاجتماعية..

يتوقف الكاتب طويلاً أمام عدد من الشخصيات التي لعبت دوراً بالسلب أو الإيجاب في حياته، والتي قدم لنا

والموظفين والمدرسين في مختلف مراحل التعليم الابتدائي والثانوي وكان هذا التحالف في بداياته، يخوض معاركه الأولى، ويذكر في توسيع صفوته إلى الأقاليم والفلاحين في الريف كان جنينا ولد عملاقا يستطيع الكثير إذا توفرت له القيادة السليمة.. ولكن الأيام أثبتت أنه عملاقا ولد بلا رأس مجربة وموحدة تستطيع أن تخطط له بالسرعة والفعالية المطلوبتين...».

ويضيف «لم تكن هناك دراسة لوسائل تنفيذ هذه الشعارات، كيف يمكن أن يتسع التحالف الذي تكون بين الطلبة والعمال، وكيف يمكن أن يضيق طبقات وفئات جديدة، كيف يمكن أن يتحول إلى أشكال تنظيمية ملائكة المدن، في المصانع، والآحياء والهيئات ومؤسسات ومعاهد التعليم؟..كيف يتنتقل إلى الأقاليم والريف ولم تكن هناك دراسة للمعارك اليومية التي يجب أن تخوضها القوى الجديدة حتى يتحقق ذلك، وحتى تستمر الحركة الشعبية، وتنمو وتمارس ضغوطها تزايده على الجماهير فالجماهير لا تستطيع أن تواصل الإضراب والتظاهر دون أن يصيّبها الإرهاق، كيف تتسع الحركة الوطنية على الدوام بعشرات المطالب والأساليب وعن طريق الارتياح لمطالبات الناس اليومية».

ويضيف «ولذلك استطاع صدقى باشا أن يوجه ضربته للرأس اليسارى المفكرة قبل أن يلتقي به ما سماه «الحماية الجماهيرية».. وكان شريف

وحرمن على مساعدته في السجن. كذلك يتوقف طويلاً عند شخصية سياسى قديم رافقه منذ أيام الجامعة هو عثمان جبر الذى صادق كل المنظمات ولم ينتم أبداً لواحدة منها بل وزنى لنفسه تنظيمياً خاصاً ودخل مع الرواوى فى شبكة من العلاقات المتناقضة المعقدة إلى أن تجاهل معرفته بعد خروجه من السجن، وكان عثمان جبر فى ذلك الحين يتقلّد منصبهما.. كذلك كان استاذ التشريح الانجليزى الذى علمه أن أهم سؤال لأبد أن يسأل دائمًا وأبداً هو لماذا؟ ولكن هذا الاستاذ نفسه كشف عن وجه استعماري قبيح.

ولعل أهم الخبرات السياسية التى تقدمها لنا هذه المذكرات تمثل فى متابعته للطريقة الفرعية التى تشكلت بها اللجنة للطلبة والعمال سنة ١٩٤٥ وتوصل نشاطها حتى انتفاضة ١٩٤٦ التي وصف لها مظاهراتها، وكيف كانت هذه اللجنة الوطنية ولجانها الفرعية تعبيراً عن احتياجات جديدة نمت في صفوف الحركة الوطنية تحت قيادة اليسار الخارجى على كل الأحزاب التقليدية..

«كانت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال هي التعبير العلى الأساسى عن القيادات الجديدة، وتجسيد التحالف الشعبي الناشئ بين الطبقات والطبقات الكادحة فى المدينة، بين البرجوازية الصغيرة المتمثلة فى طلبة الجامعة والمدارس الثانوية، وبعض من فئات أخرى مثل معيدى ومدرسى الجامعات

مترهلة تضييع في بها الخطاب التالق والوهج وسط ركام من التفاصيل غير الضخورية، والاسترسال أحياناً في صفات أشخاص أو أشياء ليست هي قلب الموقف أو الحدث أو أن علاقتها بالشخصية المحورية دلالتها هشة وهي خاصية في كل كتابات شريف حاته الروائية حيث يتدفق القلم دون ضبط ويفعل ما يشاء، كذلك تتكرر بعض الواقع دون منطق للتكرار لأن الانتقال بين الفقرات والمراحل المختلفة لا يتم وفق خطوة واضحة المعالم بل عشوائياً في الغالب حيث تصعد شخصية ما من بطن خفي في ذهني» وأن كانت هذه الطريقة محببة، وملائمة تماماً لكتابه المذكرات إلا أنها أحياناً ماتربك القارئ الذي سيكون عليه أن يشارك في بناء المذكرات وإعادة ترتيبها.

ويتنسى المؤلف في بعض الأحيان أنه يكتب مذكرات لي يقدم شهادة فيها أسماء الأشخاص والأماكن الحقيقة فيسمى زوجته الدكتور نوال السعداوي «نجوى» ثم يعود فيسميهما باسمها وهي واقعة تطعن في مصداقية المذكرات التي سبق وصفها بالصراحة، هل هي صراحة منتفقة؟

لعل الذين يعرفون الدكتور شريف حاته عن قرب سوف يجيبون بنعم على هذا السؤال، خاصة حين نعرف أن أسقط تماماً واقعة يعرفها الجميع عن زواجه من مناضلة شيوعية يهودية كانت تنتمي لجمعه هنري كوربييل الذي لم يتحدث عنه الكاتب تفصيلاً أبداً بالرغم من انخراطه في التنظيم لحزبي الذي أنشأه كوربييل

حتاته يطرح ذات الأسئلة التي تواجه حركة ومنظمات اليسار في اللحظة الراهنة، حيث تطرح جميراً على نفسها مهمة التحول إلى أحزاب ومنظمات جماهيرية يستحيل استئصالها. وفي ذلك الوقت كانت حركة الأخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا في أسماعيلية سنة ١٩٢٨ قد توسيع وانتشرت قواعدها وتكونت خصائصها التي مازالت حتى الان، وقد تكشفت هذه الخصائص للكاتب عبر التجربة العملية في النضال الوطني ضد الاحتلال والقصر والحكومات الرجعية.

وفي الجامعة حين تصاعدت الحركة المعاشرة لهذا الثلاثي الذي يخنق البلاد لم أرتع بالذات لمثل الإخوان المسلمين بطرابيش لهم وأسهامهم، ومنادיהם البيضاء يمسحون بها العرق كانوا يتحدون كثيراً عن أشياء حدثت في الماضي البعيد ويدافعون عن أفكار لا تمت إلى الثقافة التي أعرفها بصلة كلّاً منهم يدور حول الخمسمائة الفسق، والأخلاق وضرورة التمسك بتعاليم الإسلام إذا أردنا أن يخرج الانجليز.. أشعر وكأنهم جاءوا من زمان آخر، مثل أهل الكهف طلعوا علينا...».

يمتلئ الكتاب بالخطاء اللغوي الكثيرة لدرجة مستفزة، مع أخطاء في الأسماء تدل على أن علاقته الكاتب بالثقافة المصرية الحديثة هي علاقة هشة للغاية فهو يسمى العقاد «محمد العقاد» وهناك تكرار يصيب القارئ بالملل في بعض الأحيان لأنّه يجعل المذكرات

وهو «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني».

لقد غادروا البلاد لفترات طويلة انقطعوا فيها الفحص عن العمل السياسي التقدمي وإنما أيضاً من الحياة الثقافية التي كانوا جزءاً منها قبل الرحيل ثم عاد من عاد ليجد أن قوى جديدة قد تبلورت في الساحة فالحياة لا تتوقف وأن أسماء جديدة بُرِزَت وأخذت تلعب أدواراً متزايدة في الحياة السياسية والثقافية وبدأ كلّوا أن كلّ شيء قد جرى ترتيبه بدونهم هم الذين قضوا بعض أجمل سنين العمر في السجون والمعتقلات والمنافي وبدلاً من أن يملأهم هذا الجديد بالفرح ويؤكّد لهم أن بعض مارا هنوا عليه كان صحيحاً وجدّراً بالتضحيّة التي بذلوها وأن أجیالاً وقوية جديدة تأتي على نفس الأرض التي مهدوها، بدلاً من ذلك استسلم بعضهم للشعور بالماراة التي لم تخل من البغضاء ويمكن أن يدهش المرء كيف أن الكاتب الذي برع في تحليل شخصياته تحليلاً تفصيلاً عميقاً لم يلتفت لهذه المشاعر والنظارات.

كذلك ينتقد شريف حاتاته هؤلاء الشيوعيين الذين سارعوا بالانضمام إلى التنظيم الطليعي الذي أنشأه عبد الناصر كنواة لحزبه يتغلب عبره على الصعاب التي واجهت تجربة الاتحاد الاشتراكي المترهل وحتى شريف بعض التجارب الواقعية التي جعلته يتبيّن أن بناء التنظيم الطليعي يستدّيوبون في الشيوعيين وهو يضمونهم إلى التنظيم الطليعي وفي الواقع الفعلى كان الدكتور شريف حاتات من أوائل

ذلك فإن شعوره بالماراة تجاه ما أسماه إهمال اليسار له وشكواه الدائنة من الجحود جعله يتحدث عن الفكر الاشتراكي نفسه حديثاً مغلطاً وغير علمي حين يقول «أصارع ضد الجمود الذي استولى على في بعض المراحل، نتيجة التربية، وحياة السجن وافتقاد الفكر الاشتراكي الذي اقتتنعت به للجدلية المطلوبة، فهل ياترى هو الفكر الذي يقوم على أساس متين من المادية الجدلية والتاريخية، من المنهج والنظرية هو المقصود أن ممارسة بعض الأشخاص أو حتى المنظمات هي التي انتصرت إلى تلك الجدلية. أم أنها الروح المروّرة لأسباب لاتتم يصلة للتفكير بل بعض وقائع الحياة هي التي دفعته لكتابه مثل هذه الكلمات.

وفي تصوّري أن من يقدر له أن يتعرّف على البعض جوانب تجربة شريف حاتات سوف يكتشف بين السطور أن المراة الفائرة تعود في جانب منها لحقيقة أنه سافر إلى الخارج لمدة طويلة وهو ما فعله كثيرون من المناضلين الشيوعيين لأسباب مختلفة وعاد ببعضهم وأصل البعض الآخر العيش في الخارج وحين يلتقي بهم هنا أو هناك تختلف من بعضهم تعبيّراته تفصّح عن هذه المراة الفائرة وكأنهم مهمشون بعتمد من جهة ما.

واستكمال أخرى، وإضافة هذه الرحلة الشاقة الممتعة التي قطعها، شريف حناته لتصبح رحلة جيل ووطن وقضية وفصيل أساس من اليسار المصري هو الفصيل الماركسي في أن واحد للإمساك بالزمن أم أنهم سوف يقولون مع شريف حناته الذي يسعى للإمساك بالزمن وهو يفلت: «فات الأوان.. ومآفعت أوانه انتهى».

الشيء مبيناً الذي انضموا دون تحفظات حينذاك - إلى التظيم الطليعي ونشطوا صفوفه ودعوا له - فلابد الحقيقة هنا، أم أنه ربما اكتشف كل هذا بعد أن انقضت التجربة وفاقت السنين، ربما فالحركة السياسية في مصر طحت الكثيرين من مثقفي اليسار...، وعندما انتهزوها بعد أن تراكمت الصعوبات أمام اليسار ولم يتحقق لهم طموحهم.

ولم يلفت نظره أبداً في هذا التقييم أن هناك مناضلين يساريين كانوا كل طموحهم وما يزال هو بناء منظمات حقيقة لليسار جديرة بدوره وتاريخه قادر على أن تتعامل ببرونة وجدية مع الواقع المصري والطبقات الكادحة على رأسها الطبقة العاملة لتعزيز كل القوى الحية في مصر من أجل تغيير هذا الواقع إلى الأفضل لصد الهجمة الأمريكية الصهيونية الرجعية على مقدراتنا..

بليو جرافيا

روايات الدكتور شريف حناته

- العين ذات الجفن المعدني: جزءان
دار الثقافة الجديدة.

- الشبكة: المركز العربي للبحث والنشر / المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- قصة حب مصرية: دار الآداب دار الموقف العربي

- طريق الملح والحب: دار المستقبل العربي.

- كريمة: مكتبة مدبولي.

إن عدم قدرته ملي روية هذا الجايب من الحقيقة الخدر أنقر خبرة أساسية في تجربته وذكرياته التي تحقق فيها رغم كل هذه الملحوظات الجذرية ما كان يصبو إليه قائله إن الولع بالكتابة هو رغبة في هزيمة الموت بهذه التجربة سوف تحيا كما سجلها أصحابها. ناقصة الكنهاية، وسوف تقرأها الأجيال، وكم أتمنى لو زدن رقاقة الذين ما يزالون على قيد الحياة قرأوها وبارروا لتصحيح بعض الوقائع

«مالكولم اكس»:

الرجل والقضية والفيلم

أمير العمرى

إلى الجحيم. فلقد توصل مالكولم إكس في أواخر حياته الحالية بالنضال إلى هذه الحقيقة. ومالكولم إكس اليوم هو رمز التحدى للسلطة، وفخر للشباب الأبيض والأسود واللاتيني التقديمي. هذه الفتنة من الشباب هي في ازدياد.

نقلًا عن «مجلة اليسار» عدد سبتمبر ١٩٩٣ من مقال الدكتور ابراهيم العودة

«اليوم الذي أنتفضت فيه لوس أنجلوس».

نزلت إلى الشارع منطقة «ساوث سنترال» في «لوس أنجلوس». سوف ترى مالكولم إكس متواجهًا فالصغار والشباب يلبسون تبعات عليها حرف X أو فانيلات عليها حرف X، أو صورة مالكولم إكس. وأشهر عبارة كان قد قالها مالكولم إكس والتي تعبر عن فلسنته وإيديولوجيته باختصار هي، وباختصار «بأى وسيلة ضرورية» فإن هذه العبارة تعنى بمحتوها الشورى اليوم، إنه على الطبقة العاملة أن تنظم نفسها بغض النظر من اللون للتودى بالرأسمالية

إذا

وربما كانت تلك هي وسيلة سبايك لى لتحقيق الدعاية لنفسه ولأفلامه، فهو مهتم كثيراً بتسويق فيلمه بل ويزعم هو فى الكتاب الذى أصدره لكن يصاحب عرض فيلمه الجديد بعنوان «ضورى بشتى السبل»، انه أكثر الفنانين براعة فى عملية الدعاية والتسويق لأناته، لا يفوقه فى هذا سوى مادونا التى يعترف لها بالريادة فى هذا المجال.

وسبايك لى فى هذا انتاج جتمع يعتمد الدعاية على الاعلان والترويج واختلاف القصص والتحرش بالآخرين ووصفهم باشد الأوصاف قسوة . وقد يكون لسلوك سبايك لى هذا مأثيراً بارزاً باعتباره اسود يعاني ضمن أقلية ضخمة ، من الانحطاء والتفرقـة ، إلا ان الحكم على اعمالـه بما فيهـا فيلمـه الاحدث «مالـكولـم إـكس» يجـب أن يـخـضعـ فى النـهاـيـة لـقاـيـيسـ وـمـعـاـيـرـ مـوـضـوعـةـ فـنـيـةـ اوـلاـ وـقـبـلـ كـلـ شـئـ وـدونـ آنـ نـبـهـ كـثـيرـاـ كـماـ حـادـثـ لـلـبعـضـ - بـكونـهـ «أـوـلـ فـيلـمـ عـنـ المـناـضـلـ الـأسـودـ وـالـزعـيمـ الإـسـلامـ الكـبـيرـ مـالـكـولـمـ إـكسـ .. الـذـىـ رـدـ الصـاعـ صـاعـينـ للـبيـضـ الـامـريـكـيـنـ وـعـرـفـ كـيفـ يـحرـضـ ضـدهـمـ وـيـقـنـصـ مـبـهمـ «إـلـىـ آخرـ تـلـكـ الـهـنـافـاتـ» مـحـدـوـةـ الـأـفـقـ وـالـبـصـيرـةـ .

الوجه المختلفة للأسطورة كان طموح سبايك لى عندما «اصر» على اخراج فيلم عن مالكولم إكس منتزاً اياه من مخرج آخر هو نورمان جرويسون، أن يروى حياة تلك الشخصية التي تحولت الى نوع من الاسطورة لدى الكثيرون في المجتمع الامريكي، وأن يعيد إليه الاعتبار،

أخيراً حق المخرج الامريكي الاسود سبايك لى حلمه القديم الذى سعى طيلة سنوات لتحقـيقـهـ، أـخـيرـاـ تـجـسـدـ «ـمـالـكـولـمـ إـكسـ» على الشـاشـةـ الـبـيـضاـءـ فـيـلـمـ منـ نوعـ الـانتـاجـ الصـخـمـ علىـ شـاكـلـ «ـغـانـدـىـ» وـ«ـجـ.ـفـ.ـكـ.ـ» بـميـزـانـيـةـ بلـغـتـ ٢٤ـ مـلـيـونـ دـولـارـ .

سبـاـيـكـ لـىـ وـلـاشـكـ مـخـرـجـ شـدـيدـ الطـمـوحـ، اـنـطـلـقـ بـسـرـعـةـ لـكـىـ يـفـرـضـ وـجـوـهـهـ عـلـىـ سـاحـةـ السـيـنـمـاـ الـأـمـرـيـكـيـةـ مـنـذـ يـامـهـ الثـانـيـ «ـافـعـلـ الشـءـ الـصـوـابـ» الـذـىـ حقـ نـجـاحـاـكـبـيرـاـ، فـقدـ تـكـلـفـ صـنـعـهـ سـتـةـ مـلـيـينـ وـنـصـفـ مـلـيـونـ دـولـارـ، وـحـصـدـ فـيـ الـأـسـوـاقـ مـاـ يـقـرـبـ مـنـ خـمـسـينـ مـلـيـونـ دـولـارـ .

طـمـوحـ سـبـاـيـكـ لـىـ أـنـ يـجـسـدـ «ـالـوعـيـ الـأـسـوـدـ» أـىـ رـؤـيـةـ وـمـوـقـفـ فـنـانـ يـنـتـمـىـ لـلـاقـلـيـةـ السـوـدـاءـ الـمـضـطـهـدـةـ تـارـيـخـيـاـ فـيـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ، وـأـنـ يـعـبـرـ عـنـ الـغـضـبـ وـالـرـفـضـ تـجـاهـ الـكـثـيرـ مـنـ مـظـاهـرـ الـانـحطـاءـ وـالـتـفـرقـةـ الـعـنـصـرـيـةـ، وـطـمـوحـهـ أـيـضـاـ، أـنـ يـثـبـتـ أـنـ الرـجـلـ الـأـسـوـدـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـكـنـ ذـكـيـاـ وـمـبـدـعاـ، وـأـنـ تـحـقـقـ أـفـلامـهـ أـيـضـاـ النـجـاحـ الـجـماـهـيرـيـ شـانـ الـأـفـلامـ «ـالـكـبـيرـ» الـتـىـ يـصـنـعـهـ السـيـنـمـاـيـوـنـ الـبـيـضـ .

غيرـ أـنـ الشـكـلـ الـذـىـ يـخـتـارـ سـبـاـيـكـ لـىـ لـتـسـعـبـهـ مـنـ أـرـاثـهـ وـأـفـكارـهـ، هوـ بـالـضـرـورةـ شـكـلـ عـدـوـاتـيـ مـسـتـطـرـفـ فـيـ اـسـتـخـدـامـ أـكـثـرـ الـأـلـفـاظـ فـظـاظـةـ، مـحاـواـلاـ بـصـفـةـ دائـمـةـ إـحـاطـةـ نـفـسـ بـهـالـةـ خـاصـةـ، عـنـدـمـاـ يـصـرـ عـلـىـ الـحـدـيـثـ عـنـ «ـعـبـقـرـيـتـهـ الـفـرـيـدةـ» وـقـدـرـاتـهـ الـتـىـ لـاـ يـشـقـ لـهـ غـبـارـ فـيـ مـجـالـ الـإـخـرـاجـ السـيـنـمـاـيـ .

نظر الابن مالكولم .. او من تداعياته وعيه ، والوظيفة الدرامية التي تلعبها هذه اللقطة ، مع لقطات مشاهد أخرى ، هي تقديم تفسير سيكولوجي واجتماعي للتحول القائم الى العنف ضد البيض : اولا العنف البدني ، ثم العنف السياسي من خلال الخطابة والتحرريض عندما يتشكل دور مالكولم الداعية .

من بين هذه اللقطات والمشاهد الأخرى : مهاجمة مجموعة من «الكلوكوكس» كلان «لنزل الأسرة وحرقهم» ، واضطرار الأسرة للانتقال الى مدينة أخرى حيث تلقى نفس المصير ، فينتهي الامر بالاًم الى الجنون بعد مصرع الاب وفقدان البيت وعدم القدرة على إعالة الأطفال .

يتحول مالكولم اولا الى الاجرام ، فيلتتحق بالعالم السفلي ويصبح احد الفتياً الذين يعتمد عليهم احد زعماء العصابات السوداء في ميتشيجان .. حيث يتعلم توزيع المخدرات وتعاطيها ايضا وترويج الدعاارة ويهمل لاول مرة سلاحا ، ويتخذ لنفسه حبيبة ، فتاة بيضاء تدعى «سونيا» ثم يقع خلاف بيته وبين زعيمه الذي يتهمه بالاستحواذ على بعض المال من تجارة المخدرات لنفسه ، يؤدي الى مطاردة الرجل له غير أنه يهرب من الموت بأمعجوبة ، وينتقل مع صديقه «شورتى» (يقوم بالدور سبايك لى نفسه) ومع صديقتهما (من البيض) الى بوسطن ، حيث يحترف الرابعى سرقة المنازل .. وسرعان ما يقع مالكولم في ايدي رجال الشرطة ويحاكم ويصدر الحكم عليه بالسجن عشر سنوات .

ميرزا وجه الانسانى ، شارحا دوافعه لاعتماد العنف فى دعوه الى انتزاع السود لحقوقهم فى الولايات المتحدة ، مصوراً كيف تامرت على قتله قوى من بين الذين التصدق بهم خلال فترة فى حياته وعمل معهم وكذلك من الاجهزة البوليسية الامريكية . المباحث الفيدرالية والمخابرات المركزية) التي كانت تعلم جيداً ان حياته معرضة للخطر غير أنها اكتفت بالابتعاد والوقوف موقف المتفرج السعيد بما يحدث أمامها .

فيلم عن رجل من طراز «مالكولم اكس» من الضروري ان يجسد لنا قصة التحول الكبير الذى وقع في حياته من مرحلة الطفولة منذ أن نشأ «مالكولم ليتل» في أسرة اب ، عامل بناء وداعية مسيحي ، وأم .. لم تكن سوداء تماما ولا بيضاء تماما ، فقد ولدت ثمرة لاغتصاب أحد العنصريين البيض لأمها . وكان مالكولم الطفل الرابع بين سبعة اطفال ، ولد في أو ماها عام ١٩٢٥ .. وشهد في طفولته حرق منزل الأسرة مرتين بواسطة جماعات «الكلوكوكس كلان» العنصرية ، ثم انتهت الامر بمصرع أبيه على أيديهم أيضا - كما كتب مالكولم إكس في مذكراته وان صور العنصريون الامر على أنه حساب انتحار .

يستخدم سبايك لى لقطة اب وهو يرقد وجوهه مثخن بالجروح فوق قضبان سكة الحديد عاجزا عن الحركة بينما يقترب القطار فيقضى عليه تماما .. وهى لقطة نراها باستمرار من وجهة

بخيانة الرجل له وللمسلمين من اتباعه ، ويبدا في توجيه النقد العلني له ، وهنا يبدأ التأمر لتصفيته ، يحرقون بيته ، أو لا ، ثم ينتهي الفيلم باغتياله بينما كان يلقى خطاباً في قاعة المؤتمر الوحدة الافرو - امريكية في هارلم .

بناء تقليدي

نتيجة لزيارة الاحداث التي أحاطت بحياة شخصية مالكولم اكس، اختار سبايك لى ان يكشف في مشاهد متعاقبة عملية النمو التدريجي ثم التحول التي مررت بها الشخصية من خلال بناء درامي تقليدي «قطفه»، بين حين وآخر لقطامات من نوع «الفلاش باك» أو العودة الى الماضي ، مع مزج لبعض اللقطات المصورة بالأبيض والأسود، ذات الطابع التسجيلي التي أعاد إخراجها «لى بما يطابق اللقطات التسجيلية لنشاط مالكولم الحقيقي وبعض اللقطات التسجيلية الحقيقية (من الأرشيف) .

لكن العيب الاساسي الذي تلحظه في بناء الفيلم ، انه يبدو كما لو كان منقسمًا إلى أربعة أقسام منفصلة عن بعضها البعض بحيث يقتضي الفيلم إلى الوحدة العضوية كما إلى الأسلوب الموحد في الإخراج ، القسم الأول : يصور فيه طفولة مالكولم اكس وذكرياته عن الاحداث العنفية التي مررت بها اسرته ، وتفوقه في الدراسة ، طموحة الذي اباده لاستاذه عندما قال له أنه يود أن يصبح في المستقبل محاميا ، فكانت تصفيحة المحامي كالتالي : هذه مهنة كبيرة ،

في السجن يقايس مالكولم كثيراً من سوء المعاملة في البداية ، الى ان يتعرف على رجل اسود مثله ، من اتباع جماعة «أمة الاسلام» يقوم هذا الرجل بتقديم النصائح ويطلعه على تعاليم الاسلام حسب طريقة زعيم الجماعة المسمى «البيجايا محمد» الذي يدعوه السود الى ضرورة اعتناق الاسلام مبشرًا «بالي

اسود» ، ويتبين لها هذا الرجل نفسه في . الحلم ماكولم .. الذي تأخذه الحماسة للتعلم ، فيقرأ كل ما يقع عليه داخل مكتبه السجن ، بل يتمكن ايضاً من نسخ قاموس ضخم في السجن ، ثم يخرج بعد ست سنوات ونصف ، لكن يشهر إسلامه على يدي البيجايا محمد وينضم وبالتالي لجماعة «أمة الاسلام» ويصبح أحد زعمائها البارزين ثم المتحدث الرسمي باسمها .. يدعو في التجمعات ويصدر من البيانات والتصريحات العنيفة ضد البيض وضد السياسة الامريكية ما يلفت اليه انتباه الاجهزة الأمنية .

يتزوج «مالكولم اكس» من فتاة سوداء مسلمة ، ينجذب منها خمسة أطفال ، ويصبح نجماً اعلامياً كبيراً في أمريكا .

وفي اعقاب وقوع حادث اغتيال الرئيس كينيدي ، يصدر مالكولم اكس ، تصريح يعكس نوعاً من الشماتة في الرجل .. مما يثير غضب البيجايا محمد الذي يأمره بالصمت لمدة ٩٠ يوماً ، لكن مالكولم اكس يصدم عندما يعلم ان أباه الروحي وزعيمه أقام علاقات جنسية مع فتاتين من سكرتيرات جماعة «أمة الاسلام» وانجب منها طفلين في شعر



بالنسبة لزنجي .. فكر فى أن تصبى مشاهد الحب بين مالكولم وصديقه نجارا !

والقسم الثانى: وهو الذى يبرع سبايكلى فى إخراجه ، ويجعله ممثلنا بالحيوية والحركة وزوايا التصوير المثيرة ورسم الأجزاء بدقة ، فهو القسم الذى نرى فيه مالكولم وقد التحق بعالم الاجرام : مسالات الرقص الشائعة فى اواخر الثلاثينيات ، مطاعم العالم السفل

والفن . ثم لحظات الاستئثار وامتلاك الثقة بالنفس والارادة للتسلع

يظناته يريد الفرجة على رقص هز البطن .. هذان المشهدان يكسران كثيرا ايقاع الفيلم ويهبطان بمحتواه، بل ويعكس المشهد الأول عدم فهم المخرج حتى لطقوس الجع ، فالحاج لا يهبطون بأردية الحج في مطار القاهرة !

أن سبائكك لي نتيجة لراحته التقنية - وان كان قد نجح في اخراج الكثير من المشاهد بقوة وصدق واقناع - ترك العنان لنزوؤاته للعبث بالكاميرا على نحو يشتت كثيرا من فهمنا للمحتوى و يجعلنا نختلف بالضبو ، والصورة التي نشاهدها عبر مرشحات ملونة أخاذة ،

وبحركة الكاميرا التي تجعل المنظور يبدو مضغوطاً ومشوهاً وملتوياً على نحو سريالي ، وهو الأسلوب الذي جربه من قبل بنجاح في « قال الشئ الصواب » غير أننا هنا لا نتمكن أبداً من فهم سغى العابه التقنية هذه في سياق عمل اراده هو أن يكون « ملحمياً » يتمتع بالرمانة ، وليس عمل من أعمال السينما الطليعية التجريبية أو « الشخصية » أى تلك التي تعبر عن رؤية خاصة للمخرج .

هناك ولا شك تصوير مكثف لقدرات ماكولم اكس الغدة على الخطابة والحركة والمناقشة والرد بسرعة بدبيه مدهشة واقناع السامعين بل وابهارهم .. وهناك مشاهد مقصودة بابهارها المبالغ فيه مثل مشهد اجتماع أمّة الاسلام » حيث نرى ماكولم فوق المنصة يلقى كلمة ووراءه تحلق صورة عملاقة للزعيم « اليجايا محمد » مبتسمًا تجعله مجرد صدى صفير أو طفل خرج من قفاز زعيم

والتحصيل ثم العلاقة الروحية بالاسلام ومعادل للخلاص النفس والروحي .

القسم الرابع : النشاط السياسي لماكولم اكس الداعية وتتحوله من مناصر متشدد للعنف ينعت البيض بكونهم شياطين ذوى عيون زرقاء الى مدافع عن الجلوء للعنف في حالة الدفاع عن النفس « في هذه الحالة انا لا اراه عنفا .. بل ذكاء » ويستمر هذا القسم الى حين اغتيال ماكولم اكس .

وحدة البناء اذن داخل الفيلم ككل مفقودة ، كما هي مفقودة ايضا داخل المشهد الواحد في الكثير من الاحيان .

فكيف يمكن لنا - على سبيل المثال - ان نفهم الانتقال المفاجئ من اللقطة الأولى العامة جداً لمشهد الحج والتي لا تستغرق سوى ثوان معدودة بكل ما يمكن ان تحقق من اثارة للمشاعر ، الى لقطة كبيرة من نوع « الكلوز آب » زوجة ماكولم تلقى كلمة في اتباع زوجها الغائب .. ثم العودة مرة ثانية لمشهد الحج ، ولقد قلل هذا القطع كثيراً بلاشك من حرارة المشهد بل وقضى عليه .

من ناحية أخرى ، هناك ارتباك واضح في تصوير مشهد وصول ماكولم للقاهرة ، فهو يهبط من الطائرة مع آخرین يرتدون ملابس الحج ، فنفهم انه وصل بالفعل الى الاراضي المقدسة ، ولكننا سرعان ما نكتشف انه وصل الى القاهرة وفي مشهد آخر يصوره المخرج في أحد الأسواق الشعبية مع رجلين من عامة الشعب لا يستطيعان التفahم معه ، فهو يريد مشاهدة الأهرام بينما هما

اسطوري أراد أن يجعل من نفسه «رسولاً بالنسبة للزوج أمريكياً» المضطهدية، لكن هناك من الجهة الأخرى مشاهد أخرى مكررة ومعادة.. ومكرسة فقط لاستعراض اقوال ماكولم اكس المأثورة في الواقع المختلفة.

ولما يقدم الفيلم تبريراً واضحاً وقوياً ومقنعاً -لن لا يعرف- لانقلاب ماكولم (أو مالك شبارز كما أطلق على نفسه بعد قيامه بالحج على «أمة الإسلام» وزعيمه).. بحيث يلاقي كل ما نراه من ملاحقات وتهدبات وحرق منزله ثم اغتياله بهذا الشكل العنيف، ومعرفة تاريخياً ان الصحافة الأمريكية ترددت كثيراً قبل ان تتجرأ على نشر أية أخبار من الحياة السرية لأليجايا محمد، بسبب خشيتها من التعرض لطائلة القانون بتهمة «القتل وتشوية السمعة». غير أن ماكولم اكس.. الأخلاقى النزعة بالضرورة، كان وراء تشجيع الصحف على النشر وتزويدها بكل المعلومات، لكن الفيلم يخترع أحداثاً أخرى لا علاقة لها بالواقع، حين يصور تردد ماكولم كثيراً في إعلان تمرد، وما ينشأ بيته وبين زوجته من خلافات بسبب ذلك، ثم ما تعلنه له فتاة سوداء من خيانة أمة الإسلام لصالح السود الفقراء والتجانها إلى حياة النعيم والفاخامة والعز.. إلخ

غير أن الحقيقة تبقى أن سبايكلى برغم كل طموحه وأحلامه للتبرير ماكولم اكس من تهمة تبني العنف والارهاب -على الأقل في الجزء الأول من دعوه- وتبسيط وجهه وإعادة الاعتبار

فعل الزعيم الحالى للجماعة ليس فاراقان، ساهمت كثیراً فى إغفاله ايضاح تلك المرحلة الحاسمة في حياة ماكولم اكس، وقد اعترف سبايكلى لنفسه في الكتاب الذى اصدره حول الفيلم بتحسبه لبطش جماعة فاراقان عندما قال: «أنتم لا تعرفون.. هؤلاء الناس لا يلهون في مثل هذه الاشياء»

تلعبيات المخرج

ويجعل سبايكلى بطله قبيل دخوله مباشرة الى القاعة التي سيلقى فيها مصرعه، يلتقي امرأة زنجية على المدخل.. تبدي قلقها من متظره الشاحب وتشجعه بقولها ان «المسيح سيبارك» لكن ثلمع ملامع الدهشة بل والمدمة على وجه ماكولم، فيبعد كل هذا التضليل من أجل نشر تعاليم الاسلام في اوساط الزوج ها هو يتلقى «مبارة المسيح».

وليس من الغريب ان تصرح بيتنى شبارز -ارملة الزعيم الراحل- ان ما صوره سبايكلى من مشاجرات بين بيته وزوجها هو من قبيل «الفبركة» السينائية الكاذبة بالطبع، لكن سبايكلى -كعادته- يعلن استهتاره بهذه في كتابه ويقول انه لم يتوقع أبداً ان فيلمه سيرضي كافة السود، وأنه لو كان استجابة لكل ما قبل له لم يكن قد صنع الفيلم!

لكي يجسم ماكولم تردد ويشعر في التصدى للزعيم المارق.. أماكيف: فنحن لا نعرف تماماً من خلال سياق الفيلم! ولاشك ان خشية سبايكلى من رود

لشخصيته بعد ثلاثين عاماً على مصرعه،
اجأ إلى الكثير من التحقيقات
والتلاميذ لصب الشخصية في اتجاه
واحد دور بطريقه «إكس» بالوضع
الراهن في أمريكا حيث نشاده في
المشهد الافتتاحي لـ«فيلم قططات
تسجبلية لحرق العلم الأمريكي وحادثة
اغتيال الشرطيين على السائق الأسود
روبني كنج ، التي كانت السبب المباشر
في اندلاع أعمال العنف في الولايات
المتحدة عام ١٩٩٢ .

ويظل السؤال مفتوحاً بالطبع لشئىء
الاجتهادات!!.

وخلامقة القول ان سبايك لي الذى لا يك لحظة عن الحديث حول قدراته السحرية على تغيير السينما الامريكية

نساء وديعات وحراس خطرون

ماجدة موريس

صناع المسلسل مكاناً قريباً من السجن ليكون مقرًا آخر للسجينات، هو فندق «سيдан ان» الذي يصبح موقعًا أكثر اتساعاً للدراما ولنماذج أخرى من البيشري ساعدون في نمو الأحداث وتشابكها وتطويرها على النحو الذي مضت عليه، والمسلسل على هذا النحو يبرهن على عدم ثقة صناعه في مقدرة (عالم السجون) وحدها على اجتناب المشاهد بلا مؤثرات أخرى أكثر جاذبية كما أن تجمع الأبطال بين موقعين رئيسيين، السجن والفندق، هو حافظ اقتصادي يقلل التكلفة في إطار ضغط الميزانيات، لكن هذا يتم بدون فجوة أو

أحداث المسلسل الاسترالي الأمريكي (نساء خطوات) تضفي التجسد عالمًا جديداً، برغم أنه قد يُقدم الأزل، وليس هذا الغز، ولكن عالم النساء في السجون بكل ما يمثله من إثارة وقسوة وقضايا هو عالم جديد على دراما التليفزيون التي نراها منذ سنوات طويلة، ومع ذلك فلم تتعرض لهذا العالم من قبل بهذا الشكل الذي يbedo فيه السجن هو محور الأحداث ومكان تجمع بطاقات المسلسل اللواتي ما إن يقدرناه حتى يعدن إليه لأسباب شتى.

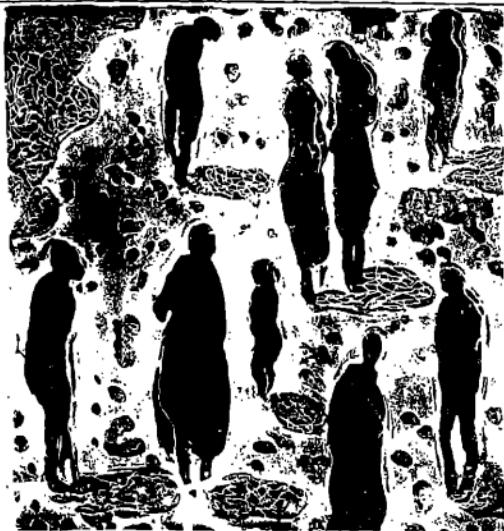
أن حملت وأضطررت حياتها بالطفل فاضطررت لتركه واحتراق عالم الليل وعند لقائها بالإبن كانت أشبة بطفولة أكثر منه بسبب حياة لم تعرف التوازن قط.. أن تلك النماذج وغيرها تطرح علينا عدة أمور محددة.

أولها أنا أيام مسلسل يطرح في حقيقته مقوله ضد توقعات المشاهد المبدئية وتقاد تقترب من المثل الشعبي القائل هنا «ياما في الحب مظاليم» فأغلب سجيناته غير مجرمات بالمعنى المعروق للناللإجرام بكل قسوته وبشامته وثانيها أنا أيام سجون أخرى تختلف تماما عن سجوننا، المصرية التي نراها على شاشة السينما أحياناً، والتي نسمع ونقرأ عنها، ففي «سجن» المسلسل أنواع من المعاملات والحرابيات والعلاقات بل والميزات، التي تحلم بها سجينات الواقع عندنا، من ناحية أخرى يطرح المسلسل علينا أفكاراً أخرى حول التعامل مع المرأة في مجتمعات تصفها بأنها مفترحة لاتحتافظ على نسائها مثلنا، فمدمرة السجن في المسلسل لامرأة وكذلك الظابطة نيل التي تحولت إلى مأمورة ومسحورة بوجود الرجال أيضا كما أنه مسموح، في إطار معايير معينة، لأن يتم ترشيح بعض منهن كسجينات للخدمة في السجون يعني خروجهن للعمل كحارسات مثل ماريا.

من جانب آخر يرصد المسلسل

استخفاف بالشاهد وكل ما مشهد له إطار المنطق والانتاجي، وكل العناصر مخدومة لكن تخدم رؤية المسلسل، فماذا تقول هذه الرؤية؟

إن المنظور الأخلاقي الذي يعني أن (الجريمة لا تغفر) ليس هنا هدفًا في ذاته، لأن المسلسل يطرح بين نماذج نساء الخطارات نماذج مجنى عليها، بل ومظلومة، بقدر أكبر مما يطرح من نماذج أجرامية استفزازية. وهناك بين صاحبات الصور السبعة اللواتي رأيناه على الشاشة لمدة ٥٣ يوما في مقدمة الحلقات باعتبارهن صاحبات الحالات الأساسية للمسلسل، هناك من أدينت لتهمة لم ترتكبها مثل هولى (كيلي فالندر سيل)، وهناك السيدة سيسى جونسون السوداء التي أراحت زوجها الحبيب من عذاب المرض الرحيب فقتلته بجرعة دواء زائدة - بناء على طلبها - وهناك ماريا ترنت التي ضحكت عليها مدرسها وهي صبية وتزوجها وهو ضعفها عمراً، ومنها من الانجذاب ثم وجدته في أحضان موسم وفي لحظة دفاع عن النفس قتلتته، ورفضت أي التماس للإفراج عنها لإحساسها القظيع بالجرائم ب رغم ما حدث، وهناك السيدة فيث التي اكتشفت أن زوجها زعيم عصابة وضع عينه على إرثها وعندما حاولت التعلق بقشة آخر قتله ولفق لها التهمة وهناك كريستال فوكس التي غرر بها أحد هم وهي طالبة وهرب بعد-



والمجتمع، فليس هؤلاء النساء خطرات كما نظن، بل أنتا ندرك بعد فترة طويلة من المشاهدة أنهن طيبات وديعات أنهن الضحايا، فعلاقة المرأة بالجريمة هنا مخففة وناعمة للغاية، مع تجاوز الواقع الاجتماعي، وبالتالي يصبح هذا الواقع الذي نراه، أي الواقع الفنى، محكمًا بالتوليفة السائدة للدراما الأمريكية التي تجيد تجميل ما تقدمه، أيًا كان الموقف الذى تختاره، فنحن لانجد فارقاً كبيراً بين حياة النساء فى السجن وفى الفندق من هذا المنظور، نفس النشاط والحيوية والجمال والمناورات، فهو مسلسل عن السجون بدون وطأتها ولا قسوتها، فهل أصبح العالم الأول المتقدم على هذا النحو من التقدم حقاً، حتى في سجونه، أم أننا هنا الذين نعكس رؤيتنا وهمومنا على مائراته؟!

تجاوزات البعض في السجن من خلال الضابط جاك تيشر، الذي يضيق السجينات بما يفرضه من أمور متعددة تصل إلى حد منع أو قطع زيارة صبي لأمه ويعلن لم تعتذر من المسجونات بأنه هو القانون شخصياً، ما يسمح به هو المسموح وما يمنعه هو المنوع، ويرغم وحدانية هذه الشخصية الكريهة في المسلسل حيث لا يوجد غيرها ضمن أسرة السجن، إلا أن لها دلالات كبيرة ضمن الأحداث والتغيرات وحيث يبدو أنها رمز للبغض الكامن والذى يأخذ أكثر من حجمه من خلال المكان والظروف. إنه مسلسل يضع «عالم السجن» ضمن مكونات دراما تجارية محبوكة تأخذ منه ما يضيق للحلقات إثارة وجاذبية وتترك مادون هذا من أعماق أكثر أهمية وحساسية حول علاقة الجريمة والمرأة

الحلم الأميركي يظل شيئاً بيكاً!

من التلمساني

الملامح، والاعذري لا يبرر الذنب رغم ذلك، حتى وإن كان عذراً رقابياً. أما الذنب فهو التكرار بهدف توصيل فكرة واحدة يدور حولها الفيلم، حيث يصبح للتعليق دور هام في إثقال إيقاع الفيلم، والتعليق هنا بالصورة وبالحوار فالخرج لا يكتفى بالإيحاء بالفكرة وإنما يقتالها بحثاً، المشكلة الحقيقة في التكرار هي واقعيته، ولكن ليس كل ما يحدث في الواقع جديراً بأن يحدث في الفن، القصة تتقول أن مجموعة من المصريين تسافر إلى رومانيا لفتررة محددة بهدف الحصول على تأشيرة دخول لأمريكا، وبعد سلسلة من المحاولات التي تسوء بالفشل، والمقامرات

عندما
تشاهد فيلماً لخيري بشارة تظل حائراً في تحديد موقفك منه؟ وهل يجب التحديد؟ فسينما خيري بشارة تتميز بهذا الخلط العجيب من شاعرية اللقطة وتزدد الفكرة أو بمعنى أكثر دقة، عدم وضوح الرؤية الفكرية في مقابل وضوح «الرؤية السينمائية». شريط الصورة بمفرادته الحميمية يجتذبك ولا يشكك ويظل شريط الصوت محيراً، أضف إلى ذلك أن فيلم خيري بشارة الأخير «أمريكا شيئاً بيكاً» قد تعرض لقص ولصق رقابي عيف تصبح بعده مسئولة خيري بشارة ومدحت العدل عن السيناريوجي مسئولة غير محددة

السياحية التي تشير إلى تماثيل مصر ورومانيا في القبر والإحباط يكتشف الجميع أن البهدلة في سبيل أمريكا لامعث لها، خاصة بعد موت أحد أفراد المجموعة وضياع أموال الرحلة في مانغا.

وأمثلة التكرار عن طريق التعليق
بالصورة وال الحوار كثيرة . في مشهد
«الوحدة الوطنية» مثلا، يصلى الجميع
ساعدا الدكتور فؤاد على روح الترزي
البلدي الذي يدفن في الأرضي الغربية.

ويرسم الدكتور علامه الصليب وهو يبكي لتكلفينا الصورة عباءة التعبير عن توحد الجميع في الألم. لكن الحوار الذى يدور بين اليكانيكى (محمد فؤاد) والطبيب المسيحي يقتل رقة وعذوبة اللحظة بشكل مباشر ثم ينتهى المشهد باحتضان كل منهما للأخر تأكيدا على الرسالة التى استقبلها المشاهد من قبل. ويحدث ذلك أيضا فى مشهد خروج الراقصة (شويكار) إلى شوارع المدينة الرومانية الصغيرة لتبيع جسدها لأول طالب متعمق. المشهد صامت ودال فى حد ذاته.. لكن الكلisyه يقول بضروره أن تبحث الانسة سهاما (نهرة سلامه) عن المرأة الطائشة لإعادتها كمصرية أصلية إلى صوابها.

ولامانع من الكليشية، لكن الحوار «يضم» أيضاً على توضيع أن الراقصة فعلت ذلك في مصر من قبل، ولأفرق.

إن ميزة التكرار هي أن يعلم المتلقي.. ويداعب أوتار ميله الطبيعي للميالودrama. والكلابيشية الميلودرامى الذى يستخدمه المخرج أكثر من مرة باشكال مختلفة يوظف التكرار لصالحة ويدفع بكل شخصية من شخصيات

الفيلم إلى كرسى الاعتراف لتقض علينا
جزءاً من حياتها وسبب رغبتها فى
السفر إلى أرض الحلم الأمريكى. إن رسم
الشخصيات وخطاب كل منها كافتیتان
في حد ذاتهما، دون الحاجة
للفيض «المعلومات» التي يدلّى بها كل
شافع على حدة في محاولة جديدة
للتعبير عن الأحباط العام وسيطرة
الوهم الأمريكى على الجميع، الميكانيكى
والطبيّب والترزى البلدى والراقصة
والرياضي والفتاة المتوسطة الحال.. الخ.

على مسوبيق أغنية «شيكا بيكا» يخضع الوسيط للضرب لأن سرق المال.. ولا يخضع السبب الرئيسي للمحاكمة.

أما القرار «الشعبي» الذي يتخدzie البطل «محمد فؤاد» في النهاية بأن يصون كرامته وأن ينتظر اليوم الذي تسعى فيه أمريكا جاهدة لتمتنعه بنفسها تأشيرة دخول، فهو قرار الطفل الغاضب الذي يرفض أبوه أن يطلعه على فرقة الأسرار، وهي نفس الرواية المغيبة التي يتبعناها الكثيرون، ويتمتناها الكثيرون، عن أ Fowler النجم الأمريكي. والحقيقة أننا لا زلنا راقبها نخضع لصورة العبد والبسيد، صورة الفرافير، فالعبد لا يعيّب في سيده ولو بالإشارة وأمريكا المقدسة التي ينتقدها من يشاء على المقاهى لا يجب أن ينتقدوها مثقف على الشاشة، والحقيقة أيضاً أننا لا زلنا شعبياً في طور الطفولة. لازلتنا تعامل حكامنا على أنهم أباً وناً، وأباءنا على أنهم سلطة المنع والمنع. أما التمرد الجميل الذي تتغنى به كلمات مدح العدل في إحدى أغانيات الفيلم وتساؤل أغنية أخرى عن معنى الوطن، فهما محور التردد الذي تلمسه في سلوكنا، وفيأفلام خيري بشارة الأخيرة، التي ارتبطت بالبساطة عاطفياً وتبينت أحالمهم بالصعود إلى التردد بين تكسير كل شيء وبين القدرة على معاودة البحث عن هوية، بقصة جميلة يوقعها خيري بشارة على فيلمه، لكنها تظل ناقصة. وهذا ما يحيينا!.

فيما عدنا إلى مشاهد القاهرة لاكتشفنا أنها تمثل تعليق المخرج على جمل الشخصيات الحوارية في محاولة منه لتخفييف ثقل «المونولوج» أو «الاعتراف» (في صور الدكتور فؤاد) ولتصوير بساطة القراءة. (في صور زوجة الترزي الصامدة) وفي محاولة جديدة أيضاً، لاستخدامها كعلامات الترقيم في الفصل بين المشاهد أو الوصول بينها. عين تسجيلية كما يقال دائماً عن خيري بشارة تفرض نفسها على الحكاية «وتحكى» أيضاً بالوثيقة ما يفشل الكلام في توصيله عادة.

بين رومانيا والقاهرة تدور أحداث فيلم، الذي لا يتحدث عن أمريكا بقدر ما يتحدث عن الحلم الأمريكي.. والرقة التي أكدت أن «أمريكا ليست شيكا بيكا» لم تقطن إلى أن الفيلم لا يحاكم أمريكا بقدر ما يحاكم تصديق البساطة للحلم الشيكا بيكا... وحل العودة الذي يطرحه الفيلم في النهاية ليس سوى حل من واقع مت:red عن إرادة الجميع وفرض عليهم. يحاولون الهروب عاجزاً.. فهو مت:red إلى واقع آخر لا يعرفون من «أثاره» التاريخية سوى زجاجات الكوكاكولا» والشراء السريع مثل وجبات الهامبورجر! لكن ضياع المال وبالتالي ضياع الحلم هو الذي يعيدهم إلى واقعهم ليتجروا غضباً في الوسيط الذي وعدهم بإحضار التأشيرة وبينما تتطاير زجاجة الكوكاكولا وعلب السجائر في الهواء

أيها المبدعون.. من نحن؟

صبرى فواز

(مخرج)

ويرى « ذاته الجمعية » روؤية حقيقة عميقة لا تتفق عند مجرد الإدراك بل تشمل المراحل الأخرى (إدراك - وجadan - نزوع) ، فيعرف مجتمعه ويشعر به ويعلم كل ما يمكنه من معرفة أكثر وأحساس أعمق في دائرة لانهائي ملائى بالانتشار.

إن الفوضى في الذات الجمعية - المصيرية تحديداً - يمكن المبدع من تجذير ذاته القرورية ففيشعر دائمًا بحالة سمو .. وتنشأ لديه مناعة ضد كل ما هو متدن.

ولعل في تجربة خالد الذكر «سيد درويش» ما يؤكد صدق هذه الروؤية.

فرحة بروؤية إبنها في التليفزيون - وقد بدأ يتخذ من الفن طريقاً - ربته على كتفه يكتفها الحون وقالت: «لو عايز الناس تسمع لك.. احكيلهم عنهم !!!»

لم تكن تدرى - وهي القرورية الأمية - أنها تتضع يده على جوهر أزمة الفن في مصر لأن ..

عندما يرى الفنان المبدع « ذاته الفردية » بكل مافيها من سمو وجمال وعربدة وجمود .. سوف تكتشف الحجب



متکاملة، لأن كل هذه التعددية الهائلة تفتقد - ببساطة - المجتمع نفسه، فهو حركة سياسية بلا جسم.

في مثل هذه المهرجانات والندوات يتبيّن لك بجلاء الفاصل الكبير بين الشفافة الجادة وبين «جمهور» الناس. فلم يكن جمهور الندوات النقدية والقصصية والشعرية سوى أعضاء المهرجان أنفسهم من المبدعين والكتاب والشاعر. أما الحفلات الغنائية بمدرجات جرش الرومانية فكانت تضيق بالآلاف المولفة.

أليس ذلك أمراً يستوجب - للمرة المليون - التوقف والمراجعة وإعادة النظر؟

مشغول حافل على مدار الموسم يديره شاب نشط هو د. أسعد عبد الرحمن.

حينما قلت لصديق أردني: يبدو أن عمان تريد أن تخلف القاهرة وبيروت وب بغداد على مركز العاصمة الثقافية. قال لي: نعم ، ولكنها محاولة ضعيفة الأمل في النجاح. لأن الثقافة ليست مكاناً بل مجتمع، أي أنها ليست جغرافياً بل تاريخ. والعواسم الثلاث (القاهرة، بيروت، بغداد) تملك من المجتمع والتاريخ مالا تملكه عمان.

وواصل الصديق حديثه: والأمر نفسه ينطبق على هذه التعددية الحزبية الهائلة. فربما صار لدينا ثلاثة حزباً وثلاثون صحيفـة، لكن ذلك لن يخلق حركة سياسية اجتماعية صحية

التعدد، التعدد

حلمى سالم

فى عمان: عبد الوهاب البياتى، سعدى يوسف، تزىيه أبو نضال، محمد البطرارى، خيرى منصور، عبد الرحيم عمر، مريد البرغوثى وغيرهم. ومؤسسة عبد الحميد شومان الثقافية (وهي مؤسسة مستقلة) حركة دائبة من النشاط الذى يكاد يوازي نشاط وزارة الثقافة الأردنية. وفي أيامنا القليلة بعمان، سمعنا أن د. أحمد كمال أبو المجد كان يحاضر فيها منذ يومين، وحضرنا ندوة حاشدة حاضر فيها د. عبد العظيم أنيس عن مستقبل الإسلام السياسى. وبعد يومين سيحاضر د. جلال أمين عن السوق الشرق أوسطية. وبرنام

بعد أن تمكث فى عمان يومين أو ثلاثة، فإن أول انطباع يخالجك هو أن عمان تسعى بجد لأن تصير عاصمة من عواسم الثقافة العربية، أو مركزاً أساسياً من مراكزها البارزة. ومبررات هذا الانطباع تكمن في ماتشهده مواراً أمامك من مظاهر وظواهر حية: ندوات ثقافية ومهرجانات فنية ومنتديات ولقاءات ودور نشر وإصدارات ومجلات. وفوق ذلك كله عدد ضخم من الأحزاب السياسية والصحف الحزبية والرسمية (أشعب، الدستور، الرأى، الأهلى، الجماهير...). ثم إنك تجد أكثر من اسم كبير من أعلام الثقافة العربية قد استقر به المقام



متكملاً، لأن كل هذه التعددية الهائلة تفتقد - ببساطة - المجتمع نفسه، فهي حركة سياسية بلا جسم.

في مثل هذه المهرجانات والندوات يتبيّن لك بجلاء الفاصل الكبير بين الثقافة الجادة وبين «جمهور» الناس. فلم يكن جمهور الندوات النقدية والقصصية والشعرية سوى أعضاء المهرجان أنفسهم من المبدعين والكتاب والشاعراء. أما الحالات الفنائية بمدرجات جرش الرومانية فكانت تضيق بالآلاف الملونة.

أليس ذلك أمراً يستوجب - للمرة المليون - التوقف والمراجعة وإعادة النظر؟

مشغول خالق على مدار الموسم يديره شاب نشط هو د. أسعد عبد الرحمن.

حيثما قلت لصديق أردني: بيروت أو عمان تريد أن تخلف القاهرة وبيرولت وببغداد على مركز العاصمة الثقافية. قال لي: نعم ، ولكنها محاولة ضعيفة الأمل في النجاح. لأن الثقافة ليست مكاناً بل مجتمع، أى أنها ليست جغرافياً بل تاريخ. والعواصم الثلاث (القاهرة، بيروت، بغداد). تملك من المجتمع والتاريخ مالا تملكه عمان.

وواصل الصديق حديثه: والأمر نفسه ينطبق على هذه التعددية الحزبية الهائلة. فربما صار لدينا ثلاثة حزبياً وثلاثون صحيفة، لكن ذلك لن يخلق حركة سياسية اجتماعية صحيحة

بيان للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان عن نصر أبو زيد

وحقوق التعبير:

فتاوٍ للقتل خارج القانون

الفكر والاعتقاد ومخالفة صريحة لإعلان
«لما» بشأن الحرية الأكاديمية..

د.نصر أبو زيد
معرض للافتياح

وفي تطور جديد لقضية الدكتور/
نصر أبو زيد أقام البعض دعوى
قضائية بطلب التفريق بينه وبين
زوجته الدكتورة/ ابتهال يونس على
أساس أنه مرتد عن الإسلام، من وجهة
نظرهم.

وقد بدا نظر الدعوى بجلسة
١٩٩٣/٧/١٠ وتأجلت لاستطلاع رأى
الأزهر في ردة الدكتور/ نصر أبو زيد
وتتابع المنظمة هذا التطور بقلق

تابع المنظمة المصرية لحقوق
الإنسان، بقلق بالغ التطورات
الأخيرة في قضية الدكتور/
نصر حامد أبو زيد الذي تم حرمانه من
الحصول على درجة الأستاذية بقسم اللغة
العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة
بسبب آرائه وأفكاره المنشورة في
أبحاث ودراسات علمية..

ولقد أشارت المنظمة في بيان سابق
لها صدر في تاريخ ٤/٥/١٩٩٣، أن هذا
المرمان يشكل انتهاكا خطيراً لحرية

تحذير، تطالب الدولة بتوفير كافة سبل الحماية والأمان للدكتور/ نصر أبو زيد وزوجته، وتطالب كل مؤسسات المجتمع المدني بالتضامن معهما في الحملة الموجهة ضدهما والدفاع عن حرية الفكر والاعتقاد في مصر، وتدعم الدولة إلى مراجعة جذرية لبرامج أجهزة الإعلام المملوكة لها ولاستئصال سموم التعصب الديني فيها.

فتوى الشيخ الغزالى دعوة صريحة للقتل خارج القانون

روعت المنظمة المصرية لحقوق الإنسان بالفتوى التي أعلنتها الشيخ الغزالى - أحد أبرز الدعاة الإسلاميين في مصر والعالم العربي - والتي أعلنت فيها أن كل من يعارض تطبيق الشريعة الإسلامية، هو كافر ومنتهى عن الإسلام وأن قيام جماعات أو أفراد بقتل مثل هؤلاء لايستوجب عقابهم، باعتبار أنهم يقومون بتطبيق الحدود، وهو ماتعتبره المنظمة المصرية لحقوق الإنسان تكفيراً لقطاع كبير من المسلمين، ودعوة صريحة للقتل خارج القانون، وإضفاء الشرعية على أعمال الإرهاب والعنف المسلح التي تشن منها البلاد.

جدير بالذكر أن فتوى الشيخ الغزالى جاءت في إطار شهادته أمام محكمة أمن الدولة العليا «طارئ» يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ يونيو، وذلك بناء على طلب الدفاع عن المتهمين بأغتيال المفكر العلماني المعروف

بالغ، لأن مجرد طرح إيمان واعتقاد الإنسان على بساط المناقشة العامة في مناخ التعصب الديني السائد - بمعرفة النظر بما سيؤول إليه موقف الأزهر - سوف يعرض الدكتور/ نصر أبو زيد وزوجته لخطر الاغتيال بواسطة بعض جماعات الإسلام السياسي والتي تعتقد أنه من الواجب عليها تنفيذ القتل فوراً في المرتد، وهذا ماحدث للدكتور/ فرج فودة الذي اغتيل في العام الماضي، بناء على بيان أصدرته ندوة من علماء الأزهر اعتبرت فيه على السماح له بتشكيل حزب المستقبل بدعوى أن كتاباته «مناهضة للإسلام».

بالإضافة إلى ذلك فإن تلك الدعوى تمثل محاولة خطيرة لوضع القضاء المصري في مواجهة غير مبردة مع حرية الفكر والاعتقاد التي كان الدفاع عنها واحترامها موقفاً ثابتاً ومستقراً في التراث القضائي والقانوني المصري منذ أكثر من سبعين عاماً، وأيضاً فإنها تمثل انتهاكاً خطيراً للدستور المصري وكافة المواضيق والموارد الدولية الخاصة بحقوق الإنسان، والتي تكفل جميعها حرية الفكر والاعتقاد.

وفي هذا الإطار تشير المنظمة أن الخطر الذي يهدد الدكتور/ نصر أبو زيد، ما هو إلا أحد الشمار المره لتبنami سعماً التعصب الديني الذي أذكّته وتوأطّلت عليه لسنوات مؤسسات الدولة، وخاصة في الإعلام والتعليم، والذي طالما حذرت وتحذّر منه المنظمة المصرية لحقوق الإنسان منذ سنوات.

والمنظمة إذ تطلق هذا البيان صرخة

يعتذر الأستاذ صلاح عيسى عن كتابة مقاله «كلام مثقفين» لسفره

قانتوه الخاص، كل وفق مفهومه الخاص بالشريعة الإسلامية، وتقييمه الشخصي لإيمان الآخرين بالإسلام، وهى من ثم تشكل دعوة صريحة لبسطاء المسلمين لانتزاع اختصاصات القضاء لأنفسهم، وبالتالي هدم صرح القضاء أحد أهم مرتکزات الدفاع عن حقوق الإنسان.

الدكتور/ فرج فوده ، الذي كان تنظيم «الجماعة الإسلامية» قد أعلن مسئوليته عن قتله، مبررا ذلك بأنه إعمال لفتوى مماثلة صدرت عن ندوة علماء الأزهر . وقد نشرت فتوى الشيخ الفزالي في كافة الصحف اليومية منذ أسبوع دون تكذيب أو تصحيح من فضيلته.

إن المنظمة المصرية لحقوق الإنسان تنظر إلى هذه الفتوى - ومع الأخذ في الاعتبار المكانة الروحية لقائلها - باعتبارها مؤشرا على تدهور نوعي جديد لحربيات الرأى والتعبير والفكر والاعتقاد، وإنذارا بموجة جديدة غير مسبوقة من أعمال العنف والإرهاب .. وفي هذا الإطار تدعوا المنظمة مؤسسات المجتمع المدني للعمل من أجل صيانة الحريات المهددة التي تتعرض للتآكل يوما بعد يوم، كما تعيد حث الدولة على القيام بمسؤولياتها في هذا المجال... ٦٦

ونظرا للمكانة الروحية الكبيرة التي يتمتع بها فضيلته، فإن فتواه الأخيرة تتجاوز كونها تشكل تعارضا مارحا مع روح ومنظور مبدأ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، وإعلان الخاص بشأن القضاء على جميع أشكال التنصيب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد، لتكتسب خطورة أكبر على الصعيد العالمي، فهي من حيث تبررها لقتلة فرج فودة وتجيدها لجريمتهم باعتبارها إعمالا للحدود، فإنهما تشكل دعوة للأفراد لأن ينفذ كل منهم



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanearb.com

تعلن



مُؤسَّسَةِ الْأَبْدَاعِ الْعَرَبِيِّينَ الْإِسْلَامِيِّينَ

للابداع الشعري

أولاًً: عن استمرار فتح باب الترشيح حتى يوم ١٩٩٣/١٠/٣١

الجامعة العربية - مجلس إدارة المهرجان العربي - دورة أسلوب المحتشم الشعري

وذلك في المجالات التالية

- ١- جائزة الإبداع في مجال الشعر : وقيمتها أربعين ألف دولار أمريكي وتحتفظ لأصحابها من الشعراء الذين أسموا باسمهم في إبراز حركة الشعر العربي من خلال عطائهم شعري متفرد .
 - ٢- جائزة الإبداع في مجال نقد الشعر : وقيمتها أربعين ألف دولار أمريكي وتحتفظ لأفضل دراسة في نقد الشعر العربي تعمق على تحليل النصوص وتفسيرها أو دراسة ظاهرة فنية محددة في ديوان شاعر أو عدد من الشعراء وفروع منهاج قليلي يقتصر على أحسن عناية موضوعية وعلى أن تكون الدراسة مبتكرة و ذات قيمة عامة وتحفيز جهدياً للدراسات النقدية .
 - ٣- جائزة أفضل ديوان شعر : وقيمتها عشرون ألف دولار أمريكي ، وتحتفظ لأفضل ديوان شعر صدر خلال محسن سنوات متتالية في ١٩٩٣/١٠/٣١ .
 - ٤- جائزة أفضلي قصيدة : وقيمتها عشرة آلاف دولار أمريكي ، وتحتفظ لأفضل قصيدة منشقة في إحدى الجيارات الأدبية أو الصحف خلال عامي ١٩٩٢ - ١٩٩٣ .
 - ٥- جهات الترشيح : الجامعات والمؤسسات الثقافية والرميات الحكومية والأهلية وأجهادات الأدباء ومن معنوياته ومؤلفاته المرتجل كنادياً على ذلك ويكون للشاعر أو الناقد أن يقتسم مسامحة .
 - ٦- الشروط والمواصفات : يتطلب من مكتب المؤسسة في جمهورية مصر العربية - القاهرة .
- ثانياً: لازالت الفحصة متاحة حتى ٣١ ديسمبر ١٩٩٣ للمشاركة في :

معجم البانطين للشعراء العرب المعاصرين

البيانات المطلوبة حسب الاستمرار : الاسم الكامل ، مكان ونادي الميلاد ، الحياة العائلية والعملية عنوانه الدوائي وتواريخ مسيرتها وناديه لها، مؤلفات أخرى ، ماكتب عنه، نوادر فضلاً عن إخبارها الشاعر بنفسه ولهمة من ساعده على الأقل بخط يده . صورة هدية للشاعر . العنوان الراتم ورقم الهاتف .

العنوان

ج.م.ع. القاهرة: ص.ب. ٥٩٦ الدقى ١٢٣١ الجيزة - تلفون وفاكس ٣٥٧٣٣٥